أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة الجزية

د. علي أحمد عمران

المكتبة المتخصصة بأمير المؤمنين علي عليه السلام . مشهد المقدسة
Amir al-Muminin Ali (a.s) Specialized Library

www.haydarya.com

اهدائی
کتابخانه تخصصی
امیرالمؤمنین علی علیه‌السلام
مشهد مقدس

أسلوب عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
في
خطبه الحربيّة

د. علي أحمد عمران

أسلوب عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبه الحربيّة

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٧٥٣٠
التاريخ ٢٠١١/٨/٩
٨٦٥٨٧

٢٠١١ م / ١٤٣٢ هـ

المكتبة المتخصصة بأمير المؤمنين علي عليه السلام. مشهد المقدسة
Amir al-Muminin Ali (a.s) Specialized Library

إن أهمية هذا العمل تتجسد في جانبين :

فهو في بعده الخاص يبرز أهم النتائج التي توصلنا إليها دراسة الصور الفنية في الخطب الحربية، واستخلاص علاقاتها، ومصادرها ووظائفها واستشفاف بلاغتها، وحجاجيتها من حيث هي ممارسة إجرائية على نصوص نثرية قديمة.

أمّا الجانب الثاني: فيتمثل في فتح الآفاق أمام البحث في تراثنا العربي الذي نعتقد أن النظر فيه بأدوات منهجيّة ومعرفية جديدة كفيلٌ بأنّ يكشفَ جوانب طريفة تستحق الاستكشاف، وما علينا إلاّ أنّ نعرف كيف نقرأ الصورة الفنية قراءةً لا تقتصر على استخراج أنواعها المجازية واجتثائها من سياقاتها التي جاءت فيها اجتثاثاً يجعلها وسائل عقيمة لا تنتج شيئاً جديداً.

حظي (نهج البلاغة) بكثير من العناية؛ إذ تصدّى له جمهرةٌ واسعةٌ من العلماء،فشرحوا ألفاظه،وبيَّنوا غوامضه،وقد تعدّدت اتجاهات أولئك الشارحين قديمًا وحديثاً،ففي حين يستطرد بعضهم في سرد الوقائع التاريخية،نجد آخرين منهم يتَّخذون نصّ النهج مدخلا للخوض في المسائل الفلسفية والعقدية وغيرها. وعلى الرغم من كثرة البحوث والدراسات التي اعتنت بنهج البلاغة؛ إذ انصبَّتْ عليه جملةٌ من البحوث البلاغيةِ والاجتماعيةِ والسياسيةِ والاقتصاديةِ وغيرها، على الرغم من ذلك كلّه إلاّ انّه ما يزال ميداناً خصباً مزهلا أن يقرأ بنظرات لسانية حديثة،تضيء فيه جوانب لم يتطرّق إليها الباحثون .

ولعلّ هذه الدراسة تأتي لتسدّ بعض ما فات، فقد أفاد صديقنا الدكتور علي عمران من الأنظار اللسانية الحديثة، وراح يطبقها على نصوص النهج؛ ممّا أتاح له استكشاف جوانب مهمة في هذا النص، ولقد وفّق كثيرًا في تبيين الأبعاد الحجاجية التي تحملها الصورة في خطاب النهج ...

د. عيسى الوداعي

المكتبة المتخصّصة بأميرالمؤمنين علي عليه‌السلام . مشهد المقدسة
Amir al-Muminin Ali (a.s) Specialized Library
ايران، مشهد المقدسة، شارع آزادي، زقاق شاهين‌فر، بناية الحسينية تلفكس: ٢٢٥٤١٢٣ (٠٠٩٨٥١١)
info@imamalislib.com الموقع و البريد الكتروني www.imamalislib.com

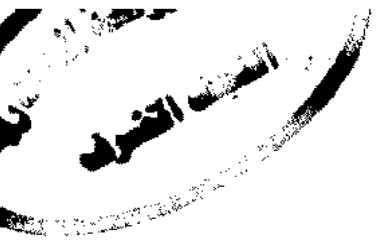

تنويه

هذا العمل في الأصل أطروحة دكتوراه أعدّت بإشراف الأستاذ الدكتور محمّد الهادي الطرابلسي، ونوقشت بكليّة الآداب بمنوبة يوم الجمعة ١٥ سبتمبر ٢٠٠٦ م، وتكوّنت لجنة علميّة مركّبة من الأساتذة: د. محمّد القاضي رئيساً، ومن الأعضاء د. محمّد الهادي الطرابلسي، د. شعبان بن بوبكر (رحمه الله)، د. توفيق حمدي، د. محمّد النويري. وأُسْنِدت إلى صاحبها شهادة الدكتوراه في اللغة والآداب العربية بملاحظة مشرّف جدّاً.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ

وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾

الحج: ٢٤

الإهداء

إلى الإمام عليّ بن أبي طالب أمير الخطابة والحرب...

إلى أبي رحمه الله وأسكنه فسيح جنّاته...

الذي رحل عنّي وأنا ابن عشرٍ (في الصف الثالث إبتدائي) ذلك العزّ الذي لم أنعم به ، ولكنّي عايشته في حكايات أصدقائه، وأقرانه من أهالي منطقة البرهامة.

إلى أمي العزيزة حصة

منبعي الأوّل الذي غمرتني بعطفها وحنانها...

إلى أخويَّ العزيزين عبدالرسول (رحمه الله) وعبدالأمير (حفظه الله)

إلى أختي العزيزة الكريمة أمّ محمّد زهرة...

إلى مقاسمتي رخاء الحياة وشدّتها المرأة العظيمة، عزيزتي فاطمة....

إلى أولادي الأعزّاء: جنان / حسن / حسين / محمّد / وناصر

هناك فضاءات الحبّ

إلى كلّ من أنار سُرُج العلم لي ، فكان نعم المؤدبُ ونعم المعلم

نعم... لكلّ هؤلاء واولئك الذين يلمعون مثلنا في ظلمة الليل...

أهدي هذا العمل المضني الجميل

التصدير

*** قال الرسول صلّى الله عليه وآله:**

«أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه»

(الطبراني (ت ٣٦٠هـ): المعجم الكبير ١١/ ٥٥ ؛ الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ): المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٢٦ـ ١٢٧)

*** قال الشيخ محمّد عبده:**

«ليس في أهل هذه اللغة إلا قائلٌ بأن كلام عليّ بن أبي طالب هو أشرف الكلام ، وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيّه صلّى الله عليه وآله ، واغزره مادةً ، وأرفعه أسلوباً ، وأجمعه لجلائل المعاني».

(الشيخ محمّد عبده: شرح نهج البلاغة ص ٢٢)

*** قالت بشرى موسى صالح:**

«فقضية الصورة في الموروث النقدي العربي مشكلة جوهرية تحتاج إلى مجموعة من الدّراسات الدقيقة المتخصصة».

(بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ص ٢١)

*** قال بيير رفيردي:**

«الصورة إبداع خالص للروح... كلما كانت علاقة الواقعين المتقاربين بعيدة وصحيحة ، صارت الصورة أمتن ، وامتلكت قوة حركية ، وواقعاً شعريّاً».

(فرانسوا موروا: الصورة الأدبية ص ٨٥)

فاتحة الكتاب

جاء في كتاب «شرح شواهد المغني» للسيوطيّ في باب الهمزة:

قال الجاحظ: «ما فتح للشيعة الحجاج إلا الكميت»

(السيوطي: شرح شواهد المغني، منشورات مكتبة الحياة لبنان، ١/ ٣٨)

ونقول: ما فتح للمسلمين الحجاج إلا عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

والدليل على ذلك قوله:

«قَدْ دَارَسْتُكُمْ الكِتَابَ ، وَفَاتَحْتُكُمْ الحِجَاجَ ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ ، لَوْ كَانَ الأَعْمَى يَلْحَظُ ، أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ».

(الشيخ محمّد عبده: شرح نهج البلاغة ص ١٧٨)

مقدِّمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

وبعد فإنّ ممّا لا يخفى على أحد أنّ كتاب «نهج البلاغة» من أشرف الكتب التي حوت درر الكلمات التي فاه بها الفم الشريف لإمام البلاغة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وقد جمع هذا الضخمُّ الزخار بين دفّتيه من العلوم ما يعجز عن إيفاء معانيه حتّى أكابر العباقرة، لذلك صار كلُّ عالم وفاضل ولوذعي وأديب يقتطف بعض ما جادت به يدا أمير المؤمنين من ورود المعرفة والعلم.

ومن أولئك الذين وقفوا منحنين خاضعين أمام شجاعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الأستاذ الدكتور على أحمد عمران، الذي خاض ميادين العناء والتعب، ليبين «أُسلوب عليّ بن أبي طالب في خطبه الحربيّة»،

فجاهد أمرّ الجهاد، وعانى أشدّ العناء، حتّى انتزع درجة الدكتوراه وبكلّ جدارة من بين أصابع كانت تحاول أن لا يُطرح الفكر العلويّ الحرّ في أرجائها.

وبعد نيل درجة الدكتوراه أخذ مؤلّفنا القدير يتردّد بين الفينة والفينة على مكتبتنا المتخصّصة بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وعلى مدار سنتين أو اكثر، يضيف وينقح، ويزيد ويحذف، ويعدّل ويستدرك، حتّى جاء كتابه كما شاءَه رائعاً بديعاً، كاشفاً عن بعض ملامح الأدب العلويّ الشريف في أسلوب أمير البلاغة في الخطب الحربيّة.

ومن هنا بادرت مكتبتنا المتخصّصة بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام لالتقاط هذا الدرّ الثمين، وإظهار هذا الكنز الدفين، وذلك دأبها وواجبها الذي أخذته على عاتقها، فسعت في طبع هذا الكتاب وإخراجه إلى عالم النور بحلّته القشيبة الرائعة، وها هو الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ يروي قصّة امتزاج البطولة بالأدب.

المكتبة المتخصّصة بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام

مشهد المقدسّة

الخطاب الحربي عند أمير المؤمنين عليه السلام

تقديم: الدكتور ناصر المبارك
جامعة البحرين
مملكة البحرين

إن الحديث عن الأخلاق العسكرية -أو أدب الحرب - هو من الأحاديث الغريبة؛ إذ إن القتال في حد ذاته قيمة سلبية لا تليق بالإنسانية ولا تتوافق مع العقل والحكمة، إلا أن الإنسان بما هو مزيج من النوازع المختلطة بين الخير والشر وبما فيه من القوة الغضبية السبعية - كما يسميها علماء الأخلاق - فإنه يقدم عليها ، أو يضطر إلى دفع خصم تهيج به هذه القوة.

وعلى الرغم من إقدام الإنسان على القتال إلا أنه يظل يتذكر إنسانيته وعقله وهو في خضمّ هذا الصراع؛ فيظل متمسكاً بأهداب الأخلاق والعقل والحكمة - إن كان في الصراع عقل وحكمة - .

إنّ الحرب مثل كل الأشياء التي يمارسها الإنسان لها أدب وأخلاق بعضها بدافع الفروسية والنبل كما هو في أخلاق الفرسان عند العرب وغيرهم، أو بقية مروءة وشهامة، أو هو قوانين للحماية تضبط صراع الإنسان، أو قد تكون أدباً دينياً وشرائع سماوية، ولعل الفلسفة العامة في آداب الحروب تتمثل في الكف عن الضعفاء ومعاملة القتال معاملة الجيفة لا يتناول منها إلا ما يحتاج إليه في الحد الأدنى للبقاء، والترفع عن الصغائر من الأمور وحفظ الحرمات التي لا يحتاج إلى انتهاكها أو يستطيع أن لا ينتهكها في الحرب.

وقد عرفت البشرية نماذج كثيرة من الالتزام بهذه الآداب أهمها بالنسبة إلينا ما ورد عن النبي صلّى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام من النهي عن ملاحقة الهارب وقتل الأسير والإجهاز على الجريح وقتل النساء والأطفال وضربهم ، ومن النهي عن الفساد في الأرض بتخريب البيوت أو قلع الأشجار أو تلويث المياه أو قطع الطريق.

إلا أن ما هو أهم من النصوص المرشدة إلى هذه الأخلاق هو نماذج الالتزام بها؛ ذلك أن الإرشادات المماثلة قد تكون موجودة في معظم الأديان والمبادئ؛ ولكن الالتزام بالمبدأ في حالات القتال ـ التي هي حالات عصيبة وأوضاع قاهرة ـ يعد من أصعب الأمور، ويمثل الالتزام بها تجسيدا نادرا

وصبرا عزيزا على الالتزام بالمبدأ؛ ذلك لأن معظم ما ورد من القيم في النصوص وما ورد من التطبيقات لها إنما كان يروى عن معارك كان الحق فيها غالبا، والإسلام قاهرا لخصمه.

إن الكثير من الناس قد يتشدقون بالأخلاق في حالات اليسر أو في وقت الغلبة؛ ولكنهم يتنصلون من المبادئ إذا خافوا الهزيمة، فلا يتركون حينئذ وسيلة مشروعة أو غير مشروعة إلا ارتكبوها رجاء الفوز وطلبا للظفر؛ فهم كما يصفهم الإمام الحسين عليه السلام: «إذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون»، ولو كان الأنبياء والأوصياء يهتمون بالنتائج أكثر مما يهتمون بالسلوك لما كان الطغاة والكافرون والمعاندون أسبق منهم لنيل الدنيا والسيطرة عليها، فالغاية عندهم لا تبرر الوسيلة، وإنما كما يقول أحد العلماء ـ رحمهم الله ـ: «كلما شرفت الغاية شرفت الوسيلة»، فالغاية دعوى والوسيلة دليل؛ لأن الغاية لا يمكن كشف الصدق والكذب فيها، ولكن الوسيلة الشريفة تكشف عن صلاح الغاية.

وأمير المؤمنين عليه السلام يقدم لنا في هذا المجال دروساً عظيمة وفريدة من نوعها؛ فهو لا يختلف عن موقف جميع الأنبياء وأصحاب الرسالات وجميع الأولياء الذين كانوا يلتزمون الأخلاق مهما كان ما يقع عليهم من الظلم والجور والاعتداء؛ وليس ضعفا في الرأي يحبسهم عن المكيدة

والغدر؛ بل ترفعا عن مجاراة الغادر بغدره والسفيه بسفاهته، أليس أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «ما معاوية بأدهى مني»، وإذا كان الفقه (الشريعة) يمثل الحد الأدنى الواجب من الأخلاق، بينما تمثل الآداب (ما يتضمنه علم الأخلاق) المثل الأعلى والحد الأقصى من الأخلاق، فإن أمير المؤمنين عليه السلام يمثل الثاني، وهو الحد الأعلى من مكارم الأخلاق والمثل العليا التي جسدها في جميع مواقفه وأفعاله.

إن أهم ما يشار إليه في هذا المقام هو أن أمير المؤمنين عليه السلام في معاركه كان مهتما بالسلوك أكثر من اهتمامه بالنتيجة المادية، وهذه الحقيقة هي جوهر الأديان إذ إن الله لا يحاسب الناس على نتائج أفعالهم بمقدار ما يحاسبهم على أعمالهم نفسها وإخلاصهم لله فيها.

وإن القارئ في هذا البحث وفي ما استشهد به وتناوله من تصويرات نهج البلاغة ونصوصه ما يرشح بمفهومات العدل ومصاديق الإنصاف والرحمة والصدق والإحسان، وكل معاني الخير، بل إن محاور الحجاج التي تثيرها هذه النصوص كلها تقوم على تصوير هذه المعاني الفاضلة.

هذا من جهة الموضوع والمضمون، وأما من الناحية الفنية فإن الحرب بطبيعتها تكشف عن أوضاع إنسانية قاهرة ومشاعر جياشة تتنوع بين الحماس والشجاعة والرعب والحزن، وكذلك ما تتيحه بيئة الحرب من

تجارب متنوعة بما تشتمل عليه المعركة من حركة المقاتلين والخيول والسيوف والرماح والغبار وما يرتفع فيه من أصوات الصرخات والضربات وصليل الحديد مما يجعل التصوير الفني للحرب تجربة غنية ومعينا لا ينضب للتعبير مما هو حقيق بالدراسة والتأمل.

وكان من توفيقات الله لصديقنا الدكتور علي عمران أن يتناولها بالبحث والدراسة مما وقفه على نتائج طيبة وإثارات طريفة فكان اختياره لهذه المدونة واختصاصها بالدرس اختيارا مهماً غير مسبوق، وتناوله للصورة في هذه المدونة للكشف عن أسلوب الخطب في النهج اختيارا دقيقا لغنى هذه الخطب بالتجربة.

المقدِّمة

لئن حظيت أعمال أرسطوطاليس في فن الخطابة باهتمام منقطع النظير عند الفلاسفة العرب القدامى، فخصوها بالترجمة أولاً، ثم بالتفسير ثانياً[1] إذ تمكَّن الفلاسفة العرب من ترجمة كتب التراث اليوناني عامة وتفسيرها، وكتاب الخطابة لأرسطو خاصة، فإنّ الأقسام الثلاثة الأرسطية (Lexis «العبارة» - Taxis «ترتيب الأقسام» - Eurisis «البصر بالحجة»)[2] لم تُفعّل كما ينبغي إلا في اللكسيس، فقد كانت البلاغة

---

١. انظر على سبيل المثال: كتاب الخطابة للفارابي تحقيق ج. لانقهاد (**Langhade**)؛ وم. قريناشي (**Grignaschi**)، دار المشرق، بيروت ١٩٧١؛ وكتاب تلخيص الخطابة لابن رشد، تحقيق عبدالرحمن بدوي، ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠.

٢. انظر: مقال حمّادي صمود، مقدمة: في الخلفية النظرية للمصطلح ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية مِنْ أرسطو إلى اليوم، سلسلة آداب، منشورات كلية الآداب منوبة ١٩٩٨، ص ٥ - ٤٧.

العربية وما زالت أسيرة اللكسيس (Lexis) أي العبارة[١] ، و لم ينل القسمان الآخران (Eurisis) و (Taxis) حقّهما من الاهتمام فلم تسلط الأضواء عليهما بما يكفي ، وحديثهم عن القسم الثالث حديث طويل ليس هذا محله أو ربما نتناوله في أبحاث قادمة ، ولكن يمكن تعليل ما حصل على النحو التالي: إنّ البلاغة الأرسطية بلاغة خطابة، والبلاغة العربية بلاغة عبارة وجملة ، فالرؤية النقدية عند العربي والمواقف التي يتخذها من مقولة الإبداع عموما محصورة في القسم الثالث وهو العبارة ، وهذا ما عبّر عنه عبدالقادر المهيري بالانحصار[٢] (أي أنّ البلاغة العربية انحصرت في العبارة).

وإذا كان هذا موقف السلف السابقين من الفلاسفة فماذا عمل الخلف

---

١. ويتوسّع حمادي صمود في هذه المسألة قائلاً : «ولقد شاء تاريخ الخطابة أن يجعل من هذا القسم الثالث المساعد أهم الأقسام بل لقد نسي النّاس شيئاً فشيئاً مكوناتها الأخرى واحتفظوا بهذا الجزء على أنّه الكلّ ، ممّا أحدث في تاريخ ممارسة الإنسان للظّاهرة اللغوية تقارباً كاد يكون تطابقاً بين الخطاب (**Discourse**) والنص (**Text**) ، ومن ثم بين الخطابة والأدب ، فأصبحت المقولات الناشئة في أحضانها جارية في دراسة الأدب ونقده ، وأصبحت وجوه القول وصوره المتولّدة عن الاهتمام بقسم العبارة من الخطابة أهمّ جهاز وُظّف لإبراز خصائص القول الجميل ومميزات الكتابة الأدبية » ؛ م.ن. ، ص١٧.

٢. راجع مقدمة عبدالقادر المهيري في كتاب «**أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**» ، ص٩ ؛ وكذلك مقالة حمادي صمود في المرجع نفسه ، ص٣١.

من دارسي الخطابة في العصور الحديثة ، هل استثمروا ما كان قدّمه أرسطو، و ما حاول الفلاسفة العرب جهدهم تفسيره وشرحه؟

إننا لم نجد ـ بعد البحث ـ ممّن اهتم بالخطابة[1] ـ على قلتهم ـ من تجاوز بلاغة العبارة[2] أو درس تمفصل الأسلوب في الخطابة. بل إنّ دارسي النثر الشفوي القديم لم يعملوا على البحث في الأبعاد الاجتماعية والأنثروبولوجية والتداولية لهذا الفن الأدبي ، ولم يهتموا بخطط الخطاب والمقاصد والمواضع في الخطابة العربية والمقامات التي يعبّر بها الخطيب عن

---

١. من المؤلفات الحديثة :

شوقي ضيف ، **الفن ومذاهبه في النثر العربي** ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٧.

أشرف محمد موسى ، **الخطابة وفن الإلقاء** ، ط الخانجي ، القاهرة ١٩٧٣.

محمد أبو زهرة ، **الخطابة وأصولها في أزهر عصورها عند العرب** ، ط دار الفكر العربي ، د.ت

إحسان النص ، **الخطابة السياسية في عصر بني أمية** ، ط دار الفكر ، دمشق ، د.ت.

إحسان النص ، **الخطابة العربية في عصرها الذهبي** ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤.

حسين جمعة العاملي ، **الخطابة** ، ط١ ، مطبعة وزنكوغراف الفكر ، بيروت ١٩٨٣.

٢. نستثني بعض الأبحاث منها :

ـ عبدالله صوله ، **الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية** ، ط جامعة منوبة ، كلية الآداب بمنوبة ، ٢٠٠١.

ـ محمد العمري ، **في بلاغة الخطاب الإقناعي : مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية** ، ط١ ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦.

واقعه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي باستثناء بعض اللمع نجدها في كتابات الجاحظ وعبد القاهرالجرجاني، و لم نجد منهم من درس تمفصل الأسلوب في الخطابة. وأهملوا ظواهر مهمة فيها ، ومن بين ما أهملوه الصورة الفنية في الخطابة ، وإن اهتموا بها فأحكامهم كانت أخلاقية معيارية، فالصورة Image قد فَتَنَتْ نفراً غير قليلٍ من النقاد على اختلاف مشاربهم الثقافية ومستوياتهم العلمية وتخصصاتهم من عربٍ وأجانب ، قدامى ومعاصرين فانصرفت البحوث البلاغية والنقدية في حيز غير قليل ، وتعددت تعريفات الصورة في محاولةٍ لتحديدها تحديداً علميًّا وتحليل عناصرها ، فأقام بعضهم تعريفه على الجنبة اللغوية وانصرف آخرون إلى الجهة الإيحائية ، وعرفها آخر تعريفًا عقليًا صرفًا[1] ، وغير ذلك من التعريفات التي ذكرها الباحثون للصورة.

بيد أن معظم تلك البحوث البلاغية والنقدية قد اتجهت إلى الصورة في الشعر وأهملت الصورة في النثر.

ولذلك انصرف عملنا هذا إلى النبش في أكبر مستويات الأسلوب ، وهو الصورة في خطب علي بن أبي طالب الحربية.

---

١. انظر مثلاً رينيه ويليك وأوستن وارين ، نظرية الأدب ، ترجمة محيي الدين صبحي ، ط٢ المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ص١٩٤.

١ـ دوافع البحث

إنّ الموضوع الـذي نتناولـه بالـدرس والتحليـل ممتـد الأبعـاد متـشعب المداخل ، وقد حملنا على الاهتمام به دواع نجملها في الآتي:

أ ـ منزلة الأسلوب[1] في البحث اللساني الحديث

لقد وصفت الأسلوبية بأنّها الوريث الشرعي لعلم البلاغة[2] على نحو ما يُفهَم مـن كتاب « **القاموس الموسوعي الجديـد لعلـوم اللـسان** » لأوزوالـد

---

١. « إنّ الأسلوب ــ هو آخر ما تفرع عن اللسانيات من علوم اللغة الحديثة ــ ليطمـع إلى سـد هـذه الثغرة تنظيراً وتطبيقاً، وعلماً ومنهجاً ، ولكن هذا العلم لم يثمر بعد ما به نستطيع أن نعـرف بوضـوح على الأقل: ما الأسلوب؟ وما حد مستويات الكـلام؟ مـا الـشعر؟ مـا النثر؟... » ؛ محمـد الهـادي الطرابلسي ، **خصائص الأسلوب في الشّوقيات** ، ص١٠ .

٢. انظر: الحوار الذي أجرته **مجلة ثقافات** :كلية الآداب ــ جامعة البحرين في العدد الرابـع خريـف ٢٠٠٢ ، ص١٥٤ مع الطرابلسي إذ ذكر فيه: « هل الأسلوبية بلاغة ؟ هل هي بلاغة جديدة ؟ كيـف تكون بلاغة والبلاغة عند سائر الأمم قد تحجّرت ؟ الأسلوبية لا تقوم على تعميم ولا على تعليم ولا على تقييم ، ومن المعلوم أنّ هذه العناصر الثلاثة هي التـي تقـوم عليهـا البلاغـة : تعلـيم الأسـاليب الجيّدة وتعميم الظواهر المستنتجة من نصوص على نصوص أخرى ، وتقييم الأعـمال في ضـوء هـذه الظواهر ، هذه هي البلاغة ، والأسلوبية على خلافها. الأسلوبية هي إن شئنا علم ولكنه علم تطبيقي يستند إلى منهج لسانيّ يطمح إلى تقديم أجوبة وتوسيع المعرفة بخصائص الكتابة الأدبية فيما هـو أدبيّ من الكتابات وبخصائص الكتابة التعبيرية التأثيريّة التوثيقيّة في غير الكتابات الأدبية ».

ديكرو وجان ماري سشايفر[١]. وتكوّنت الأسلوبية في القرن التاسع عشر وتفرّعت فروعًا تصب كلّها في إغنائها وإثرائها. والأسلوبية[٢] تطمح في ذلك إلى الوقوف على الخصائص الأدبية لنص ما بدراسة خصائصه اللغوية وبتجاوز الأحكام الذّوقية الانطباعية والبحث عن براهين في النص بالاستعانة بأدوات مستقاة من حقول علمية منها الإحصاء وغيره، «وقضايا الأسلوبية والأسلوب لا تخفى على القارئ الكريم دقة مسالكها، وحدة مقولاتها، وتداخل حقولها، تصوّراً

---

١. هذا الكتاب من ترجمة منذر عياشي، ط جامعة البحرين، ٢٠٠٣، ص٢٤٢.

٢. وممّا قد يسهل الدخول إليها الكتب التالية بالعربية:

ـ صلاح فضل، **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته.**

ـ منذر عياشي، **مقالات في الأسلوبية.**

ـ سعد مصلوح، **الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية.**

ومن الأعمال التطبيقية الشاملة نذكر:

ـ محمّد الهادي الطرابلسي، **خصائص الأسلوب في «الشوقيات».**

ـ سعد مصلوح، **في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية.**

ـ حسن ناظم، **البنى الأسلوبية دراسة في «أنشودة المطر» للسّياب.**

ـ موسى ربابعة، **جماليات الأسلوب والتلقي دراسة تطبيقية.**

ـ خليل رزق، **شعر عبدالوهاب البياتي في دراسة أسلوبية.**

ـ و فتح الله أحمد سليمان؛ **الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية.**

واصطلاحاً»[١].

ودراسة الأسلوب عند أهل الدِّراية صعبة، فتوفيق بكار يذهب إلى أنه «ليس أصعب من دراسة الأسلوب لأنّه جماع الأدب الفذّ ،أوّل ما يبادرنا منه وآخر ما نلقاه ، وما بينهما غيره شيء. إنّه شامل لكيان النّصوص، من أدنى اللّفظ إلى أقصى المعنى، فهو المادّة وهو الشكل وهو الخيال وهو التدّلال جمال قوامه الأقوال. فإنما الأدب في فنّ الكلام وإن يكن فيه إبداع فالأسلوب مجلاه ومداه ، ولا سيماء له إلا الفوارق في العبارة بينه وبين كلّ ما سواه. فباختلافها تتمايز الأساليب»[٢].

ليس هدفنا البحث في ماهية الأسلوب أو الخطابة فدراسة الأسلوب لا تعني تحليل المستويات اللغوية من الناحية الفنية المحضة ، فنحن لا

---

١. عبد السلام المسدي **الأسلوبية والأسلوب** ، ص٩ ؛ ونود أن نشير ها هنا إلى أن كتاب الألماني فيلي ساندرس ، **نحو نظرية أسلوبية** ، ترجمة خالد محمود جمعة ، قد بين إشكالية مفهوم الأسلوب في الفصل الأوّل ص٢٥ ـ ٤٧ ؛ وكذلك كتاب هنريش بليث ، **البلاغة والأسلوبية** ، وقد تحدث صاحبه في القسم الثاني عن الأسلوبية وقال : « ورد على كلمة **Style** (أي أسلوب) كثيرٌ من المعاني ، حتى صار من الصعب تحديدها بتعريف واحد. وهذا راجع إلى أن هذه الكلمة لا تخصّ المجال اللساني وحده ، بل استعملت في مجالات أخرى عديدة من مجالات الحياة اليومية والفن » ص٥١.

٢. انظر: تقديم توفيق بكار لكتاب **خصائص الأسلوب في أدب المسعدي** لفاطمة الأخضر ط١ ، مطبعة حنبعل ماي ٢٠٠٢، ص ٥.

ندرس الأسلوب لذات الأسلوب ولا ندرس الخطبة الحربية لذات الخطب الحربية ، وإنّما ندرس أو نبحث في تمفصل الأسلوب في الخطابة الحربية، وبمعنى آخر كيف يهاجر الأسلوب إلى الخطابة فيتلون بها وتتلون به ؟ وسوف نتناول أكبر مستويات الأسلوب وهي الصورة الفنية فنبحث في أنواعها ، ومصادرها ، ووظائفها في خطب الإمام علي الحربية.

ب ـ خصوصية البحث في خطب علي بن أبي طالب الحربية:

إنّ البحث في خطب علي بن أبي طالب الحربية يتميّز بخصائص متعددة حملتنا على اختيار هذا الموضوع ، ومنها:

١ـ قلة الدراسات النقدية والأدبية المتخصصة في الخطب عامة ـ على حد علمنا ـ وخطب الحرب خاصة.

٢ - أنّ الخطب الحربية تمثل مقداراً كمياً مناسباً للدراسة فمن خلالها نستطيع أن نقف على أهم الخصائص الأسلوبية التي تميّز أسلوب علي بن أبي طالب ، فعليّ بن أبي طالب يشكل مدرسة قائمة بذاتها فقد تأثر به غير واحدٍ في هذا الفن حتى عبد الحميد الكاتب[1] قال (١٢٣/ ٧٥٠): حينما

---

١ . عبدالحميد بن يحيى بن سعد مولى بني عامر بن لؤي ، المعروف بالكاتب «أبو غالب» أديب ، كاتب ، بليغ. أصله من قيسارة ، نشأ بالأنبار ، وسكن الشام ، وسهل سبيل البلاغة ، واختص ←

سئل ما الذي خرجك في البلاغة؟

قال: «حفظ كلام الأصلع يعني علياَ بن أبي طالب»[١].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي(٦٥٦/ ١٢٢٨): «إنّ سطراً واحداً من (نهج البلاغة) يساوي ألف سطرٍ من كلام ابن نباتة، وهو الخطيب الفاضل الذي اتفق الناس على أنه أوحد عصره في فنه»[٢].

٣ ـ أنَ الخطب الحربية من المدونات الخصبة الجديرة بالدراسة والبحث، فإنّ لها خصوصيات في مفرداتها اللغوية وفي طريقة عرضها وتوظيفها للصور، مما يجعلها ميدانا خصبا لدراسة أسلوبية.

٤ ـ ما نسمعه وما تناقلته الكتب عن بلاغة علي بن أبي طالب[٣]، وشهرته

→

بمروان بن محمّد آخر ملوك بني أمية في المشرق؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢/ ٦٧

١. الثعالبي،ثمار القلوب،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٦٣.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٥، ١/ ٨.

٣. انظر مثلا ما كتبه الشيخ محمد عبده شارح نهج البلاغة في مقدمته إذ قال: «ليس في أهل هذه اللغة إلا قائلٌ بأنّ كلام الإمام عليّ بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه(ص)، أغزره مادة، وأرفعه أسلوباً وأجمعه لجلائل المعاني» ص ٢٢؛ وكذلك ما ذكره إحسان النص في كتابه «الخطابة العربية في عصرها الذّهبي»، ط دار المعارف، ١٩٦٣، ص٤٨، حول ←

والمكانة التي كان يتبوؤها بين الخطباء وتقدمه فيهم فقد « امتاز الإمام بأسلوبه البلاغي الخاص به وبطريقته في صناعة العبارة والجملة ، فأصبح أدبه متفردًا ذا خصائص مُعيّنه لا يشابهه أحد من البلغاء »[1].

كل ذلك يدفعنا إلى البحث عن أسباب فرادة خطب الإمام علي الحربية ومحاولة الوقوف على تميزه ، فما انتهى إلينا من بلاغة علي بن أبي طالب لا يكفي وحده إذ لابدّ من دعمه ورفده بالدراسة العلمية الجادة التي تبيّن هذا التفرّد حتّى يتحول السّماع إلى اقتناع مبني على أساس علمي واضح دقيق.

كلّ تلك الأمور تغرينا بالبحث في هذا الموضوع « أسلوب علي بن أبي طالب في خطبه الحربيه ».

ولقد كان البحث في الصورة وأبعادها التخييلية والحجاجية في خطب علي بن أبي طالب الحربية في منطلق مشروعنا هدفاً جزئياً من أهداف هذا العمل ، ومرحلةً من مراحله إلا أنّه تحوّل شيئاً فشيئاً إلى هدفٍ أساسي لا نطمع في تحقيق غيره. وكنا كلّما تشبعنا بالمدونة العلوية مطالعةً وقراءةً

→

بلاغة وفصاحة الخلفاء الراشدين وأن عليّاً أخطبهم : « وكان الخلفاء الراشدون : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي كلّهم خطباء مفوّهين وكان علي أخطبهم ، وقد وصف كلامه بأنّه « دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق » ، وغيرهما كثير ممنْ كتب حول بلاغة الإمام علي.

١. محمّد طاهر درويش ، الخطبة في العصر الإسلامي ، ١/ ٣٤.

وتسجيلاً لملامح الصورة وأبعادها الفنية ، و تقدّم بنا العمل ازداد اقتناعنا بضرورة الاقتصار على إنجاز بحث الصورة الفنية. كما أننا لم نقع على دراسة مستقلة تتحدث عن خصائص الصورة في خطب الإمام علي الحربية، وإن كانت دراسات قليلة قد تناولت الصورة في نهج البلاغة[١].

والغاية هي البحث في نظام الصورة بدءًا من الصور القائمة على التشابه، و الصور القائمة على التداعي ، والبحث في مصادر الصور وانتهاءً إلى وظائف الصور ، في محاولة للإلمام بخصائص الصورة الفنية على وفق دراسة علمية تتجاوز النظر البلاغي في علم البيان إلى علم الأسلوب.. إذ المنهج الأسلوبي أو الأسلوبية تبحث في فن القول لا في «من قيل فيه أو متى قيل»[٢].

وقصرنا البحث على مدونة نثرية مجتزأة من كتاب نهج البلاغة سمّيناها الخطب الحربية، وذلك لقيمتها في الخطاب العربي ومكانتها المهمة في نهج البلاغة ؛ ذلك أن هذه الخطب الحربية كانت أشهر خطبه وأكثرها وثاقة

---

١ . انظر :الصفحات الثماني التي خصصها خالد محيي الدين البرادعي لدراسة الصورة الفنية في كلام الإمام علي:نهج البلاغة نموذجا في مقال نشر بمجلة المنهاج، ط٢، العدد الخامس، ١٩٩٧،ص١٦٥-١٧٢- فضلا عن سطحيتها- لا تصور واقع هذا الأسلوب في خطبة الإمام علي.

٢. في هذا الصدد يقول الطرابلسي: «الأدب يقدّ من كلمات لا من نيات» انظر: حوار (ثقافات) مع الطرابلسي ، ص١٥٥.

وشهرة في المدونات الأدبية ، واشتهر قائلها بفروسيته وبمواقفه الحربية حيث المعارك حتى ضرب المثل بسيفه »[1] .

٢ ـ المنهج

إذا كانت الأسلوبية بتعدد مناهجها وكثرة الدراسات التي طبقتهاو التي انتهجت بدورها هذا المنهج قد هيأت للباحث إمكانية النظر إلى الأثر من جوانب متعددة وفتحت أمامه زوايا بحث متنوّعة، فإنّ زاوية ضبط مجال البحث وتحديده من أصعب وأهم ما يعترض دارس الأسلوب ــ في الوقت الراهن ـ أمام تعدد الاتجاهات وتباينها، وذلك لأنّ الالتزام بمنهج دون غيره هو اختيار من بين مجموعة من البدائل إضافة إلى أن المناهج المتبعة في تحليل أساليب الخطابة التي لا تَسْتَنِد إلى أصول نظرية قد أهملت جوانب كثيرة من المدونة ، فالأسلوبية بوصفها بحثا في الانزياحات وتحديد الفوارق الكمية والكيفية المدعومة بالإحصاءات والنسب قد لا يظهر معها الهدف المرجو من الممارسة البحثية في النصوص الأدبية ؛ وذلك لأنّ فيها إلغاء للنصوص الجميلة الوفية للقاعدة أضف إلى هذا وذاك أن اتخاذ الملامح الأسلوبية والظواهر اللغوية وجعلها جسرا للعبور إلى نفسية منشئ

---

١ . انظر : الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ص٤٩٩ « يُضرَبُ المثل بسيف عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه في المصائب ».

النص مجازفة في الحكم قد لا تستند فيما تستند إليه إلى نصوص بيّنة بل قد تكون اعتداء على النص بما هو كلام جميل تكوّنه الظواهر والأبنية اللغوية... وعلى هذا الأساس فإن أهم ما يعترض دارس الأسلوب[1] وهو في عملية مباشَرَةٍ لتحليل نص من النصوص أو مدونة من المدونات هو مسألة المنهج. كما لا يفوتنا أنّ نقول إنّ الدخول إلى النص الأدبي بآليات عمل محددة ومضبوطة قد يجعل العمل شبه مقنن، كما وقع لبعض الدراسات الأسلوبية في القرن الماضي[2]، إذ كان جانب عام منها هو إعادة الكلام إلى اللغة، فتبحث تلك الدراسات في المعجم المستعمل والصيغ والأوزان من جناس وطباق ومقابلة وغيرها...

إنّ ظهور ومضات سريعة الانقضاء هنا وهناك لا يكفي لأن ندرك جمال

---

١. «إنّ دراسة الأسلوب تعتمد الخطاب وهو مادة تستعصي على التفكيك الذي يقتضيه البحث فإنّه من العسير تخليصها من سلطان «النسبية»، فالمعطيات التي تتناول بالدرس في هذا المجال رهينة ظروف الكتابة، وبنية الأثر الأدبي، وأهداف الكائن، وزيادة على كل هذا وذلك فهي رهينة نظرة الباحث وحساسيته...»؛ انظر مقدمة عبد القادر المهيري لكتاب **الأسلوبية والأسلوب** لعبد السلام المسدي، ص ٦.

٢. انظر على سبيل المثال: **دراسة أسلوبية لشعر بدر شاكر السياب** لإيمان محمّد أمين، أطروحة دكتوراه مرقونة في الجامعة الأردنية، ١٩٩٧؛ ورسالة ماجستير مرقونة في جامعة عدن بكلية التربية بعنوان «**الخصائص الأسلوبية للمثل في كتاب مجمع الأمثال للميداني**»، للطالب سالم عبد الرب صالح السّلفيّ، ١٩٩٩.

النصوص ، إذ يجب الإحاطة بمظاهر الجمال أولاً وبالذات كما يجب تسويغ سر الاستعمال في توظيف الظواهر كافة في النص الأدبي دون الوقوع في التأويل أو إلغاء الاعتباطية بصورة آلية فمن المزالق التي تهدد الدراسة الأسلوبية اليوم سرعة الحكم على الظاهرة ونقل علاقتها الاعتباطية إلى وجود مسوغ.

ونحن اليوم إذ نباشر دراسة المدونة العلوية بالبحث والتمحيص عن الخصائص الأسلوبية واللغوية نجد أن السبيل إلى ذلك هو الإجراء العملي لاقتناعنا بأنّ الدراسة الأسلوبية إنّما هي دراسة تطبيقية على النص هدفها النص ذاته لمعرفة خصائص استعمال الظاهرة من فروق كمية وكيفية لا على اعتبار أنّها مشرِّعة للدراسة الأسلوبية وإنّما لتبين الجمالية الناتجة عن استعمالها وتسويغ سر الاستعمال ، ثم الانتقال من الظاهرة إلى نفسية الخطيب لإدراك قدرة الشكل التعبيري المستعمل في الخطب الحربية على تجسيد الفكرة وتصوير الحالة النفسية ومدى نجاح الخطيب في اتخاذ الظواهر نوافذ للتعبير عن مأساته ؛ وذلك لأنّ المدونة الحربية يكون فيها التعبير عن الصراع أكبر وأشد ، ومن هنا كان منهجنا يعتمد على التركيز الكبير على دراسة الصورة في خطب الإمام علي الحربية ، وكما يقول بوفون:

«الأسلوب هو الإنسان عينه»[١] ولا نستطيع أن نكشف أسلوب علي بـن أبي طالب في خطابته الحربية إلا من خلال دراسـة أكـبر مـستويات الأسـلوب وهي الصورة إذ هي المنتج الـدّلالي الأوّل ـ في تـصورنا ـ بعيـداً عـن التأويـل الخارجي وما يحمله من خطورة على النص وتشويه لدلالته إن لم يكـن تغيـرًا لها.

ولذلك ارتأينا أن مـن الأنجع أن يكون سيرنا مـن التطبيق إلى التنظير[٢]، ضمن الأسلوبية باعتبارها آلية ومنهجا على عكس ما يجري به العمل عـادة في سائر العلوم من التنظير إلى التطبيق وسوف لا يكون حظّ التنظير في هذه الدراسة كبيرا ، فلن ينكشف مفهوم الصورة[٣] أو ماهيتها في نهايـة البحـث

---

١. عبد السلام المسدي ، **الأسلوبية والأسلوب** ، ص ٦٣.

٢. على غرار ما فعل الطرابلسي في كتابه **خصائص الأسلوب في الشوقيات** ، فقد انطلق مـن التطبيـق إلى التنظير ، انظر مقدمته ص ١٠. وكذلك مـا قالـه في الخاتمـة: «ولـذلك نعلـق آمـالا عريـضة عـلى الأسلوبية التطبيقيـة ، ونتوقـع أن يكـون لهـا تـأثير كبـير في مـستقبل البحـث اللغـوي في العربيـة» ص ٣٢٠، فعسى أن يكون بحثنا هذا مليّا ولـو بتواضـع آمـال الأسـتاذ الطرابلـسي وفاتحًـا المجـال للاحقين لتكون أعمالهم أكثر دقة وإجرائية.

٣. انظر ما كتبه فرانسوا مورو حول مفهوم الـصورة فقـال : « إن الكلمـة « صـورة » **Image** هـي واحدة من الكلمات التي ينبغي أن يستعملها عالم الأسلوب بحذر وضـبط دقيقـين ، إذ إنّهـا غامـضة وغير دقيقة في نفس الآن ، غامضة لكونها تسمح باستعمالها بمعنى عام مبهم جدّاً وواسع جدّاً ، ذلك بالنظر إلى هذا الاستعمال من منظور أسلوبي خاص ، وغير دقيق لأنّ استعمالها ولو فـي مجال البلاغـة ←

ولكن ستحصل في عملنا نتائج نستطيع أن نعرف بفضلها ما تكون الصورة الفنية عليه في خطب الإمام علي الحربية .

٣ـ خطة البحث

لقد ارتأينا للكشف عن الصورة الفنية في خطب الإمام علي الحربية أن نجعل البحث في مقدِّمةٍ و خمسة فصولٍ وخاتمةٍ عامة على النحو الآتي:

المقدّمة : وتشتمل على تبيان دوافع البحث من حيث منزلة الأسلوب في الأسلوبية منهجاً ومجاورتها وتعاونها مع البحث اللساني الحديث ، وخصوصية البحث في خطب الإمام علي الحربية، وتبيان المنهج المتّبع في تحليل نصوص المدونة العلويّة الحربيّة ، وتبيان خطة البحث، وتحديد المدونة مكاناً وزماناً ، وذكر أهمّ الصعوبات التي لاقيناها في مسيرة بحثنا هذا.

الفصل الأوّل : وقد عنونّاه بـ (مقدمات نظريَة) ، وجعلناه في مبحثين : الأول كان مدخلا توثيقيا للمدونة العلوية ، ودرسنا فيه الخطب وكيفية انتظامها ، ثم خلصنا من هذا العرض إلى تحديد مكونات الخطابة العلوية الحربية وخصائص تدوينها من حيث المبنى والمعنى. والثاني كان حول

→

المحصور عائم وغير محدد بدقة ؛ فرانسوا مورو ، البلاغة ، ترجمة محمّد الولي وعائشة جرير ، ط٢ أفريقيا الشرق ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص١٥.

مفهوم الصورة الفنية عند النقاد قديما وحديثا ، ودرسنا فيه تعريف الصورة وأنواعها ومصادرها ووظائفها.

الفصل الثاني : وأسميناه (الصور القائمة على التشابه) ، وأدرجنا فيه الصور التشبيهية ، ودرسنا التشبيه المرسل و البليغ والتمثيلي ، ثم عرَّفنا بالصورة الاستعارية ، ودرسنا الاستعارات بأنواعها : التصريحية ، والمكنية، والتمثيلية.

الفصل الثالث : وقد طرحنا فيه موضوع(الصور القائمة على التداعي). وأدرجنا فيه الصور القائمة على التداعي التوافقي، و الصور القائمة على التداعي التقابلي.

الفصل الرّابع : وتناولنا فيه مصادر الصور في علاقتي التشابه والتداعي، وقد قسّمناه إلى قسمين : المصادر التجريبية ، والمصادر الثقافية.

الفصل الخامس والأخير: خصصناه لوظائف الصور في علاقتي التشابه والتداعي ، وتناولنا هذه الوظائف من خلال خمسة محاور تمثل أهم الأغراض التي ينهض بها الحجاج و التي تحققها الصور في المدونة العلوية الحربية.

٤ـ المدوّنة مكاناً وزماناً

إنّ لدراستنا حدوداً تضبطها مكاناً وزماناً ، فهي ـ مكاناً ـ تتجاوز شبه الجزيرة العربية أيام مشورة الإمام علي لعمر بن الخطاب(٢٣هـ) لتصل إلى

البصرة[1] في العراق حيث واقعة الجمل،والكوفة[2] مركز خلافة علي التي تنطلق منها جيوشه إلى الشام حيث التقى جيش الشام والعراق في واقعة صِفّين[3].

وتنقسم ـ زمانا ـ إلى مرحلتين تشمل الأولى أيام خلافة عمر بن الخطاب حين كان يشير عليه الإمام علي بمشورات مختلفة.

---

١. البصرة : وهما بصرتان العظمى بالعراق وأخرى بالمغرب (...) ، وأما البصرتان فالكوفة والبصرة. قال المنجمون البصرة طولها أربع وسبعون درجة وعرضها إحدى وثلاثون درجة وهي في الإقليم الثالث (...) ، أن عليّا (رض) لما فرغ من وقعة الجمل دخل البصرة فأتى مسجدها الجامع فاجتمع النّاس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (ص) ثم قال : أما بعد فإن الله ذو رحمة واسعة فما ظنكم ياأهل البصرة(...)؛ ياقوت الحموي ،معجم البلدان، ط دارإحياء التراث العربي ، بيروت ، لا. ت ، مج ٤، ص١٦٠.

٢. الكُوفة : بالضم.المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق (...) وسميت الكوفة كوفة لاجتماع النّاس من قولهم قد تكوّف الرمل وطول الكوفة تسع وستون درجة ونصف وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلثان، وهي في الإقليم الثالث، ويقال أخذت الكوفة من الكوفان يقال : هم في كوفان أي في بلاءٍ وشر؛ م.ن.، مج٤ ، ص١٦٠.

٣. صفين : بكسرتين وتشديد الفاء (...) وهو موضع بقرب الرَّقَّة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي بين الرَّقَّة وبالس وكانت وقعة صِفَّين بين علي رضي الله عنه ومعاوية في سنة ٣٧هـ في غرّة صفر وقتل في الحرب بينهم سبعون ألفاً منهم من أصحاب علي خمسة وعشرون ألفاً ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً وقتل مع علي خمسة وعشرون صحابيّا بدريّا وكانت مدة المقام بصِفّين مائة يوم وعشرة أيام وكانت الوقائع تسعين وقعة ؛ م.ن. ، مج٣، ص ١٩٥.

وتمتد المرحلة الثانية على مدى خمس سنوات ، ابتداءً من عام (٣٥هـ) حتى تصل إلى لحظة اغتيال الإمام علي بن أبي طالب في عام (٤٠هـ)[١] في مسجد الكوفة على يد رجلٍ يدعى عبد الرحمن بن ملجم[٢].

أما المسرح الذي احتوى أحداث الحرب[٣] ، فتحيط به ظروفٌ وأوضاعٌ صعبة ينقصها الاستقرار. ويكثر فيها الاضطراب ، وليس من العجيب أن تكثر خطب الإمام علي الحربية في هذه الحقبة الصّعبة ؛ نظرًا إلى كثرة

---

١. «وفي هذه السنة قُتِلَ علي في شهر رمضان لسبع عشرة ليلة خلت منه» ، ابن الأثير ، **الكامل**، ٣/ ٢٥٤.

٢. عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي الحميري (٤٠/ ٦٦٠) فاتك ثائر ، من أشداء الفرسان ، أدرك الجاهلية ، وهاجر في خلافة عمر ، وقرأ على معاذ بن جبل فكان من القراء وأهل الفقه والعبادة. ثم شهد فتح مصر وسكنها فكان فيها فارس بني تدؤل. وكان من شيعة علي بن أبي طالب (رض) وشهد معه صفين. ثم خرج عليه ، فاتفق مع « البرك » و « عمر بن بكر » على قتل عليّ ، ومعاوية، وعمرو بن العاص، في ليلة (١٧رمضان) وتعهد البرك بقتل معاوية ، وعمرو بن بكر بقتل عمرو بن العاص ، وتعهد ابن ملجم بقتل علي (...) فضربه ابن ملجم فأصاب مقدم رأسه (...) وتوفي علي (رض) من أثر الجرح ؛ الزركلي ، **الأعلام** ، ط١٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٩، ٣/ ٣٣٩.

٣. انظر مثلاً أحداث الحروب الثلاثة : الجمل ، وصفين ، والنهروان ، التي حدثت في عهد علي بن أبي طالب من خلال ابن الأثير ، **الكامل** ؛ ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٣/ ٨١ – ٢٦٦ ؛ وكذلك يمكنك الرجوع إلى الأجزاء الثلاثة (٥ ، ٦ ، ٧) ، **موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ** ، ط ١ ، قم ، دار الحديث ، ٢٠٠٠.

الأعداء والحروب التي شُغِلَ بها أثناء خلافته ، ونظرًا إلى عدم توافق الراعي مع الرعية وعدم انقيادهم له ، فإنّه ليس غريبًا أن تنبعث من هذه الأوضاع وتكثر خطبٌ ليست في التحريض على القتال ومقاومة العدو وإنما في ذمّ الأصحاب والجند المتقاعسين عن القتال.

خريطة توضح مسير الجيوش في حروب الإمام علي[1]

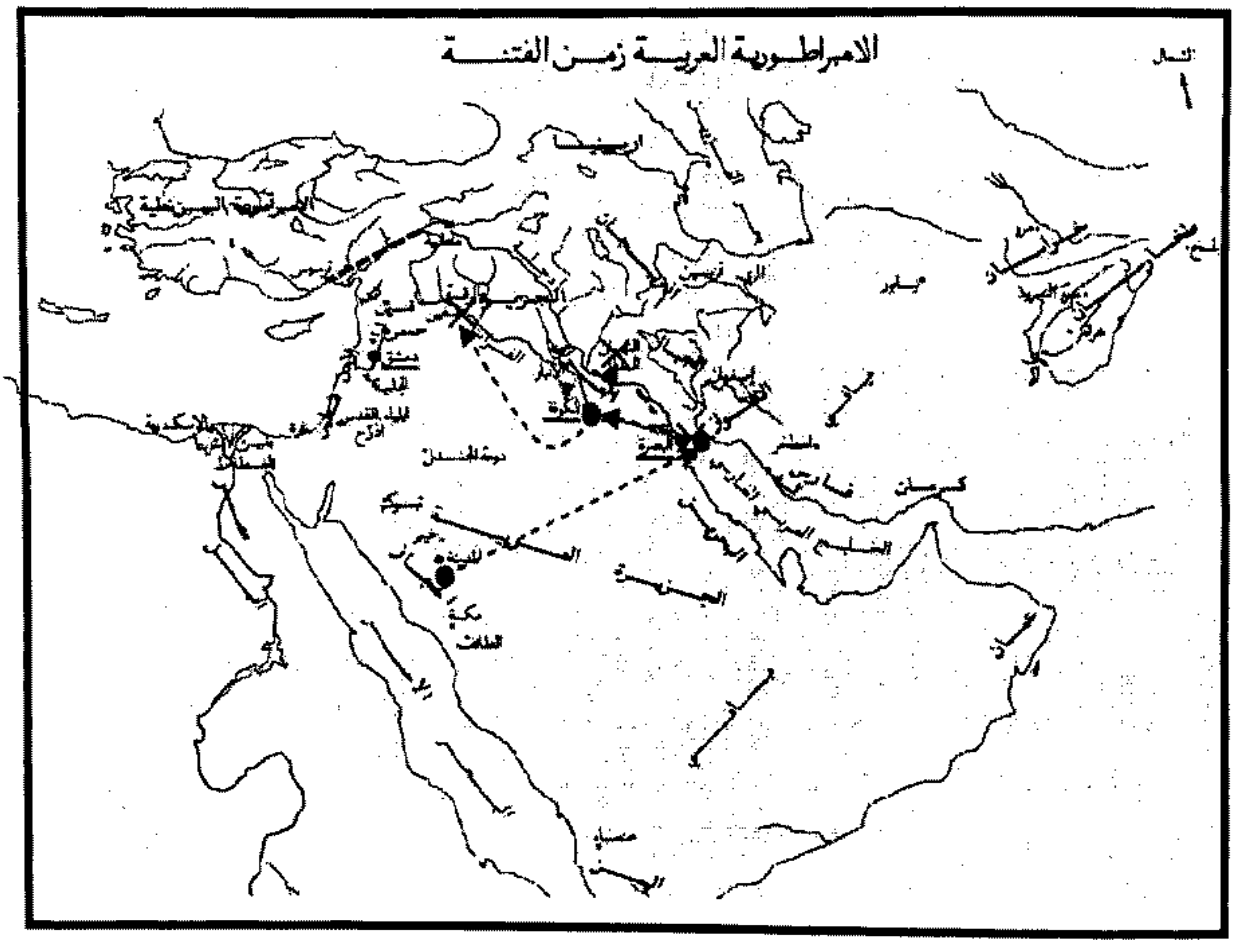

(حرب الجمل) خروج الإمام علي من المدينة إلى البصرة سنة ٣٦هـ.	●-----◄
انتقال الإمام إلى الكوفة مركز الخلافة.	●-----◄
حدوث غارات على الأنبار من قبل جيوش معاوية.	●-----◄
التقاء جيش الشام والعراق في واقعة صفين.	●-----◄
حدوث واقعة النهر وان بين الإمام و الخوارج.	●-----◄
الحد بين الإمبراطورية البيزنطية و الإمبراطورية العربية.	- - - -
أماكن حدوث الحروب الثلاث في زمن الفتنة الجمل وصفين والنهر وان.	×

١. اعتمدنا في رسم هذه الخارطة على كتاب الفتنة لهشام جعيط، ط٤، بيروت دار الطليعة ٢٠٠٠، ص ١٨٤، نقلاً عن مختبر رسم الخرائط بكلية العلوم الإنسانية والإجتماعية بتونس.

٦ـ الصعوبات

لا يخلو البحث في هذا الموضوع من صعوبات اعترضتنا نجملها في ما يلي :

أ ـ كثرة الدراسات التي عقدت في الصورة الفنية[١] في مجال الشعر عوض أن تثري معارف الباحث وتفتح مسالك جديدة فإنها ضيّقت مجال الاستفادة للسببين التاليين:

(١) أنَ هذه المراجع يكرر بعضها بعضا، ولا نكاد نظفر باضافة جادة.

(٢) أنَ المدونة نثرية والمبحث متأصل في الدراسات الشعرية إلى حد الإيهام بأن الصورة الفنية وقف على الشعر دون فنون القول الأخرى. وهو ما يحتم على الباحث الاستفادة من تلك المباحث (الصورة في الشعر) دون أن يفقد البحث خصوصيته.

ب ـ صعوبة الاستفادة من بعض المراجع الأجنبية المتصلة بالصورة الفنية و التي لم نستطع الوصول إليها رغم ما بذلناه من جهد و حرص، و

---

١ . انظر : تفصيل ذلك في « **الدراسات العربية في الصورة الفنية : عرض وتقييم** » لعبير شرف الدين الجربي ، بحث مرقون لنيل شهادة الدراسات المعمقة بإشراف حمادي صمود في جامعة منوبة ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٢ ، ص ٢ تقول : « إننا إذا تصفحنا ما تحتويه المكتبة العربية عن الصورة الفنية لوجدناها غنية، تمتد بين اشارات عابرة وفصول مصغرة وأقسام كاملة (...) تمخضت لهذا المبحث بمختلف جوانبه المتغيرة والمتشابكة ».

الأمر يعود في ذلك إلى عائق لغوي اجتهدنا في تذليله ممّا أتاح لنا استفادة جزئيّة أغنت معارفنا في هذا البحث، و من المؤكّد أنّه ثمّة من هذه المراجع ما يفرض اعتمادها و لا يعني عدم ذكرها ها هنا إهمالا لها أو عدم اقتناع بوجاهتها، و إنّما السبب في ذلك راجع في الأصل إلى تقصير في الباحث ملازم لكلّ جهد بشريّ.

ج ـ ما واجهناه من مفاجآت أثناء العمل بعد أن استقر رأينا على دراسة الخطب الحربية من خلال كتاب **نهج البلاغة**، إذ اقتضت الضرورة المنهجيّة إضافة فصل توثيقي للمدونة العلوية ، وهي إضافة[1] استلزمت منا بحثاً مضنياً عن المخطوطة الأصل لنهج البلاغة ، وهي جهود إضافية لم تكن في الحسبان ، فسافرنا إلى الأردن ، ومصر ، وإيران ، وتركيا، وقد لاقينا صعوبات في إحضارها ، وأزحنا اللثام عن الكثير من المسلّمات كانت شائعة قبل الحصول على المخطوطة ، فوثقناها في الفصل الأوّل ، وجعلنا نماذج منها في الملحق الثاني في نهاية البحث. وهذه الصعوبات لم تقلل من عزمنا ، فاقتحمنا مضايق البحث المختلفة ، وتحملنا مشاقه وعناءه.

هذا، وقد خصصنا مدخلاً توثيقيّا للمدونة في الفصل الأوّل ، أما

---

١. يعود الفضل في إغناء هذا المبحث إلى الدكتور صالح بن رمضان الذي أشار علينا مشكورا بإضافته.

صاحبها فنقتصر في ذلك على ما يغني المقام فنقول :

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، ابن عم النبي ، من أبرز الشخصيات في الإسلام بعد النبي محمّد ، ولد في البيت الحرام (الكعبة) ـ في الثالث عشر من رجب ـ بعد عام الفيل بثلاثين سنة ، واستشهد في مسجد الكوفة ـ في الحادي والعشرين من شهر رمضان عام ٤٠ للهجرة ،وبذلك يكون قد عاش ثلاثا وستين سنة[١] . وله مجموعة خطب ورسائل وأوامر وحكم ووصايا جمعت بعد وفاته في كتابٍ اسمه **نهج البلاغة**.

ولقد كان علي بن أبي طالب وأدبه موضع اهتمام الدارسين من عرب ومستشرقين[٢] . وقد اهتم النقاد وأرباب التاريخ وخاصة أولئك الذين تناولوا أدبه تناولاً تاريخياً من حيث صلته بأطوار حياته ، وحروبه[٣] . والمتتبع لخريطة المساحة النقدية قديماً وحديثاً يلاحظ أن الخطب العلوية لم

---

١ . توفي علي في الستين من عمره وكانت مدة خلافته أربع سنوات وتسعة شهور كلّها معارك ومتاعب ، وقد كان في شبابه من أعظم الأبطال في حروب الإسلام ؛ هذا الرأي للمستشرق مستر موير في عليّ بن أبي طالب نقلاً عن كتاب **الإمام علي** لمحمد رضا ، ط دار الكتب العلمية ، ١٩٣٩ .

٢ . لقد اعتنى المستشرق توماس كارلبل بحياة علي بن أبي طالب في كتابه « **محمّد رسول الهدى والرحمة** » تعريب محمّد السّباعي ، ط المكتبة الأهلية ، بيروت ، ص ٣٥.

٣. ونخص منهم بالذكر ابن الأثير في كتابه « **الكامل** ».

تحظ بالكثير من الدراسات ولم تعالجه إلا دراسات قليلة اكتفت بإشارات من هنا وهناك ، فنجد مثلا في كتاب **البيان والتبيين** للجاحظ محاولة نقدية للتفريق بين مذهب علي ، ومذهب معاوية في خطبة اشتبه فيها القوم وعزوها إلى معاوية وهي لعلي[١] .

وفيما عدا ذلك لا نجد من اهتم بالخطبة وبإبراز جماليات التعبير فيها وفن القول وأبعاد الصورة. وفي القرن الرابع وضع الشريف الرضي (٤٠٦/ ١٠١٥) كتابه الذي جمع فيه خطب علي بن أبي طالب ورسائله وكلماته في كتاب اسمه **نهج البلاغة** ، ثم جاءت شروح كثيرة لنهج البلاغة كشرح **ابن أبي الحديد** ، وشرح **نهج البلاغة** لكمال الدين ميثم البحراني وشرح **نهج البلاغة** للشيخ محمّد عبده ولها مزية شرح المفردات الصعبة في الخطبة ، ولكن هذه الشروح رغم كثرتها ، لم تتناول أسلوب علي بتحليل.

---

١ . انظر قول الجاحظ : « وفي هذه الخطبة أبقاك الله ضروب منَ العجب : منها أنّ هذا الكلام لا يُشبه السّبب الذي من أجله دعاهم معاوية ، ومنها أنّ هذا المذهب في تصنيف النّاس ، وفي الإخبار عمّا هم عليه من القهر والإذلال ، ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي رضي الله عنه وبمعانيه وبحاله منه بحال معاوية. ومنها أنّا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزّهاد ولا يذهب مذاهب العبّاد ، وإنّما نكتب لكم ونخبر بما سَمعْناه ، والله أعلم بأصحاب الأخبار ، وبكثير منهم » ؛ الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق زكريا عميرات ، ط١ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠، ٢/ ٢١٢.

وفي العصر الحديث برزت دراسات نقدية لا نعدم فيها ملاحظات في الأسلوب متفرقة ، ولكنّها قليلة نوعاً ما[1] باستثناء ما كتبته ألفة يوسف في مقالها الموسوم بـ « **أساليب الإقناع في الخطبة: دراسة بعض خطب علي بن أبي طالب الحربية** » فقد تفطّنت إلى أهمية الوسائل الفنية وتأثيرها في المخاطب ، وعالجت الموضوع من وجهة نظر مخصوصة تتعلّق بتوظيف أساليب الإقناع في الخطبة ، وعلى الرغم من طرافة هذه الدراسة فإنها لم تتناول كلّ الخطب وإنّما اقتصرت على بعضٍ منها.

ولئن حظيت حياة علي بن أبي طالب بالكثير من الدراسات[2] فإنّ

---

١. من أمثال: ملاحظات عبّاس محمود العقاد في كتابه عبقرية الإمام علي ، وأحمد محمّد الحوفي في كتابه بلاغة الإمام علي، وتأتي بعد ذلك دراسات انطباعية كثيرة من خلال كتب وكتيبات صغيرة من مثل:

ـ قيم جمالية وفنية في نهج البلاغة والتشبيه في نهج البلاغة لقصي الشيخ عسكر.

ـ أضواء على نهج البلاغة للشيخ خليل رزق.

ـ والإمام علي صوت العدالة الإنسانية لجورج جرداق.

ـ وفي رحاب نهج البلاغة لمرتضى المطهري.

ـ ومع المرأة في نهج البلاغة لفتحية عطوي وغير ذلك.

٢. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : محمد رضا ، الإمام علي ؛ وعبد الحميد المهاجر ، الإمام علي سيرته الذاتية وفكره الحضاري ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٩٩٢؛ ومحمد كاظم القزويني ، الإمام علي من المهد إلى اللحد ، ط ١٥ دار القارئ ، بيروت ، ٢٠٠٠ ؛ ومحسن الموسوي ، ←

نصوصه الشعرية والنثرية ما زالت تنتظر الكثير من الباحثين فهي لم تحظ بدراسة علمية عامة شاملة ـ على حدّ علمنا[1] ـ على أنّ الإمام عليًا لم يلبث أن نال بعض الإنصاف ببحث لوسيمة نجاح عنوانه حجاجية الصورة في خطب علي بن أبي طالب ناقشته في أكتوبر ١٩٩٩[2]. فقد أقامت الباحثة عملها على تمهيد وفصلين، خصصت الاوّل منهما لدراسة مادة الصورة، وخصصت الثاني لأشكال الصور وطرائق عرضها،وبنت الباحثة عملها على الانطلاق من نظرية الحجاج ومن النظرية التجريبية العرفانية في دراسة الاستعارة، وتوصّلت إلى أنّه لمكونّات النسق الاستعاري وظيفة حجاجية

→

دولة الإمام علي، ط ١ دار البيان العربي، بيروت، ١٩٩٣؛ والسيد كمال شاكر، **علي إمام لكل العصور**، ط ١ مؤسّسة الأعلمي، ٢٠٠٣؛ وعبد الزهراء عثمان محمّد، **سيرة أمير المؤمنين**، ط ١ مؤسّسة الفكر الإسلامي، ١٩٩٣؛ ومحمّد باقر الصدر، **الإمام علي سيرة وجهاد**، ط ١، دار المرتضى، ٢٠٠٣. وغيرهم كثير.

١. لا معول على مثل كتاب **علي بن أبي طالب سلطة الحق**. إنّ المؤلف يتوسع في الفصل الحادي عشر (سلطة النص في بلاغة علي بن أبي طالب) في جوانب قد تفيد المبتدئ. أما فيما عدا ذلك فتحاليله لنصوص الإمام علي تلاخيص وأقوال ونتائج كالبدهيات. وكذلك كتاب **بلاغة الإمام علي** لأحمد الحوفي فإنّ المؤلف يتوّسع في الفصل الرابع (بلاغة النهج)في جزيئيات قد تفيد المبتدئ وتحاليله لنصوص الإمام علي تلاخيص ونتائجه كالبدهيات أيضا.

٢. البحث عبارة عن نسخة مرقونة، أعطانا إياها صالح بن رمضان حينما زرناه في مكتبه بمعهد التكوين المستمر في تونس بتاريخ ١٥/ ٠٢/ ٢٠٠٤.

غايتها الخطبة عمومًا. وأنّ الاستعارات في خطب علي السياسية لم تتخلّص من المقصد الحجاجي، بل هي أداة الحجاج بلا منازع. وإذا كان علي قد أخذ شيئا من الإنصاف في هذا البحث، فإن الباحثة لا تكاد تقدّم إلينا في خصوص خطابته و صوره ـ لاسيما في الفصل الثاني الذي رامت الباحثة فيه دراسة أشكال الصور وطرائق عرضها ـ إلا تحليلاً قد يفيد المبتدئ، ويمهّد للدخول في بعض جوانب خطابة علي، ولكنه لا يكشف عن أسرارها، ولا يمكّن من الإبحار في أعماله. وعلى الرغم من استفادة الباحثة من المعطيات اللسانية الحديثة في الحجاج إلا إنّها في الحقيقة لم ترم التوسع في دراسة الخطابة العلوية. أمّا عملُنا في هذا البحث فلا يحتاج إلى إطار لحياة علي بن أبي طالب أو لأعماله؛ وذلك لأنّ اتجاهنا في البحث اتجاه لغوي أسلوبي ينطلق من النص ذاته.

وستكون الخطب الحربية عمدتنا في العمل. وهي خطب تقال في مقام نزاع نظري بين الخطيب وخصمه[1]. أما الجداول والنسب والأرقام والشواهد التي سنذكرها في أعطاف البحث فنعتمد فيها خطب علي بن أبي طالب الحربية المأخوذة من كتاب **نهج البلاغة**، والتي تصل إلى سبعٍ

---

١. انظر: تعريف الخطبة الحربية في أسفل البحث الفصل الأوّل المعنون بعنوان «**مقدمات نظرية**»، ص ٢٨.

وثمانين خطبة حربية ، يصل متوسط حجم النص الحربي من ٥ إلى ١٥ سطراً أي بنسبة ٤٢ ٪ من عدد النصوص (٣٦) نصا. ذلك أنّ مقام الحرب يقتضي الإيجاز والإسراع والاختصار فالإقلال ليس انتقاصا من شأن الخطيب كما أن الاطالة ليست مدعاة إلى الحكم بالجودة[1] والقدرة ، وعليه وجب أن لا ننظر إلى هذا الأمر من هذه الزاوية وبهذا المقياس ؛ لأنه بحد ذاته يثير الكثير من الإشكاليات.

وبعد ، فإنّه ليشرّفنا في خاتمة هذا التقديم ، ويسعدنا غاية الإسعاد أن نعبّر عن شكرنا للأساتذة محمّد الهادي الطرابلسي ، وحمادي صمود ، وصالح بن رمضان، ومحمّد النويري ، وعبد الله صولة ، ومحمّد قوبعة ، و محمّد القاضي ، وشكري المبخوت ، وعبد الجليل العريض ، وحلمي مرزوق ، وحسن مرحمة ، وعيسى الوداعي ، وناصر المبارك ، وغيرهم من أساتذتنا وزملائنا الذين لم يألوا جهداً في تشجيعنا وتوجيهنا ومساعدتنا سواء أكان ذلك بالنصح والإرشاد أم القراءة أم التصويب كلّما سألناهم

---

١. انظر : تعليق الجاحظ على هذا الأمر «أن جميع خطب العرب من أهل المَدَر والوبر والبدو والحضر، على ضربين : منها الطوالُ ومنها القصار ، ولكلّ ذلك مكانٌ يليق به وموضعٌ يحسن فيه. ومن الطوال ما يكون مستويًا في الجودة ، ومُشاكِلاً في استواء الصنعة. ومنها ذوات الفِقَر الحسان والتنف الجياد. وليس فيها بعد ذلك شيءٌ يستحق الحفظ ، وإنّما حظها التخليدُ في بطون الصحف. ووجدنا عدد القصار ، أكثر رواة العلم إلى حفظها أسرع » ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٢/ ١٩٢.

المساعدة والعون. و لأستاذنا الجليل محمّد الهادي الطرابلسي منّا أصدق مشاعر العرفان والشكر والتقدير ، لتفضله بقبوله الإشراف على هذا البحث ولما بذله من جهود في سبيل تقويم ما اعوجّ منه، وهو الذي رافق بحثنا مرافقة طيبة ، ظهرت آثارها على صفحاته ، وكان لنا خير مثالٍ في سخائه ورحابة صدره وغزير علمه ، وجميل صبره ، وتمام توجيهه وتقويمه ، ممّا شحذ عزمنا وشد من أزرنا على المسير في فضاءات البحث متحملين مشاقه، فجزاه الله عنا كلّ خير.

ولا يفوتنا أن نعبّر عن شكرنا لأستاذنا صالح بن رمضان ، فله منا خالص الثناء وجزيل الشكر ، لتفضله بقراء فصول البحث كاملة ، وعلى ما أبداه من صادق الإفادة والعون ، وذلك في ضوء ما قدّمه لنا من ملحوظات علمية قيمة مكنتنا من إخراج العمل على صورته هذه.

ونتوجه لكلّ من أعان من الأصدقاء والزملاء بمشورة أو بفكرة مع عميق عبارات الامتنان والاعتراف بالفضل. ونخص بالذكر هادي الطالبي مدير مكتبة جامعة البحرين وخدمات المعلومات لتوفيره بعض المصادر والمراجع اللازمة للبحث فله خالص الشكر وعظيم التقدير.

وكذلك نخصّ بالذكر القائمين على مكتبة أمير المؤمنين علي عليه السلام التخصّصية بمشهد المشرفة وذلك لفتح أبوابها لي ولتوفير بعض المصادر

والمراجع والمخطوطات اللازمة للبحث فلهم خالص الشكر والتقدير، والأخ جعفر البيّاتي لسعيه الدؤوب معي في تسهيل الطريق لتصوير بعض الخطب من قسم المخطوطات من المكتبة الرضويّة فله كلّ الشكر والتقدير.

وأملنا كبير في أن نكون بهذه الأطروحة قد استطعنا الإسهام في دراسة مبحث شائق شائك واضعين صور علي بن أبي طالب في خطبه الحربية تحت المجهر.

وإنّ دراسة خصائص الصورة في خطب علي بن أبي طالب الحربية هذه كفيلة بإزاحة الغطاء عن مسائل كثيرة وحقائق ظلت مخفية فأصبحت كالمسلمات ـ وهي ليست كذلك ـ طوال قرونٍ من الزمان تحت وطأة ظروف خاصة مختلفة. وجاء هذا البحث ليكشفها ويبين حقيقتها بالأدلة والبراهين. كما نأمل أننا باختيارنا لهذا الموضوع نكون قد اسهمنا في سدّ هذه الثغرة في المكتبة العربية بما نصبو إليه من معرفة الصورة في خطب الإمام علي الحربية ، لا بالاعتماد على ما تداولته المصادر والمراجع عنه من مختارات تقل أو تكثر مع كلّ واحدٍ منها ـ على غرار ما صنع جل أصحاب الدراسات التي تناولت علي وأدبه ؛ الحديثة منها والقديمة بل بالاعتماد على هذه الخطب الحربية وحدها في الكشف عن خصائص الصورة الفنية.

والحمد لله من قَبْلُ ومن بَعْدُ

الفصل الأوّل

مقدِّمات نظريّة

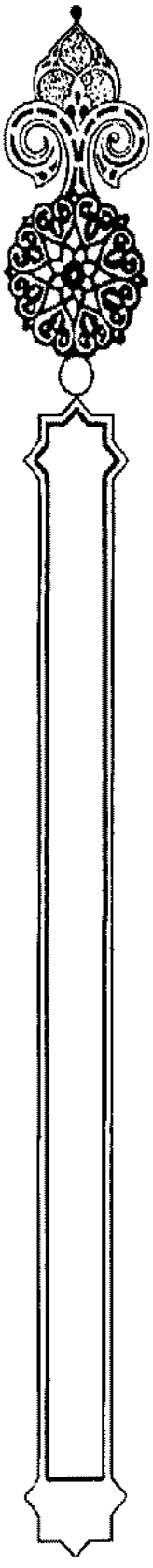

الفصل الأوّل

تمهـــيد

المبحث الأوّل : توثيق المدونة العلوية

تمهيد : تأطير تاريخي للمدونة.

أولاً : الخطب : عددها وكيفية انتظامها.

أ- عدد الخطب

ب- كيفية انتظامها

ثانياً : خصائص التدوين والمدونة.

أ- المبنى

ب- المعنى

المبحث الثاني :مفهوم الصورة الفنية عند النقاد قديماً وحديثاً

أولاً : تعريف الصورة الفنية

ثانياً : أنواع الصور

ثالثاً : مصادر الصورة الفنية.

رابعاً : وظائف الصور.

خاتمة الفصل الأوّل

الفصل الأوّل

مقدمات نظرية

تمهيـــــد

لمّا كان هذا البحث يتناول الصورة الفنية في الخطب العلوية الحربية ، فإنّه صار لزامًا علينا أن نحدد المقصود بعنصري العنوان ، وهما الموضوع المبحوث فيه وهو الصورة الفنية والمجال الذي بحث فيه الموضوع وهو هذه المدونة ، ولهذا فإنّنا نتناول الموضوع والمجال في مبحثين على النحو التالي:

المبحث الأوّل : توثيق المدونة العلوية.

المبحث الثّاني : مفهوم الصّورة الفنية.

المبحث الأوَل

توثيق المدونة العلوية

تمهيد: تأطير تاريخي للمدونة

رأينا من الأنسب لمقاربة مبحثنا هذا «أسلوب علي بن أبي طالب في خطبه الحربية» أن نخصّه بتمهيد تاريخي ييسّر لنا معرفة جوانب لا بدّ من كشفها وإظهار أهميتها، نهتمُّ فيها بعملية تدوين التراث العربي وإشكاليّاتها، ومن ورائها تدوين الخطابة والخطب باعتبارها جزءاً من هذا التراث.

ونعني بعملية التدوين تلك العملية التي يحدث فيها «الترتيب والتصنيف وإعادة الكتابة»[1]، وإعادة الكتابة تعني تدوين التاريخ استنادًا إلى مواد مثل كتب الأنساب والمغازي والسير، «وقد كتبت وأعيد كتابتها

---

١. محمّد عجينة، عملية تدوين التراث العربي وإشكالياتها وأبعادها ضمن مجلة رحاب المعرفة، السنة١ ـ العدد٤ جوان ـ جوليه ١٩٩٨، ص٣٨.

فنشأ منها نسيج من النصوص هو ما وصلنا من أمهات النصوص التاريخية مثل تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر بن جرير الطبري (ت٢٢٤أو ٢٢٥هـ) ومروج الذهب للمسعودي (ت٣٤٧هـ) وغيرها»[1]. وهذه العملية اتضحت معالمها منذ منتصف القرن الثّالث الهجري، وقد مرّت بمراحل مختلفة توّجت سيرورتها وعكست في مجملها التدرّج من مرحلة التشكل إلى مرحلة المراجعة والانتقاء والغربلة تأسيساً وتثبيتاً. كما أنّ التدوين جاء استجابة لعوامل مختلفة منها ما هو معرفي يتمثل في رغبة العرب المسلمين في حفظ تراثهم من الضياع، ومنها ما هو إداري أفرزه تحول الحضارة العربية الإسلامية من طور البداوة إلى طور العمران الحضري لا سيما في عهد الدولة العباسية.

وهذا يطرح إشكالات كثيرة منها أنّها تضع كلّ ما وصلنا من معرفة مثبتة ومجمع عليها موضع مساءلة مستمرة باعتبار أن هذه المعرفة كانت في تلك الحقبة مزيجاً من المخزون التراثي ومتطلبات الواقع المعيش، في محاولة توفيقية نسج خيوطها المتخيل الجمعي، فزاد فيها ما ليس منها، ونقص منها ما هو من جوهرها إذ طرأت عليها تحويرات جذريّة بسبب

---

١. محمّد عجينة، عملية تدوين التراث العربي وإشكالياتها وأبعادها ضمن مجلة رحاب المعرفة، السنة١ ـ العدد٤ جوان ـ جوليه ١٩٩٨، ص٣٨.

ظروف موضوعية متعلقة بضغوط سياسيّة واجتماعيّة ودينيّة... ؛ وذاتية تخص الذاكرة الجماعية لعدم قدرتها على استعادة الماضي كما كان ، وطبيعة الثقافة المسيطرة آنذاك بما هي ثقافة مشافهة ووجدان.

ظهرت الخطابة في البيئة العربية منذ العصر الجاهلي ، وكان الدافع إليها ما كان يصيب علاقات القبائل بعضها ببعض من توتّر بسبب التنازع على أراضي الرعي ، أو السعي إلى حسم الخلاف والتفاوض في الديّات والفدية، إلا أنها لم تكن ذات اتجاهات مختلفة الأغراض والأساليب ، بل كانت نماذج لا تمثّل شخصية الخطيب لأنّه في واقع الأمر متكلم بلسان القبيلة التي يحتّل فيها مكانة كبيرة لا تقل عن مكانة الكاهن أو سيد القبيلة[١] .

وقد نمت الخطابة بعد ذلك وبخاصة بعد ظهور الإسلام ، فقد كانت الخطب تلقى على المنابر قبل صلاة الجمعة وفي العيدين أو عند الخسوف والكسوف ، وكذلك حين يلمُّ بالمسلمين خطب من الخطوب كالحرب والخوف والقحط وانقطاع المطر وما شاكل ذلك[٢] .

وكان الرّسول ومن بعده الخلفاء الرّاشدون أكثر التزاماً بأركان الخطبة

---

١. انظر : ريجيس بلا شير ، تاريخ الأدب العربي ، ٢/ ٨٦٧. ترجمة إبراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق ١٩٩٨.

٢. انظر : دائرة المعارف الإسلامية ، ط. دار الفكر ، مج ٨ / ٣٨٠.

الشرعية[١] يفتتحون خطبهم بالبسملة والحمدلة والشهادة دائماً إضافة إلى عبارة «أما بعد» غالباً وخطبهم في الأعم الأغلب موشحة بآيات من القرآن[٢].

وصارت الخطبة في صدر الإسلام خطاباً موجهّاً إلى المسلمين، فلم يعد غرضها تحريض قبيلة على أخرى أو المفاخرة كما كان الشأن في العصر الجاهلي، بل صار الخطيب ـ وهو عادة المتولي أمور المسلمين ـ لا يلقي خطبا يعظ فيها رعيته فحسب، بل يصدر الأوامر ويتخذ القرارات ويستشير المسلمين في أمور الحرب والسياسة وكلّ ما يمسّهم من قريب أو بعيد، وقد كان الشأن كذلك في عهد الرسول والخلفاء الراشدين من بعده[٣].

وتستمد خطب الرسول قيمتها من كونها مناسبات يعلّم فيها الرسول المسلمين دينهم ويحضّهم على التمسك بمبادئ الدين والعمل بها، وكانت

---

١. ولهذا سميت خطبة زياد بالبتراء لأنها لم تبدأ بهذه الأركان؛ انظر: الجاحظ، **البيان والتبيين**، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٠؛ أبو علي القالي، **الأمالي**، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠١، ٢/ ٧٢٣؛ ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ٢/ ٢٦٣.

٢. **دائرة المعارف الإسلامية**، ٨ / ٣٧٠ – ٣٧٢.

٣. انظر: **دائرة المعارف الإسلامية**، ٨ / ٣٧٣ – ٣٧٥.

خطبه تجسم هذه السلطة الروحية على نفوس المسلمين. وسعى الخلفاء الراشدون من بعده إلى اقتفاء أثره ، واتباع سياسته في خطوطها الكبرى مع الحرص على التصرف والاجتهاد بحسب ما تقتضيه الأوضاع الجديدة للمسلمين.

وأسلوب الرسول والخلفاء الراشدين في خطبهم قائم على الحرص على الوصول إلى الغرض مباشرة دون إطالة في المقدمات ، فهم في الأعم الأغلب ينتقلون من البسملة والتحميد إلى عبارة فصل الخطاب « أما بعد » التي تُنْبِئُ بوصولهم إلى غرضهم المنشود من أقصر الطرق. ولعل السمة المشتركة بين خطب الرسول والخلفاء الراشدين هي خلوها من مظاهر الزخرفة اللغوية أو البلاغية وأبسط مظاهرها السجع إلا ما شذّ وندر، ومردّ ذلك إلى الحرص على عدم التشبه بسجع الكهان[1].

---

١ . انظر تفصيل ذلك في: الجاحظ، **البيان والتبيين** ، تحقيق عبد السلام هارون،ط دار الجيل، بيروت، ج١، د.ت، ص٢٨٤ وما بعدها. إنّ مسألة قلة السجع في ذلك العصر تعود إلى نهي النبي عنه بسبب مشابهته لسجع الكهان ،و كان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون إلى الكهّان العرب، وكانوا يدعون الكهانة، وإنّ مع كلّ واحد منهم رئيا من الجن..؛ قالوا فوقع النهي في ذلك ؛ لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها فيهم ، وفي صدور كثيرٍ منهم ، فلما زالت العلة زال التحريم ؛ ومن ذلك تعليق محمد أبو زهرة على هذه المسألة : « وقد قل السجع في ذلك العصر ؛ لأنّ النفس العربية كانت تميل ←

وخطبهم ـ عادة ـ لا تخلو من الاستشهاد بالآيات القرآنيّة التي تتّخذُ براهين لتأكيد صحة ما يقولون ، وعلى اتباعهم أوامر الله ونواهيه ، كما أنّها لا تخلو من الوعظ ، مهمّا تعدّدت الأغراض ؛ سواء كانت سياسية أو عسكرية ، ومرّد ذلك إلى أن النبي والخلفاء الراشدين كانوا حريصين على تعليم الناس دينهم وعلى تقويمهم إن حادوا عن طريق الجادة في هذا الدين الجديد ، وليس ذلك بغريب ؛ لأنّ الدولة الإسلامية الفتيّة

كانت في طور التأسيس والتشييد ، ونفوس المسلمين لا تزال قريبة العهد بحياة الجاهلية ، فكان من الضروري الحرص على ترسيخ قيم الدين الجديد في نفوس أتباعه حتى لا يخالطها زيغ أو باطل إذ إنّ الغرض الأساسي من الخطابة الإسلامية هو الناحية الإعلامية لتوحيد الناس على رأي جامع ، وإعلان القرارات التي تتخذها الدولة وبيان موقف الخليفة من كل حادث وقرار.

وقد كان للظروف التي حدثت في عهد الإمام علي من حروب[1] وقتال بين طوائف المسلمين أثرها البالغ ، فأفرزت خطبا جمّة للخليفة علي بن أبي

→

إلى عدم التكلف والصنعة. وزاد الخطباء ابتعادا عن السجع نهي النبي (ص) عن سجع الكهان؛ محمد أبو زهرة ، الخطابة، ط دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢١٩.

١ . حدثت في عهده ثلاث حروب هي : الجمل ، وصِفّين ، والنَّهروان.

طالب تناقلها الرواة في كتبهم عامة ، وكتب الوقائع خاصة[١].

وفي منتصف القرن الرابع الهجري تصدى الشريف الرضي[٢] لجمع محاسن خطب الإمام علي وأوامره وكتبه ورسائله وحكمه ومواعظه في كتاب أسماه (**نهج البلاغة**). وقد تناولت لغتَهُ طيلة القرون الماضية عشرات الكتب والدراسات والمقالات بالتعريف والتفسير والترجمة والشرح على أيدي رجال كثيرين. وأشار عبد الزهراء الخطيب في كتابه **مصادر نهج البلاغة** إلى أنّ هذه الشروح والتفاسير بلغت مائة شرح وشرحا

---

١. انظر مؤلفات الجاحظ ، والمسعودي ، وكتب التاريخ كالكامل وواقعة الجمل وصفين؛ وانظر مثلا: كتاب **مصادر نهج البلاغة** لعبد الله نعمة ، ط دار الهدى ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٦٠ ـ ٦٢ ، فهو يذكر الكثير من المصادر التي ذكرت خطبا ورسائل وكلمات لعلي بن أبي طالب قبل عصر الشريف الرضي بزمن طويل.

٢. الشريف الرضي : (محمد بن الحسين)(٤٠٦ ـ ١٠١٥): هو « أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، المعروف بالموسوي صاحب ديوان الشعر (...) وصنف كتابا في معاني القرآن يتعذر وجود مثله دلّ على توسعه في علم النحو واللغة وصنف كتابا في « مجازات القران » فجاء نادرا في بابه.(...) وكانت ولادته سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ببغداد ؛ وتوفي بكرة يوم الأحد سادس محرم ـ وقيل صفر ـ سنة ست وأربعمائة ببغداد ، ودفن في داره بخطّ مسجد الأنباريين بالكرخ » ؛ ابن خلكان ، **وفيات الأعيان**، تحقق محمد عبد الرحمن ، ط١ دار النفائس ، الرياض ، ١٩٩٧، ج٢ ، ٤٢٢ـ ٤٢٧.

واحدا[١].

ولما كانت الدراسات الأسلوبية تقيم إجراءاتها العملية على النصوص كان لزاما على الباحث التثبت في اختيار المدونة خاصة إذا كانت الطبعات متباعدة زمانيًا ومختلفة مكانيا[٢]. واستلزمت عملية الانتقاء العودة إلى شرّاح المدونة العلوية في طبعاتها المختلفة بغية دراستها ومقارنة بعضها ببعض لإدراك ما فيها من اختلاف، ولمعرفة أي الطبعات أكثر ضبطاً علمياً وأقدر على تحقيق موضوعية العمل.

وقد عدنا إلى الكثير من شروح المدونة العلوية المجموعة في كتاب **نهج البلاغة**، ثم اعتمدنا في بحثنا هذا على شرح الشيخ محمّد عبده، الصادر عن دار الكتب العلمية ببيروت لسنة ١٩٩٣ لمسوغات كثيرة منها:

أولاً: أنّها النسخة الشائعة في الوطن العربي والعالم الإسلامي والغربي.

ثانيًا: أنّ هذه النسخة تشتمل على الجزء المشترك بين جميع النسخ والشروح من غير زيادة.

---

١. عبد الزهراء الخطيب، **مصادر نهج البلاغة**، ط٣، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥، ١/ ٢٠٢ - ٢٥٤.

٢. انظر: الأميني، **كتاب الغدير**، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٤، ٤/ ٢١٥ – ٢٢٣.

ثالثًا : أنّه اعتمد نظاما واضحا في الترتيب ، فقد أورد النصوص وبها أرقام الخطب ، واعتمد عنوانات الشريف الرضي وشفع كتاب النهج بمقدمة ذكر فيها أهم ما يعرف عن علي بن أبي طالب ، والشريف الرضي جامع النهج ممّا يدلّ على تثبته فيما ذكر.

وتعد هذه الطبعة أحسن ضبطاً والعمل فيها أكثر علمية من غيرها لما فيها من استقصاء في الجمع واجتهاد في التنظيم ، وتوثيق لمصادر الخطب في غير نهج البلاغة.

أولاً: عدد الخطب الحربية وكيفية انتظامها في نهج البلاغة

« إنّ الخطبة الحربية هي خطبة تقال في مقام نزاع نظري بين الخطيب والخصم من شأنه أن يغدو نزاعا ميدانيا بينهما وأنصارهما »[1].

وانطلاقاً من هذا التعريف للخطب الحربية نتساءل هل أنّ كل ما جاء في مدونتنا المختارة يمكن تصنيفه على أنه خطبة ؟

والحقيقة أنّ كلمة « خطب » التي استخدمناها في العنوان مستعملة بتجوّز إذ ليست المدونة المختارة ضمن نطاق الحرب كلّها خطباً بالمعنى

---

١. ألفه يوسف ، « أساليب الإقناع في الخطبة دراسة في بعض خطب علي بن أبي طالب الحربية » ، ضمن مشكل الجنس الأدبي في الأدب العربي القديم ، سلسلة الندوات ، منشورات كلية الآداب منوبة ١٩٩٤، ص٢٦٧.

المنبري للخطبة أي لـها بداية ونهاية ، ولها شـكل جـاهز تـام ، وإنّـما فيهـا جانب من الخطب ألقي أمام جمهور متجانسٍ سواء أكان جمهـورا معارضـا معاديا كالخوارج أمّ جمهورا موافقا مساندا كأصحابه وأنصاره وقد قالها عليٌّ وهو في حالة غضب أو في حالة ألم و حزن ، وتوجد قطع نصّيّة أخرى فيهـا المجاوبـات وفيهـا الوصـايا ، وفيهـا المحـاورات ،... فهـي مجموعـة مـن الأجناس الخطبية ضمن الخطب المعروفـة[1] . ولمـا كـان كـلام عـلي بـن أبي طالب قد عُدَّ كلّه بليغًا ، فجمّاع النصوص والشرّاح منذ بداية القـرن الثـاني أي منذ بداية التدوين حـتى عصر استكمال النص على يد الشريف الـرضي (٤٠٦/ ١٠١٥) ، عندما جمعوا الخطب لم يجمعوها على اعتبار أنّهـا خطـب منبرية ، بـل باعتبارهـا خـطابة عـلوية أي (هـي جميـع أشـكال المـشافهة البلاغية) سواء أكانت المشافهة جماهيرية أمـام جمهور أم مشافهة فردية أمام فرد فهي بلاغة الخطابة في جميع وجوهها. فالمتكلمون عندما كانوا يجلـسون في المساجد ويتناظرون في الكلام كانوا يتناظرون بالخطابة الحواريـة ، فهـي إذن نوع من الخطابة ، ولكن ليس لها خطة مثل ما رأينـا في الخطبـة المنبريـة (مقدمة وعرض وخاتمة) ، وإنّما تخضع لظـروف الـتلفظ وظـروف المقـام. فخطابة علي بن أبي طالب مـن النثـر الـشفوي البليـغ ، فيهـا مـن الخطـب

---

١ . يمكن ملاحظة ذلك في الملحق رقم واحد الموضوع في نهاية الكتاب.

وغيرها.

أ - عدد الخطب

إنّه من الأنسب اعتماد جداول لعدد الخطب الحربية الواردة في كتاب نهج البلاغة ، حتى يتيسّر بها إبراز نوع النصوص الحربية ، وعددها ، ونسبها المئوية للقارئ.

الجدول الأوّل :

التسلسل	نوع النص	عدد النصوص	النسبة
١	الخطبة	٤٨	٥٦ ٪
٢	المحاورة	١٨	٢١ ٪
٣	المجاوبة	١٦	١٨ ٪
٤	المراجعة	٣	٣ ٪
٥	الوصية	٢	٢ ٪
المجموع		٨٧	١٠٠ ٪

يكشف الجدول الإحصائي الأوّل ، تفاوتاً في عدد النصوص الحربية في الخطابة العلوية ، فقد استأثرت الخطب بالقسم الأوفر ، أي ما يعادل نسبة (٥٦٪) ، وهو ما يربو على نصف النصوص الواردة في المدوّنة والبالغ

عددها سبعةً وثمانين نصّاً حربياً (٨٧).

ويمتد هذا التفاوت ليشمل المحاورات ، فقد ورد ثمانية عشر نصاً (١٨) أي ما يعادل (٢١٪) ، و هذا العدد أقل من الربع قليلا ، كما وردت المجاوبات في ستة عشر نصاً (١٦) وبنسبة (١٨٪) بأقل من نسبة المحاورات بقليل.

أمّا المراجعات والوصايا ، فجاءت الأولى بثلاثة نصوص (٣) بنسبة (٣٪) والثانية بنصّين (٢) أي بنسبة (٢٪).

يبدو من خلال هذه القراءة الأولى ، أنّ الخطب من أكثر نصوص مدونتنا الحربية انتشاراً ، تليها المحاورات ، فالمجاوبات ، ثم المراجعات ، والوصايا؛ وذلك لأنّ الخطيب في حالة تفاعل حواري ، فالمواقف الحربية تتطلب مثل هذا النوع من الخطابة التي هي أكثر إفحاماً.

ب ـ كيفية انتظامها

من خلال الجدول السابق يمكننا طرح سؤالين حول كيفية انتظام الخطب الحربية في المدونة.

ـ كيف بُنِيَتْ الخطب الحربية العلوية ؟

ـ كيف انتظمت وتشكلت المنظومة الخطابية للخطب في مدونتنا الحربية؟

انتظمت المدونة الحربية العلوية كلّها في باب الخطب ، إذ قسم الشريف الرضي كتابه الموسوم بنهج البلاغة إلى ثلاثة أقطاب :

أولا : الخطب والأوامر ، **وثانيا** : الكتب والرسائل ، **وثالثا** : الحكم والمواعظ.

إذن خطابة علي بن أبي طالب فيها من الخطب الحربية و فيها أجناس أخرى فرعيّة، سوف ندرس ذينك القسمين مع التمثيل لكلّ نوع فيهما :

١ ـ الخطب

تخضع الخطبة العلوية في الغالب إلى نظام يمكن رصده في البناء الذي يستند إلى معيارين أساسيين هما معيار المعنى ومعيار المبنى:

معايير التقسيم في الخطبة العلوية:

١ـ المعنى: يقوم الخطيب بالتمهيد للموضوع والإعداد له لتهيئة المتلقي نفسيًا وإثارته ذهنيًا لتقبل موضوع الخطبة، ثم ينتقل إلى الغرض فيعرض الفكرة ويتوسع فيها فتأخذ القدر الأكبر مقارنة بالمقدمة. بعدها ينتهي إلى الخاتمة أو استنتاج يسعى فيه إلى ترسيخ فكرة أو معنًى في ذهن المتلقي ومن هنا تصبح الخطبة مبنية على ثلاثة عناصر أساسها المعنى.

٢ـ المبني: تخضع الخطبة إلى ثلاثة عناصر أيضا، ولكن هذه المرة وفق

مؤشرات لغوية وعلامات تبين البداية وتكون غالبا لفظا شائعا معروفا كالحمدلة أو غيرها وتبين العرض باستخدام قالب لفظي يكون عادة بفصل الخطاب (أما بعد) كما تبين تلك العلامات المرحلة الأخيرة أي الخاتمة أو النتيجة وفق جملة من الحروف والأدوات تدل على الاستنتاج والاختتام مثل الفاء وحتى... ويمكننا أن نتبين نوعين من الخطب في مدونتنا الحربية العلوية:

(١) خطب تخضع للتقسيم الثلاثي (مقدمة ، عرض ، خاتمة)

ومثالها الخطبة رقم (٣٥) التى يبدؤها بمقدمة يضمنها الأركان الشرعية للخطبة من الحمدلة والشهادتين والصلاة على النبي إذ يقول فيها:

« الْحَمْدُ لله ، وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ ، وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ».

ثم بعد ذلك يبدأ عرض الموضوع بقوله:

« أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ ، تُورِثُ الْحَسْرَةَ ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي ، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي ، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرِ أَمْرٌ ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ ، وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ ».

ثم يختم خطبته بالتمثيل ببيت شعر يصور الحالة التي هو عليها مع أصحابه، فكنت وإيَّاكم كَمَا قال أَخو هوازنَ :

« أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرِجِ اللِّوَى

فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلاَّ ضُحَى الْغَدِ »[1]

(٢) خطب تخضع للتقسيم الرباعي (مقدمة ، عرض ، تفنيد ، خاتمة)

ومثالها الخطبة رقم (٢٧) التي فقدت مقدمتها، ثم بعد ذلك يبدأ عرض الموضوع بقوله:

«أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللهِ الْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ، رَغْبَةً عَنْهُ، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَشَمِلَهُ الْبَلاَءُ، وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءَةِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالأَسْدَادِ، وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسِيمَ الْخَسْفَ، وَمُنِعَ النَّصَفَ. أَلاَ وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلاَنَاً، وَقُلْتُ لَكُمْ : «اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ ، فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلاَّ ذَلُّوا».

فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الأَوْطَانُ. وَهذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأَنْبَارَ وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ

---

١. الخطبة ٣٥.

حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ ، وَالأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا ، وَقُلْبَهَا ، وَقَلاَئِدَهَا وَرِعَاثَهَا ، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلاَّ بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ ، وَلاَ أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ.فَلَو أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً. فَيَا عَجَباً! وَاللهِ يُمِيتُ القَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ.

ثم بعد ذلك يبدأ تفنيد الموضوع بقوله:

فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَي يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلاَ تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلاَ تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ. فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ، قُلْتُمْ : «هذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ ، أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ» ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ ، قُلْتُمْ : «هذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ»، كُلُّ هَذَا فِراراً مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ.

يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلاَ رِجَالَ ! حُلُومُ الأَطْفَالِ ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ ، وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً ، وَاللهِ ، جَرَّتْ نَدَماً ، وَأَعْقَبَتْ سَدَماً. قَاتَلَكُمْ اللهُ! لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً ، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً،

وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلاَنِ.

ثم يختتم خطبته بعرض مزاعم قريش والرد عليها في قوله:

حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ: «إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ».

لله أَبُوهُمْ !! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِراساً وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي ؟ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ ، وَها أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ ، وَلكِنْ لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ»[1].

لعل المتأمل في هاتين الخطبتين يجد تماثلا بينهما من جهة بناء الخطيب لخطبه، فهو يخضع الخطبة الأولى للتقسيم الثلاثي(المقدمة، والعرض، والخاتمة). أمّا الخطبة الثانية فيعمد إلى توزيعها توزيعًا رباعيًا وفي كلّ الأحوال يظلّ المعيار واحدا وهو ثنائية المبنى والمعنى، ذلك أننا نجد مسوغًا لهذا التقسيم من جهة المعنى ومن جهة المبنى وهو معيار لم يخل منه التراث النقدي القديم في ضبطه لسنن القول الشّفويّ[2].

---

١. الخطبة ٢٧.

٢. انظر: ابن قتيبة ، الشّعر والشّعراء، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان٢٠٠٠، ص٢٠ حيث نلاحظ تناسبا بين بنية الخطبة هذه و بين بناء القصيدة العربية إذ يقول: « أنّ مُقَصِّدَ القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببًا لذكر أهلها الظاعنين(...) ثمَّ وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة(...) فرحل في ←

٢ـ الخطابة

لقد كانت بعض الخطب في مدونتنا الحربية العلوية غير مستجيبة للمعنى الأجناسي، وإنّما هي نوعٌ من الخطابة النثرية البليغة – كما رأينا – في الجدول الأوّل السابق[١].

ويمكننا أن نعطي نموذجاً لكلّ نوع :

(١) المحاورات

نذكر على سبيل المثال الخطبة رقم ١٢. التي تبدأ بمحاورة بعض أصحاب الإمام علي بعد أن انتصر على أعدائه في معركة الجمل :

لَمَّا أَظْفَرَهُ اللهُ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ، وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَدِدْتُ أَنَّ أَخِي فُلاناً كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ.

رد الإمام علي على الصاحب الذي تمنى أن يكون أخوه قد شهد معهم هذا النصر :

→

شعره وشكا النصب(...) فإذا علم أنّه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل(...) بدأ في المديح فبعثة على المكافأة وهزّة للسماح وفضّله على الأشباه وصغّر في قدره الجزيل. فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدّل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحدًا منها أغلب على الشعر ولم يُطِلْ فيُمِلَّ السامعين ولم يقطع بالنفوس ظمأ إلى المزيد».

١. لاحظ الجدول رقم (١)، ص٥٢.

فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : « أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا ؟

رد الصاحب بقوله:

فَقَالَ : نَعَمْ.

ثم يختم الإمام علي هذه المحاورة بقوله :

قَالَ : فَقَدْ شَهِدَنَا ، وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ ، سَيَرْعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَيَقْوَي بِهِمُ الإِيمَانُ »[1].

إنّ المتأمل في هذه القطعة النثرية يجد اللغة الحوارية واضحة (قال بعض أصحابه ، فقال له الإمام، فقال..،قال...) ، فهي محاورة تابعة لجنس الخطابة.

(٢) المجاوبات

نعطي على سبيل المثال الخطبة رقم ١٤٤. وهي مجاوبة تتعلق أساسًا بمقام مشاورات ؛ ذلك أنّ عمر بن الخطاب في أيام خلافته اجتمع بالصحابة يستشيرهم في أمر خروجه إلى نهاوند لقتال الفرس بنفسه ، فهذه المجاوبة إذن حاملة لرأي ونصح

وَقَدِ اسْتَشَارَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فِي الشُّخُوصِ لِقِتَالِ الْفُرْسِ بِنَفْسِهِ :

---

١. الخطبة ١٢.

« إِنَّ هَذَا الأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصرُهُ وَلاَ خِذْلاَنُهُ بِكَثْرَةٍ وَلاَ بِقِلَّةٍ ، وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ من الله ، وَاللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ. وَمَكَانُ الْقَيِّمِ بِالأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنْ الْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ ، فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وَذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً ، وَالْعَرَبْ الْيَوْمَ ، وَإِنْ كَانُوا قَلِيلاً، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالإِسْلاَمِ ، عَزِيزُونَ بِالاِجْتِمَاعِ ، فَكُنْ قُطْباً ، واسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ ، انْتَفَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ العَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ.

إِنَّ الأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا : « هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا قَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ » ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ ، وَطَمَعِهِمْ فِيكَ ، فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَة »[1].

---

١. الخطبة ١٤٤.

(٣) المراجعات

ونقدم هذا المثال الخطبة رقم ٣٦ ، والتي راجع بها الخوارج الذين خرجوا عليه وخطّؤوه في التحكيم ونقضوا بيعته وجهروا بعداوته وصاروا له حربا واجتمع معظمهم عند النهروان،وهو اسم لأسفل نهر بين الخافقين وطرفاه على مقربة من الكوفة في صحراء حروراء ، وسموا بأهل النهروان، وقد خرج إليهم الإمام علي يعظهم في الرجوع عن مقالتهم والعودة إلى بيعتهم فأجابوا النصيحة برمي السهام وقتال أصحابه، فأمر الإمام علي أصحابه بقتالهم وسبق القتال هذا الإنذار الذي تراه في قوله:

«فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهْرِ ، وَبِأَهْضَامِ هَذَا الغَائِطِ ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلاَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ. قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ ، وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الحُكُومَةِ ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ. وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ ، وَلَمْ آتِ ـ لاَ أَبَالَكُمْ ـ بُجْراً ، وَلاَ أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً»[1].

(٤) الوصايا

ويمكن أن نذكر على سبيل المثال هذه الخطبة رقم ١١ ، وهي وصية

---

١. الخطبة ٣٦.

أوصى بها الإمام علي ابنه محمّدا لمّا أعطاه الراية يوم الجمل إذ يقول فيها:

«تَزُولُ الْجِبَالُ وَلاَ تَزُلْ، عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ، أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ. تِدْ فِي الأَرْضِ قَدَمَكَ. اِرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَومِ، وَغُضَّ بَصَرَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ»[1].

إنّ انتظام الخطب في كتاب «**نهج البلاغة**» بهذه الكيفية يعطينا تصوراً عن رؤية المدوِّن والجامع لها وهو الشريف الرضي ومشاغله، فهو عمل لا يتعدى مرتبة الاجتهاد الشخصي القابل للمراجعة، فلا يمكن تحديد مقياس يتم بمقتضاه أي توزيع لهذه الخطب. ونتساءل في هذا المضمار عن علاقة عنوان الكتاب «**نهج البلاغة**» بموضوعات الخطب المدرجة ضمنه: هل يستوفي مضمون الخطب معنى عنوان الكتاب؟

والجواب، نعم، فالشّريف الرّضي بعدما جمع الكتاب سماه بهذا الاسم لأنّه يفتح للناظر فيه أبواب البلاغة، وفيه بغية البليغ كما يقول في مقدمته: «ورأيتُ من بعد تسميةَ هذا الكتابِ بنهجِ البلاغةِ إِذْ كانَ يَفتَحُ للناظرِ فيه أبوابَها ويقربُ عليه طِلابَها. فيه حاجةُ العالمِ والمتعلمِ وبغيةُ البليغِ والزَّاهدِ»[2].

---

١. الخطبة ١١.

٢. محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٣، ص٥ـ٦.

وإنّما قصِدَ بتسميته نهج البلاغة أنّه يمثل بالخطب التي اشتمل عليها نماذج عالية من الأدب يحتذيها طالب البلاغة والساعي إليها، ويتعلم منها فنون البلاغة إذا ما تمثلها ونسج على منوالها شأنه في ذلك شان من جمع عيون الأخبار ومختارات الشعر ومجامع الأمثال.

وقد شاع في عصر الشريف الرضي الجمع والتأليف للمتون الأدبية والمختارات الشعرية والحديث ، وقد علّق محمّد عبده على تسمية الكتاب بهذا الاسم ومدى تطابق العنوان على المعنون بقوله : « ذلكَ الكتابُ الجليلُ هوَ جملةُ مَا اختارَهُ السّيد الشّريف الرّضي رحمه الله منْ كلامِ سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، جَمَعَ مُتَفرِّقَهُ وسماه بهذا الاسمِ « **نهج البلاغة** » ولا أعلمُ اسماً أليقَ بالدلالة على معناه منه. وليسَ في وسعي أن أَصِفَ هذا الكتابَ بأزيدَ مِمَّا دَلَّ عليه اسمه ، ولا أن آتي بشيءٍ في بيانِ مزيتهِ فوق ما أتى به صاحبُ الاختيار (...) لما احتجنا إلى التنبيه على ما أودعَ نهج البلاغة من فنونِ الفصاحةِ، وما خُصّ به من وجوه البلاغة ، خصوصاً وهو لم يترك غرضاً من أغراض الكلام إلا أصابه ، ولم يدع للفكر ممراً إلا جابه »[1].

---

١. محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص٢١.

ويـذكر محمّد محيي الدين عبد الحميد قولاً حول نهـج البلاغـة وبلاغتـه هـو: « نهج البلاغة هو الكتاب الذي جمع بين دفتيه عيون البلاغة وفنونها ، وتهيأت به للنظر فيه أسباب الفصاحة ودنا منه قطوفها ، إذ كان مـن كـلام أفصح الخلق بعد رسول الله (ص) منطقـا ، وأشـدهم اقتـداراً ، وأبـرعهم حجةً ، وأملكهم للغة ، يديرها كيف شاء ، الحكيم الذي يصدر الحكمة عن بيانه ، والخطيب الذي يملأ القلبَ سحرُ لسانه ، العالم الـذي تهيـأ لـه مـن خلاط الرسول وكتـابة الوحي والكفـاح عـن الـدين بـسيفه ولـسانه منـذ حداثته ما لم يتهيأ لأحد سواه »[1].

يضاف إلى ذلك شهادة العلماء في بلاغة هـذه الخطـب وجودتهـا ، وأنّهـم وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الفصاحة والبلاغة بحفظ خطـب عـلي بـن أبي طالب وكلامه ـ من جملة ما حفظوه ـ وقد تأثر بكلام الإمام علي غير واحد في هذا الفن ، فهذا عبد الحميد الكاتب (١٢٣/ ٧٥٠) يقول : حينما سئل ما الذي خرّجك في البلاغة ؟ فقال : « حِفْظُ كَلَامِ الأَصْلَع يَعْنِي عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِب »[2].

---

١ . محمـد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص١٧.

٢ . الثعالبي ، ثمار القلوب ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ص١٦٥ ؛ وانظـر : إحـسان عبـاس في كتابه : عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، إذ يقول عن ثقافة عبدالحميد والعوامل المؤثرة فيـه وعـلى مـن تتلمذ من النّاس: « أوّلُ هؤلاء علي بن أبي طالب ، إذ كانت خطبه أساساً هامّـاً في ثقافـة عبدالحميـد وفي توجيه أسلوبه ، وهذا هو معنى قوله حين سئل ما الذي خرّجك في البلاغة ، فقال : حفظ كـلام ←

ويذكر المسعودي (٣٤٦/ ٩٥٦) في مروجه أنّه : «حَفِظَ النَّاسُ عَنْهُ (يعني علي بن أبي طالب) مِنْ خُطَبِهِ فِي سَائِرِ مَقَامَاتِهِ أَربعمائة خُطْبَةٍ وَنَيِّفًا ، وَثَمَانِين خُطْبَةً يورِدُهَا عَلَى البَدِيهَةِ ، وَتَدَاوَلَ النَّاسُ عَنْهُ ذَلِكَ قَولًا وَعَمَلًا».

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي (٦٥٦/ ١٢٥٨) : «إِنَّ سَطرًا وَاحِدًا مِنْ نَهْجِ البَلاغَةِ يُسَاوِي أَلْفَ سَطْرٍ مِنْ كَلامِ ابن نُبَاتَة ، وَهُوَ الخَطِيبُ الفَاضِلُ الذي اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ أَوْحَدُ عَصْرِهِ فِي فَنِهِ»[1].

وفي موطن ثان قال : «كان الإمام علي عليه السلام إماما على الخطابة وإماما في تناول الأسلوب العربي والبيان العربي ، وأعظم دليل على ذلك «**نهج البلاغة**» الذي يعد أساسًا من أسس البلاغة العربية بعد القرآن الكريم والبلاغة النبوية الشريفة ، فنلحظ فيها أن عليا (ع) جمع بين روائع البيان الجاهلي المبني على الفطرة السليمة وبين البيان الإسلامي المبنى على المنطق القوي ، فكان له بهذا الجمع بين بلاغة الجاهليين وبين بلاغة الرسول (ص) ما حدا ببعض القائلين أن يقول : «كَلامُ عَلِيٍّ دُوْنَ كَلامِ الخَالِقِ وَفَوقَ

→

الأصلع (يعني علي بن أبي طالب)؛ إحسان عباس ، عبدالحميد بن يحيى الكاتب ، ط١ ، دار الشروق، عمّان ، ١٩٨٨ ، ص٥٥.

١. ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ٨/١.

كَلامِ المَخْلُوقِينَ »[1].

وابن نباتة (٧٦٨/ ١٣٦٦) وقد وصف بالخطيب ووصلتنا خطب له قال : « حَفِظْتُ فِي الخَطَابَةِ كَنْزًا لا يَزِيدُهُ الإنْفَاقُ إلا سِعَةً وَكَثْرَةً ، وَحَفِظْتُ مِائَةَ فَصْلٍ مِنْ مَوَاعِظ عَلِيّ بن أَبِي طَالِبَ ».

فلماذا اهتم الأعلام بحفظها عن ظهر قلب ؟ وأين يكمن السر ؟ هل السر يكمن في الاهتمام بالناحية الدينية ومقام المتكلم أم يتعلق بالخصائص الجمالية أم فيهما معا ؟ أم لجودة معانيها ولطافة ألفاظها وتصاويرها ؟

ثانياً : خصائص التدوين والمدونة :

نعالج في هذه المرحلة من البحث أهم مظاهر المبنى في خطب علي بن أبي طالب الحربية وأبرز مضامين المعنى ؛ بغية الكشف عن خصائص التدوين والمدونة.

أ ـ المبنى

نتناول إشكالية مباني خطب المدونة من وجوه مختلفة ، إمّا بإبراز طبيعتها في مستوى كلّ خطبة على حدة ، وإمّا بإظهار الناقص أو قُلْ الجزء المفقود في الخطبة الواحدة.

---

١ . ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ١/ ٨.

إنّ أوّل ما يجلب انتباهنا في هذا الإطار هو أنّ لكلّ خطبةٍ رقمًا وضع عليها ، وأنّ أمام كلّ خطبةٍ عبارة تقوم مقام العنوان تشتمل على مقدمة تاريخية تبين مناسبة الخطبة وتشير إلى موضوعها، ومثال ذلك الخطبة رقم ٢٤ عنوانها (ومن خطبة له عليه السّلام في الحثّ على قتال الخوارج على الحق)[١].

فهل أنّ الذي وضع الأرقام على الخطب ووضع لها العناوين هو الشريف الرضي أم الشرّاح الذين جاءوا من بعده هم الذين وضعوها ؟ وذلك لأنّها تأتي متوافقة في الأرقام مع اختلافٍ يسير ، وأما في العناوين فهي متفقة تمامًا ومثل قوله: (ومن كلام له عليه السلام) أو (ومن خطبة له عليه السلام) ويؤتى بعد ذلك بالعنوان، فمثلا (ومن كلام علي عليه السلام) ثم يأتي بعنوان مشتمل على مناسبة الخطبة (لابنه محمد بن الحنفية لمّا أعطاه الرّاية يوم الجمل »[٢].

نحن نرجح أنّ أرقام الخطب من عمل الشرّاح في المدونة ، وكتّاب نهج البلاغة والدليل على ذلك أنَ مخطوطة ابن المؤدب وهو من الأعلام

---

١. راجع الخطبة ٢٤ في الملحق رقم واحد أسفل البحث.

٢. الخطبة ١١، ويمكن ملاحظة هذا الانسجام بين العنوان والمعنون من خلال تصفح المدونة العلوية المختارة في أسفل البحث.

المقاربين لعصر الرضي لا يوجد بها أرقام للخطب[1]. وأمّا العناوين فهي من عمل الشريف الرضي، والذي يؤكّد ذلك الذي ذهبنا إليه هو تواتر كتابة عناوين الخطب عند الشراح، ومنهم علي بن زيد البيهقي (٥٦٥/ ١١٧٠) الأنصاري في كتابه **معارج نهج البلاغة**، وقطب الدين الكيدري (٥٧٦/ ١١٨٠) صاحب كتاب **حدائق الحقائق** في شرح نهج البلاغة، وابن أبي الحديد المعتزلي (٦٥٦/ ١٢٥٨) في كتابه **شرح نهج البلاغة**، ومن المحدثين محمد عبده (١٣٢٣/ ١٩٠٥) في كتابه شرح نهج البلاغة، وميرزا حبيب الله الموسوي الخوئي (١٣٢٦/ ١٩٠٨) في كتابه **منهاج البراعة**، وعباس الموسوي، **شرح نهج البلاغة**.

ولو كانت العناوين الموضوعة على كل خطبة من شارح من الشرّاح لاختلفت تلك العناوين من شرح إلى أخر، ولم تتفق هذا الاتفاق التام في ذلك، ولكن هذا التوافق في العناوين عند الشرّاح جميعًا له دلالة واضحة على أن الجامع لهذا النهج هو من وضع عناوينها.

---

١. انظر: في الملحق رقم (٢) في أسفل البحث بعض النماذج من المخطوطة النادرة لنهج البلاغة لابن المؤدب مصورة من نسخة من القرن الخامس الهجري، في مكتبة المرعشي النجفي في قم – إيران، في قسم المخطوطات برقم (٣٨٢٧)، وهي بخط واضح مشكل (معرب)، وبها هوامش مختصرة لغوية، وأما الأرقام فلا توجد بالخطب.

ومن الظواهر البارزة في مباني الخطب الحربية ما نجده من النواقص الظاهرة في الخطبة الواحدة ؛ فمثلا كلمة (منها) الواردة بين قوسين التي ترد في متن الخطبة كما في الخطبة رقم ١٧٠ قوله :

« الحَمْدُ لله الَّذِي لاَ تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً ، وَلاَ أَرْضٌ أَرْضاً (مِنْهَا) : وَقَالَ قَائِلٌ إِنَّكَ عَلَى هَذَا الأَمْرِ يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ ،...

و(مِنْهَا[1] فِي ذِكْرِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ) : فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ الله (ص)... »[2].

وأحيانا يستخدم الشّريف الرّضي لفظة و (منه) كالخطبة رقم ١٢٢

« وأَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ... (وَمِنْهُ) : وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ ،... »[3].

ولئن استخدم الشريف الرضي لفظة (منه) و(منها) ، و(منها) و(منه) في

---

١. نلاحظ أنه يتوسع في لفظة (منها) فيوضح ويمهد للكلام الذي سوف يأتي ، انظر مثلا : الخطبة رقم ١٠٧ وهي من خطب الملاحم ، فعندما ينتهي من الحمد له يذكر (منها) ويوضح ما سيأتي من الكلام فيقول (منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله) (...) وفي الفقرة التي بعدها يذكر (منها)... وانظر كذلك الخطبة ١٣٦ ، وانظر كذلك الخطبة ١٢١ وهي من الخطب التي قالها في الخوارج ، نلاحظ الشريف الرضي في منتصف الخطبة يقول (ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويل (منه).

٢. الخطبة ١٧٠.

٣. الخطبة ١٢٢.

الخطبة الواحدة ، فإنه في الخطبة الواحدة أيضا استخدم لفظة (وفي رواية) و (وفي رواية أخرى) في العبارة وفي التشبيه الواحد ، كالخطبة رقم ١٣ في ذمّ أهل البصرة قوله : « كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ (...) (وفي رواية) وايْمُ الله لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ (...). (وفي رواية) كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ. (وفي رواية أخرى) بِلاَدُكُمْ أَنْتَنُ بِلاَدِ الله تُرْبَةً (...)[1].

كل ذلك مما يدل على وقوع سقط في الخطب وأنها لم ترد كاملة أو بها جزء مفقود.

ولقد جمع الشريف الرضي خطب علي بن أبي طالب وكلامه فلم يستطع إخفاء إعجابه بألفاظ الإمام علي وبأسلوبه وبلاغته ، فتراه يعلّق أحيانا على بعض الخطب ، و مثال ذلك تعليقه الذي ذيّل به الخطبة الحادية و الثلاثين.

بقوله : « أقول هو أول من سمعت منه هذه الكلمة أعنّي (فما عدا ممّا بدا)[2].

وفي الخطبة ٢٠٥ يقول : « قَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامَ أَمْلِكُوا عَنّي هَذَا الغُلاَم مِنْ أَعْلَى الكَلاّم وَأَفْصَحِه ».

---

١. الخطبة ١٣.

٢. الخطبة ٣١.

ونجده في بعض الخطب يشرح بعض الكلمات شرحاً لغوياً[١]، كالخطبة رقم٣٩ إذ يقول: «أقول : قوله عليه السلام متذائبٌ أي مضطرب. من قولهم تذاءَبت الرّيحُ أي اضطرب هُبُوبُها. ومنه سمي الذئبُ ذئباً لاضطراب مشيته»[٢].

أو بلاغياً كقوله في الخطب ٥٩ :

«يَعْنِي بِالنُّطفةِ ماءَ النَّهرِ وَهُوَ أَفْصَحُ كِنايةٍ عَنْ الماءِ وَإِنْ كَانَ كَثِيراً جَمّاً»[٣].

أو يمهد للخطبة بنبذ تاريخية يسيرة لكنّها مهمة جداً لفهم النص الحربي.

كالخطبة ٢٥ إذ يقول : «وقد تواترتْ عليه الأخبارُ ، باستيلاء أَصحابِ مُعاويةَ على البلاد ، وَقَدِمَ عليه عاملاهُ على اليمن وهما : عُبيدُ الله بن العباس وَسَعِيدُ بن نُمرَانَ ، لَمَّا غَلَبَ عَليها بُسْرُ بنُ أَبي أَرْطَأَة ، فقام عليه السلام إلى المنبرِ ضَجراً بتثاقُلِ أصحابهِ عن الجهادِ ومُخالفتِهِمْ لهُ في الرَّأي فَقالَ (...)[٤].

أو يوضح إيماءات النص الحربي كما في الخطبة ١٢٦ يقول :

---

١. انظر كذلك الخطب التالية : ٤٨ ، ٥٨ ، ٦٩...

٢. الخطبة ٣٩.

٣. الخطبة ٥٩ ، وفي موطن ثان قال في الخطبة ٤٨ : « يعني بالنطفة ماء الفرات ، وهو من غريب العبارات وعجيبها ».

٤. الخطبة ٢٥.

«يُومِئ بذلك إلى صَاحِبِ الزِّنجِ ثم قال عليه السَّلامُ».

وفي الخطبة نفسها يقول الشريف الرضي: «مِنْهُ ويُومِئ بِهِ إِلى وصف الأَتَرَاكِ».

وهذا أيضا كلام الشريف الرضي في الخطبة التي أخبر الإمام علي فيها أحنف بالملاحم التي تحلّ بالبصرة[1].

ونلاحظ أن الشريف الرضي يتمثل الإمام عليًا في أكثر من موطن، فمثلا الخطبة ١٨٠ يقول الشريف الرضي «ثُمَّ نَادَى بِأَعْلى صَوْتِهِ الجِهَادَ الجِهَادَ عِبَادَ اللهِ (...).

وفي موطن ثان يقول في الخطبة ٢٥ : (ثم نزل عليه السلام من المنبر) وغير ذلك[2].

والملاحظة الأخيرة التي نريد أن نشير إليها في مقام الحديث عن شكل المدونة ومبناها هي الإشارة إلى متوسط حجم النص الحربي في الجدول التالي :

---

١. انظر : الخطبة ١٢٦ في المدونة العلوية.

٢. انظر : الخطبة ١٨٠ ، ٢٥ ، ١٢٦ ....

الجدول الثاني : جدول حجم النص الحربي

حجم النص	عدد النصوص	النسبة المئوية
أقل من ٥ أسطر	٣٤	٣٩ ٪
٥ إلى ١٥	٣٦	٤٢ ٪
١٦ إلى ٢٥	١٠	١٢ ٪
٢٦ إلى ٣٥	٥	٥ ٪
أكثر من ٣٥ سطرا	٢	٢ ٪
المجموع	٨٧	١٠٠ ٪

من خلال الجدول الثاني نلاحظ أنّ :

- أكثر من ثلاثة أرباع المدونة نصوص يقلّ كلّ نص منها عن خمسة عشر سطراً أو يبلغ هذا العدد ولا يتجاوزه ؛ ٧٠ نصّاً حربيّاً أي بنسبة ٨١٪.

- كلما طال النص الحربي تضاءل عدد النصوص ، فالمدونة لم تعطنا سوى نصين حربيين من مجموع ٨٧ نصّاً يفوق كل نص ثلاثين سطراً بمعدل ٢٪.

- المدونة من خلال هذا الجدول قصيرة في الخطب من حيث عدد الأسطر ، فالباحث يتساءل عن سبب هذه القلة إذ مثلّت النصوص التي تقل عن خمسة عشر سطراً أو تساوى هذا العدد ٨١٪ من نصوص المدونة ،

فالخطبة الحربية في مقامات النزال تميل إلى القصر عند الإمام علي ومرجع ذلك إلى طبيعة المناسبة التي قيلت فيها الخطب ؛ إذ إنّ مقام الحرب يقتضي الإيجاز والإسراع والاختصار ، فالإقلال ليس انتقاصاً من شأن الخطيب كما أن الإطالة ليست مدعاة إلى الحكم بالجودة والقدرة ، وعليه وجب أن لا ننظر إلى هذا الأمر من هذه الزاوية وبهذا المقياس.

وبهذا الجدول الذي يبين حجم النص يمكن أن نتصور حجم الخطبة في المواطن الحربية أو قل متوسط حجم الخطبة الحربية عند الإمام علي. وهو عشرة أسطر.

ب ـ المعنى

سنتناول أبرز المضامين التي تحملها نصوص علي بن أبي طالب الحربية وهي على النحو التالي : قيمة السلم ، أخلاق الحرب ، التعاليم الحربية ، تصوير عمليات الحرب والحالة النفسية عند الجند والخصم ، قائد غير مطاع ، ويمكن أن تجمع هذه المضامين تحت عنوان واحد نسميه « أدب الحرب في المدونة العلوية ».

١ - قيمة السلم

لئن كان بحثنا يتعلق بالخطب الحربية فإن قضية السلم كان لها

الأولوية، فقيمة السلم المقابل للحرب ، هو محور الحديث وإنما يرد الحديث عن السلم كونه الحالة السلبية للحرب ولا يتم الدعوة إلى السلم إلا من الحرب ، ولا إلى الحرب إلا في السلم ، ودعوة علي بن أبي طالب في الحرب لخصومه كانت إلى السلم ، ودعوته أصحابه إلى الحرب كانت في السلم فالسلم يؤدي إلى الحرب ، والحرب تنتهي بالسلم ، فقيمة السلم قيمة الأديان جميعها والإسلام دعا إليها، قال تعالى:

« وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »[1].

ويمكن ملاحظة أنّ هذه الآية مدنية ، أي أنّها نزلت بعد إقامة المجتمع السياسي الإسلامي وتشكيل الدولة الإسلامية، ومن هنا فإنّ هذا المضمون ـ السلم ـ من المضامين الإسلامية الثابتة في التشريع الإسلامي.

وسنأخذ نماذج من المدونة تؤكّد صحة ما ذهبنا إليه : موقف علي من قادة حرب الجمل إذ حذرهم الفتنة ونصحهم بالابتعاد عن أهواء الجاهلية التي تحمل أصحابها على الاستجابة لنوازعهم الشخصية دون اعتبار لمصلحة الأمة في استقرارها وتقدمها فقال :

---

١. الأنفال ٨/ ٦١.

«إِنَّ هَؤُلاَءِ قَدْ تَمَالَؤُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي[١]، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ، فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا، حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا رَدَّ الأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَسِيرَةِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالقِيَامُ بِحَقِّهِ وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ»[٢].

وبهذا الحرص البالغ على عدم انقطاع نظام المسلمين واغتنام كلّ فرصة للمحافظة على وحدة الأمة في ظل السلام أجاب المعترضين عليه في مهلة التحكيم بقوله:

«وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي التَّحْكِيم؟ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الجَاهِلُ وَيَتَثَبَّتَ العَالِمُ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الهُدْنَةِ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَلاَ تُؤْخَذَ بَأَكْظَامِهَا فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الحَقِّ وَتَنْقَادَ لأَوَّلِ الْغَيِّ»[٣].

هذا هو دأب علي بن أبي طالب، وهو إيثار السلم شريطة أن لا يُكَدَّر صفاء الإسلام ووحدة المسلمين، ويمكننا أن نتبين ذلك في خطابه

---

١. تمالؤوا: تعاونوا، ابن منظور، لسان العرب، ١/ ١٦٠.

٢. الخطبة ١٦٧.

٣. الخطبة ١٢٣.

لأصحابه الغاضبين من امتناعه عن الإذن لهم بالقتال في صفين في قوله :

« أَمَّا قَوْلُكُمْ : أَكُلُّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ المَوْتِ ؟ فَوَاللهِ مَا أُبَالِي أَدَخَلْتُ إِلَى المَوْتِ أَوْ خَرَجَ المَوْتُ إِلَيَّ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : « شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ » فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الحَرْبَ يَوْماً إِلاَ وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِي بِي وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي، وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلاَلِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا »[1].

ولم تهدأ خلافة عليّ فقد واجهته فتنة الخوارج[2] المنشقين عليه ، فكان

---

١. الخطبة ٥٥ ، وفي شأن التحكيم والحكمين كتب الإمام علي إلى أبي موسى الأشعري كتابا فيه « وليس رجل ـ فأعلم ـ أحرص على جماعة أمة محمد (ص) وألفتها منّي ، أبتغي بذلك حسن الثواب ، وكرم المآب ، انظر نهج البلاغة رقم الكتاب ٣١٦.

٢. الخوارج: «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا (...) اعلم أن أوّل من خرج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جماعة ممن كان معه في حرب صفين (...) حين قالوا : القوم يدعوننا إلى كتاب الله ، وأنت تدعونا إلى السيف ! حتى قال أنا أعلم بما في كتاب الله ! انفروا إلى بقية الأحزاب ! انفروا إلى من يقول : كذب الله ورسوله ، وانتم تقولون : صدق الله ورسوله. قالوا : لترجعنّ الأشتر عن قتال المسلمين ، وإلا فعلنا بك مثل ما فعلنا بعثمان. فاضطر إلى رد الأشتر بعد أن هزم الجميع (...) وكان من أمر الحكمين : أن الخوارج حملوه على التحكيم أولا. وكان يريد أن يبعث عبد الله بن عباس رضي الله عنه فما رضي الخوارج بذلك،وقالوا هو منك. وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري على أن يحكم بكتاب الله. فجرى الأمر على خلاف ما رضي به. فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا : لم حكّمت الرجال ؟ لاحكم إلا لله ، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهر وان (...)من ناحية الكوفة، وكانوا في اثني عشر ألف رجل (...) ←

موقفه منهم موقف المفاوض الحريص على تجنب القتال وتعكير السلم وتصديع الوحدة التي شقوا عصاها بعصيانهم وخروجهم على إمامهم ، فقد قبل الإمام بالتحكيم ـ بعد الإلحاح الشديد ـ إيثاراً لوحدة كلمتهم من جهة ، وأملا أن يؤدي التحكيم إلى جمع شمل الأمة من التحريف والتزوير، والشبهة والتأويل في فهمه وفي ممارسته ، فالتحكيم خصلة ووسيلة يمكن أن تؤدي إلى السلام فقال في بيان اضطراره إلى خوض هذه الحرب مع عدم رغبته فيها وميله إلى إيجاد المندوحة والبديل من الحرب :

« وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الإِسْلاَمِ عَلَى مَا دَخَل فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالاِعْوِجَاجِ ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ. فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعْثَنَا ، وَنَتَدَانَى بِهَا إِلى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا رَغِبْنَا فِيهَا وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا »[1] .

إنّ قول علي بن أبي طالب « فإذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا ، ونتدانى بها إلى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وأمسكنا عما سواها » ، هذا الكلام يكشف مذهب الإمام علي الثابت في قضية السلم ، وهي الدليل الواضح

→

فقاتلهم علي رضي الله عنه مقاتلة شديدة، فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة. وما قتل من المسلمين إلا أقل من عشرة؛أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، ط١ مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ، ١٩٨١،ص٥٠؛ وانظر: دائرة المعارف الإسلامية، خاصة فصل« الخوارج » مج٨/ ٤٦٩ـ٤٧٧.

١. الخطبة ١٢١.

الذي يكشف موقفه من قضية السلم والحرب ، فالسلم هو القضية وهو الهدف ولكن السلام المطلوب هو السلم الذي تصان فيه المبادئ والقيم ويحكم في ظلاله الإسلام ، ومن هنا نفهم أنّ الحرب عند علي ليست من أجل الانتقام[1] ، وإنّما هي من أجل إقامة العدل ، وتقويم الانحراف كما يراه علي بن أبي طالب.

٢- أخلاق الحرب

إنّ نصوص المدونة تحمل أخلاقا فروسية عالية ، ويمكن تلخيصها بوضوح في خطبته التي قالها في صفين وقد سمع قوماً منهم يسبون أهل

---

١. تحثّ نصوص مدونتنا على فكرة السلم والرغبة في تجنب العنف إذ نجد نصوصا كثيرة من نهج البلاغة في باب الكتب التي بعث بها علي بن أبي طالب إلى عماله في الأمصار تؤكد هذا المضمون وتدعمه بقوة انظر مثلا : كتابه للأَشْتَرِ النّخعيّ لّما ولاه مصر وأعمالها قال له : « وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيهِ عَدُوُّكَ وَللهِ فِيهِ رِضىً ، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ ، وَأَمْناً لِبِلادِكَ ؛ » الكتاب ٢٩١.

إن القيمة التي تسيطر على النص الحربي هي قيمة السلم ، فالقتال لا يكون إلا ردا على عدوان ، أما التوجه العام هو تجنب أي عمل من أعمال الاثارة ، فالغاية هي التأديب وليس الانتقام والقمع ، وإن حالة السلم هي الأولى بالمراعاة ، انظر وصيته لِمَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ الرِّيَاحِيّ حَين أَنفَذَهُ إِلى الشّام قال : « وَلاَ تُقَاتِلَنَّ إِلاَّ مَنْ قَاتَلَكَ (...) وَلاَ تَدْنُ مْنَ القَومِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الحَرْبَ ، وَلاَ تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ البَأْسَ ، حَتىَّ يَأْتِيَكَ أَمْرِي ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ والاعْذَارِ إِلَيْهِمْ » ؛ الكتاب ٢٥٠.

الشّام ، فهي تصوّر مطلق أخلاق الحرب عند علي بن أبي طالب، ونبل مشاعره الإنسانية التي كان يحملها نحو خصومه في أشد حالات العداء والعدوان التي يواجهونه بها، قوله:

«إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونوا سَبَّابِينَ ، وَلكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ ، كَانَ أَصْوَبَ فِي القَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي العُذْرِ ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ : اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ ، حَتَّى يَعْرِفَ الحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ ، وَيَرْعَوِيَ عَنْ الغَيِّ وَالعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ»[1].

و بما أنّ روح العَدل والحبّ والتأدب هي التي كانت تحرك علي بن أبي طالب في حروبه مع خصومه ، فإنّ أخلاق هذه الحرب تنسجم مع كل المبادئ الخلقية التي اطردت وتميزت بالثبات في كل خطب نهج البلاغة بحيث لا تجد لها في طول الكتاب وعرضه تخلفاً.

٣ـ تعاليم حربية

حفلت المدونة العلوية بنصوص كثيرة تتضمن تعاليم حربية وإرشادات للجنود والقادة في كيفية القتال ، وطريقة إدارة المعارك ، وتفادي الخسارة في

---

١. الخطبة ٢٠٤.

المعركة أو بعدها ، والأوقات التي ينبغي للجيش أن يتحرك فيها. وما إلى ذلك من قواعد فن القتال والحرب ، ولم تقتصر تلك التعليمات على الجانب التقني المادي فقط ، وإنّما عالجت الروح المعنوية للجنود ، فقد ضمنها ما يرفع من مستوى فعاليات الرّوح ويعزز قيم الثبات في الحرب.

وتنقسم التعليمات الحربية إلى قسمين خاص وعام :

أما الخاص فقد شملت التعليمات أفراداً من جنده ، ومنها الخطبة (١١) وهي خطبة لاحظ فيها الإمام علي نقطة الضعف في تركيب الجيش ووعي وحداته وأفراده ، وهو يعلم مدى خطورتها لذلك أكّد على التعاون في أثناء المعارك الحربية ، والتكامل في أداء المهمات التي تتولاها وحدات الجيش ، فقد عالج مسألة فنية من مسائل الحرب تتصل بالحالات النفسية للأشخاص والجماعات ، وفي الوقت نفسه يلتفت إلى الروح المعنوية فيعززها ويثير الوعي الإيماني فيها جاعلا العمل الحربي عملاً في قمة التقوى يراد به رضا الله ، بعيدا عن النوازع الشخصية فقال :

« وَأَيُّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً ، فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ ، كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ ، فَلَوْ شَاءَ اللهِ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ »[1].

---

١. الخطبة ١٢٢.

كما نجده في النص السابق يعلم أصحابه مسائل عدة من قضايا الحرب منها :

العضّ على الأضراس ، وغض الأبصار ، وتقديم الدارع[1] ، وتأخير الحاسر ، وتراه يعلل التعليم الحربي الذي يطرحه على الجيش فيقول :

« فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ ، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ ، وَعُضُّوا عَلَى الأَضْرَاسِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنْ الهَامِ ، وَالتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلأَسِنَّةِ ، وَغُضُّوا الأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ ، وَأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ »[2].

وكذلك إماتة الأصوات ، وتجلبب السكينة من التعليمات الحربية المهمة التي وجهها إلى أصحابه في أثناء الحرب ، فإنّ الضجة تعكس القلق النفسي عند المحارب ، أما السكون في المواقف الحربية الحاسمة والخطيرة فإنّه يعكس العزيمة والتصميم ، فقد قال في خطبة مليئة بالتعليمات الحربية فيها:

« مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ : اِسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ ، وَعَضُّوا عَلَى النَّواجِذِ ، فَإِنَّهُ أَنْبى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ ، وَأَكْمِلُوا اللامَةَ ، وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ

---

١. الدارع : ذوالدرع ، لسان العرب، باب درع، ٨/ ٨٢؛ والحاسر : من لا درع له، م.ن. ، ٤/ ١٨٧.

٢. الخطبة ١٢٢.

فِي أَعْمَادِهَا ، قَبْل سَلِّهَا... »[1] .

ولئن كان ما مضى يمثّل بعض التعاليم الحربية المهمة فإنّ الرّاية تمثّل الأهم فهي بالنسبة إلى الجيش في نظام التعبئة والتوزيع الذي كان سائدا حينذاك علامة مهمة على ثبات الجيش ، وكفاءة القيادات وحسن سير القتال ، وتبرز أهمية الراية في أنّها تمثل نظاماً للإشارة والاتصال بين قطاعات الجيش ، إذ لم يكن ثمة نظام للإشارة والاتصالات يزود القيادة وباقي قطاعات الجيش بمعلومات آنية عن حالة الجيش وسير المعارك ؛ فكانت الراية المرفوعة الخفاقة علامة عند الجند

على استمرار القيادة في إدارة المعركة ، وعلى تماسك الوحدات المقاتلة واتصالها بالقيادة ، وعلى صمود الجيش وتقدمه. وسقوط الراية يعني ــ في كثير من الحالات ـ انهيار المقاومة وبداية الهزيمة ، أضف إلى ذلك أنّه يعني بالنسبة إلى الراية الرئيسة « اللواء » تصدع القيادة أو انهيارها.

فالراية تلعب دوراً مهماً وأساسياً ، فإنّها لم تكن تُعطى إلى أي جماعة من المقاتلين ، وإنّما كانت تُعطى إلى أشد الفرق بأساً وصلابةً وخبرةً في القتال وكان على هؤلاء أن يعرضوا أنفسهم لأعظم المخاطر في سبيل الاحتفاظ بها. وإنّ الفارس الحامل للراية كانت لديه حرية المناورة والحركة محدودة ؛

---

١. الخطبة ٦٥.

لأنّ أي تغيير في موقع الراية قد يؤدي إلى اضطراب في سائر الجيش والجنود[١].

ومن هنا نفهم تشديد علي بن أبي طالب على من يحمل الراية في الجيش، وما هي الشروط التي يجب أن تتوافر فيه، فقال:

«وَرَايَتُكُمْ فَلاَ تَمِيلُوهَا، وَلاَ تُخِلُّوهَا، وَلاَ تَجْعَلُوهَا إِلاَّ بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَالْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَ حِفَافَيْهَا، وَوَرَاءَهَا وَأَمَامَهَا، وَلاَ يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلاَ يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا»[٢].

٤ـ تصوير عمليات القتال والحالة النفسية عند الجند والخصم

تصوّر نصوص المدونة العلوية الكثير من المواقف النفسية للجند والخصم.

أما الجند فقد كان الإمام عليّ يعزز الموقف النفسي للجند بتعليمات يربط فيها الجوانب الإيمانية بالجوانب النفسية المحضة بحيث يولد التفاعل بين الجانبين حالة نفسية ملائمة لتكوين إرادة النّصر، ونلاحظ ذلك في قوله:

---

١. وهناك الكثير من التعاليم الحربية في كتاب نهج البلاغة وفي مدونتنا الحربية كمبدأ التعاون في القتال، وبعض التعاليم الحربية المتعلقة بجغرافيا حركة الجيش، والموقع الأفضل للمعركة....

٢. الخطبة ١٢٢.

«مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ : اِسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ ، فَإِنَّهُ أَنْبى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ ، وَأَكْمِلُوا اللأْمَةَ ، وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا ، قَبْل سَلِّهَا»[١].

وأحيانا يؤجج الروح القتالية عند الجند ، فيبرز أسلوب الإثارة الشخصية بتحريك العوامل النفسية التي تبرز فنونه في التحفيز والتحميس وخلق الدوافع للقتال والذي يؤكد ذلك قوله لأصحابه حين استولى أصحاب معاوية على ضفة الفرات في صفين ، ومنعوا جيش العراق / الإمام عليًا من ورود الماء :

«قَدْ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ ، فَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ ، أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تُرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ»[٢].

فسلامة الحالة النفسية والمعنوية أمر مهم لدى الجند في تكوين إرادة النصر وإحرازه ، فعلي بن أبي طالب حريصٌ على ضمان سلامة هذه الحالة.

أما تصوير الحالة النفسية عند الخصم ، فنجدها في قوله في إحدى المعارك ، وقد كشف لجنده عن الضعف المعنوي لدى الخصم ، وذلك بملاحظة أن هؤلاء الخصوم يثيرون الضجيج الذي يكشف عن ضعفهم

---

١. الخطبة ٦٥.

٢. الخطبة ٥١.

المعنوي وتخاذلهم النفسي ، وهم جاهدون في محاولاتهم تغطية هزيمتهم النفسية بهذا الضجيج :

« وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا ، وَمَعَ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ ، وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ وَلاَ نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ »[1] .

٥ ـ قائد غير مطاع[2]

يوجد في الكثير من نصوص مدونتنا العلوية الحربية هذا المضمون الذي يشير بدلالة واضحة إلى تذمر الإمام علي وخيبة أمله في أعوانه وحالة التخاذل في العراق ، فهو المجتمع الذي خذل قيادته ، وقد صوّر الإمام حالات التخاذل في أكثر من موطن[3] ، فيشير إلى أن العراقيين لا يدافعون عن أنفسهم و يصوّر حالة الشلل النفسي والهزيمة المعنوية التي هم عليها حين شبه استجابتهم لدعواته إياهم لحماية مجتمعهم ودولتهم بالبعير المريض المهزول المقروح حين يراد منه أن يتحرك ويحمل الأثقال فيثاقل إلى

---

١. الخطبة ٩.

٢. صيغ هذا العنوان من جملة الإمام علي في خطبته التي يعاتب فيها أصحابه بقوله (لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ) ؛ الخطبة ٢٧.

٣. انظر على سبيل المثال الخطبة ٢٧ فإنّك واجد صوراً للتخاذل منها دعوته لأعوانه في الليل والنهار وفي السر والإعلان، وإذا دعاهم في الشتاء قالوا أمهلنا حتى يذهب البرد ، وإذا دعاهم في الصيف قالوا أمهلنا حتى يذهب الحر وهكذا.....

الأرض ضعفاً وعجزاً ، فيضرب برجليه معبراً عن ألمه وعجزه. ثم لا يتحرك بعد ذلك إلا حركة بطيئة كسولة غير ثابتة الخطى كهذا (الجنيد المتذائب) في خطبته عند علمه بغزوة النعمان بن بشير الأنصاري[1] لبلدة عين التمر قوله :

« مُنِيتُ بِمَنْ لاَ يُطِيعُ إِذَا أَمْرَتُ ، وَلاَ يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ، لاَ أَبَالَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ، وَلاَ حَمِيَّة تَحْمِشُكُمْ ! أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً ، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً ، فَلاَ تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً ، وَلاَ تُطِيعُونَ لِي أَمْراً ، حَتَّى تَكَشَّفَ الأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ ، فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ ، وَلاَ يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ ، فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الأَسَرِّ ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الأَدْبَرِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ ، مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ »[2].

---

١. النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري (٦٥/ ٦٤٨) : أمير ، خطيب ، شاعر ، من أجلاء الصحابة من أهل المدينة. له ١٢٤ حديثاً. وجّهته نائلة (زوجة عثمان) بقميص عثمان ، إلى معاوية. فنزل الشام ، وشهد « صِفّين » مع معاوية ، وولي القضاء بدمشق ، بعد فضالة بن عبيد (٥٣هـ) وولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة ، تسعة أشهر ، وعزله وولّه حمص. واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية ، فبايع النعمان لابن الزبير. وتمرد أهل حمص ، فخرج هارباً ، فاتبعه خالد بن خليّ الكلاعي فقتله » ؛ الزركلي ، **الأعلام** ، ٨/ ٣٦.

٢. الخطبة ٣٩.

لقد كان عليّ بن أبي طالب كثير الشكوى من هذا الوضع ، وخصوصاً بعد التحكيم ؛ وذلك لأنّ الوضع تفاقم ، وتعاظم الخطر ، وأدى إلى شلل شبه كامل في التصدي للغارات التي تشن من جهة الشام ، ثم واجههم برأيه فيهم ، ويأسه منهم.

ومن ذلك خطبته بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على بعض مناطق العراق التي يقول فيها :

« أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ! كَلاَمُكُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصِّلاَبَ ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمْ الأَعْدَاءَ ، تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْت وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ القِتَالُ قُلْتُمْ حِيْدِي حيَادِ ، مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ ، وَلاَ اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ ، أَعَالِيل بِأَضَالَيلَ ، وَسَأَلْتُمُونِي التَّطْوِيلَ دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ ، لاَ يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ ، وَلاَ يُدْرَكُ الحَقُّ إِلاَّ بِالْجِدِّ (...) أَصْبَحْتُ وَاللهِ لاَ أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ ، وَلاَ أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ ، وَلاَ أُوعِدُ العَدُوَّ بِكُمْ ، مَا بَالُكُمْ ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ ؟ مَا طِبُّكُمْ ؟ القَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ ، أَقَولاً بِغَيْرِ عَمَلٍ ؟! وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ ؟! وَطَمْعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ !؟ »[1].

ومثلما عبّرت النصوص السابقة عن حالة العراقيين ، وكشفت خذلانهم

---

١. الخطبة ٢٩.

لقيادتهم متمثّلة في الإمام علي فإنّ هناك نصوصًا أخرى تصوّر بعمق الحالة التي كان عليها الجند والأعوان من الناحية الجسدية ، والناحية النفسية.

أما الناحية الجسدية فقد عبر عنها بـ (دوران الأعين) أي الإتيان بحركات تدل على الخوف والاضطراب ، وبـ (القلوب المألوسة) ، وأما الناحية النفسية فعبّر عنها ببيان عجزهم عن الحوار معه بقوله (يرتج عليكم حَوَارِي فتعمهون) ، ونلاحظ ذلك في خطبته التي يستنفر الناس فيها لحرب معاوية بعد فراغه من حرب الخوارج التي يقول فيها :

« أُفٍّ لَكُمْ ، لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ !! أَرَضِيْتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الآخِرَةِ عِوَضاً ؟ وَبِالذُّلِ مِنْ العِزِّ خَلَفاً. إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ ، دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ ، كَأَنَّكُمْ مِنْ المَوْتِ فِي غَمْرَةٍ ، وَمِنْ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ ، يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ ، فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لاَ تَعْقِلونْ (...) ، وآيمُ الله إِنِّي لأظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الوَغَى ، واستَحَرَّ المَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ ، وَالله إِنَّ امْرَأً يَمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ ، يَعْرُقُ لَحْمَهُ وَيُهْشِمُ عَظْمَهُ وَيُفْرِي جِلْدَه ، لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ ، أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ ، فَأَمَّا أَنَا فَوَالله دُونَ أَنْ أُعْطِي ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالمَشْرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الهَامِ ، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالأَقْدَامُ ،

وَيَفْعَلُ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ... »[١].

فالقائد دائما يشعر بالخذلان والخيبة ، فموقف علي بن أبي طالب هو : « موقف الإمام الذي لا يطاع ، والذي يريد الحق فلا يبلغه ، لا لضعف فيه ولا لقلة في أصحابه ولا لوهن في أداته بل لأنّ أصحابه لا يريدون أن يطيعوه ولا أن ينصروه »[٢] ، كما يقول طه حسين.

تلك كانت أبرز المضامين التي حملتها المدونة العلوية الحربية ، وقد جمعناها تحت « أدب الحرب ».

---

١. الخطبة ٣٤.

٢. طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ط٧ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩ ، ٢/ ١٧١.

الجاحظ يحاكي مجازيّا فنون التصوير الماديّة الحسّيّة ومقتضى هذا أنّ التصوير في الشّعر يشبه التصوير الذي هو الرّسم وإن اختلفت الأدوات المستخدمة في كلٍّ منهما، فالرسم يصور باللون، والشاعر يصور بالكلمة، فأفضل الشعر في تقدير النقّاد العرب القدامى ما قلب السّمع بصرا.

والظاهر أنّ فكرة التناظر والرّبط بين الشعر والفنون الحسية التي تعتمد على التصوير، كالرسم... قد سيطرت هذه الفكرة على أذهان النّقاد في عصر الجاحظ والذي يليه أي في القرنين الثالث والرّابع فلما جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس اتضحت على يديه معالم « الصورة » فنحا بالصورة منحىً مختلفاً، وكان ممّا قاله: « واعلم أنّ قولنا **الصورة** إنّما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، (...) وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان بين خاتم من خاتم وسوار من سوار بذلك، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقاً عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك »[1].

وقد كان للعرب القدماء إشارات مهمة في مصطلح الصورة فهم يبحثون أنواع الصورة البيانية « التشبيهية أو المجازية ، والكنائية » وهو ما

---

١. عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٣٨٩.

منهم لإثبات سبق النقاد العرب في درسهم الصورة.

فكانت هذه المحاولات بمثابة دراسات تأصيلية[١]، أثمرت آراء متقاربة، أو ما يمكن أن نجعله قراراً مشتركاً ألا وهو أن (الصورة الفنية) كانت «دائماً موضع الاعتبار في الحكم على الشاعر، حتى وإن لم ينص عليها في الدراسات النقدية العربية»[٢]. ومن ثمة حاولوا تلمس هذه الجذور من خلال مدلولات أولئك النّقاد وعباراتهم في تحديد بدء استخدام كلمة (الصورة الفنية) أو إحدى مرادفاتها أو مشتقاتها، فوصلوا إلى أنّ الجاحظ أوّل من استخدم هذه الكلمة في نقد الشِّعر، وعبارته المشهورة في ذلك فإِنَّما الشِّعر صناعةٌ، وضربٌ من النَّسج وجنسٌ من التَّصوير»[٣] فالشّعر عند

→

ورواية ومسرح فحسب، بل تختلف في مفهوم الصورة وطريقة معالجتها وهكذا صارت لهذا المفهوم معالم متنوعة ومظاهر متسعة، كل ذلك يجعل البحث فيه مفتوحاً وقابلاً لمزيد من الدراسات التي تتلاقى وتتباعد بحسب المرتكز الفكرية للدرس.

١. من هذه الدراسات **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي** لجابر عصفور، ط ٣ المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢؛ و**بناء الصورة الفنية في البيان العربي** لكامل حسن البصير، ط مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧، ولعل أغلب الكتب التي درست الصورة تعرضت لجهود النقاد القدامى.

٢. محمد حسن عبد الله، **الصورة والبناء الشعري**، ط دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١.

٣. الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦، ج ٣/ ص ١٣٢.

المتقدمين على الصورة «البلاغية» ولهذا لا يمكن أن نعثر على تعريف نقدي قديم لمصطلح «الصّورة؛ لأنه لم يتبلور إلا في النقد الحديث حيث» لم تعد الصورة البلاغية وحدها المقصود بالمصطلح، بل قد تخلو الصورة ـ بالمعنى الحديث ـ من المجاز أصلاً، فتكون عبارات حقيقية الاستعمال ومع ذلك فهي تشكل صورة ذات خيال خصب»[١].

ب ـ الصورة الفنية عند النقاد المحدثين

اهتم النقاد في العصر الحديث بالصورة الفنية اهتماماً كبيراً ووسعوا مجالاتها، ووضعوا عددًا من التعريفات لها، وعرضوا مفهومات تتفق في إطارها العام وتتباين في التفصيلات ومن هذه التعريفات تعريف «فرانسوا مورو» الذي يقترح تعريفاً أولياً للصورة: «الصورة هي بمعناها الأسلوبي: تمثيل لعلاقة لغوية بين شيئين»[٢].

وبيِّنٌ أن هذا التعريف يقوم على درجة من العموم لا تكاد تنفع في تمييز الصورة عن غير الصورة، كما أنّه لا ينبئ عن المقومات البنيوية التي تمثل قوام الصورة.

---

١. احمد علي دهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني: منهجا وتطبيقا، ص ٣٤٠.

٢. فرانسو مورو، البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية، ترجمة محمد الولي وعائشة جرير، ط أفريقيا الشرق، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٧.

عرف بعلم البيان.

وقد أشار علي البطل عند حديثه عن مفهوم الصورة في الشعر العربي إلى أن القدماء وقفوا بمفهوم الصورة عند الصورة البلاغية في التشبيه والاستعارة والمجاز[١].

يقول أحمد بسام الساعي: «توقفت الدِّراسات البلاغية القديمة للصورة عند جزئية صغيرة ذات جناحين رئيسيين هما عمادها: المشبّه والمشبه به، واهتدت عن طريق العلاقات الكثيرة التي يمكن أن تقوم بين هذين الجناحين، والظروف اللغوية التي تحيط بهما، وكذلك عن طريق بعض العلاقات الأخرى إلى أسماء كثيرة حصروا بها ـ أو حاولوا ذلك على الأقل ـ الحالات البلاغية المحتملة في الصورة الأدبية، فكان هناك التشبيه، والاستعارة والكناية، والمجاز المرسل والمجاز العقلي، وبعض ما عَدُّوهُ من الفن البديعي المعنوي»[٢].

الحاصل ممّا تقدّم أَنّ النّقاد المحدثين يشيرون إلى اقتصار دراسات

---

١. علي البطل، **الصورة في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري**، طـ٣ دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٥.

٢. أحمد بسام الساعي، **الصورة بين البلاغة والنقد**، طـ ١ المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٤، ص ٣٦.

والجواب عن ذلك هو أن الصورة البلاغية أو الجمال الشكلي في البلاغة العربية تأتي مرتبته بعد الصحة والإصابة كما يذهب ناصر المبارك في كتابه «**الظاهر اللغوي في الثقافة العربية**»جمال الشكلي في البلاغة العربية تأتي مرتبته بعد الصحة والإصابة ، فلا جمال مع الخطأ ، بل إن مدار النقد عند النقاد العرب هو على الإصابة والصحة ، ويكفي لسقوط نصٍ من النصوص عندهم أن يكون صاحبه قد جانب الصحة أو أخطأ الغرض ، بدءا بفرس امرئ القيس الذي أجهده ليسبق ، وجفان حسان بن ثابت التي قللها ، وسيوفه التي لم تجر بالدم وإنّما كانت تقطر فقط مما حدا بالنابغة أن يحط منها كما تقول الرواية ، وما ذلك إلا لأن حساناً أخطأ الغاية القصوى ، والمثال المطلق الذي رام وصفه ، ومروراً بالنقد العربي في مراحله التالية التي كانت تشتغل في كثير من الأحيان بتتبع تلك الأخطاء في الإصابة والصحة »[1].

فإذا استقرأنا ما كُتِبَ من تعريفات للصورة ، فسنجد كثرة منها على اختلافات شديدة بينها ، بل إنّه من الصعب أن نقف على تعريفين متفقين ، فتعريف الصورة « مثل كلّ تعريف أمرٌ صعبٌ لتعدّد معايير هذا التعريف

---

١. ناصر المبارك ، الظاهر اللغوي في الثقافة العربية :دراسة في المنهج الدلالي عند العرب ، ط١المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،٢٠٠٤، ص١٤٤.

وقد أخذ ياسوف علي مثل هذا التعريف أنّه « معلوم أن العرب وصلوا إلى هذا التعريف فالعلاقة اللغوية هي المجاز أو عناصر المشابهة، وفهم الصورة من خلال النوع البلاغي صار معروفاً حتى في أوروبا كما دُرِسَت الصور الاستعارية لشكسبير (١٥٦٤ – ١٦١٦) وغيره»[١].

ويميل جمهور كبير من الدارسين إلى تعريف الصورة البلاغية بأنها عدول أو انزياح عن الدرجة الصفر والمقصود بالدرجة الصفر هو أن يأتي الكلام على الأصل اللغوي والنحوي ، فهو يعني الكتابة غير الأدبية التي تقوم على النظم الشكلي دون الفني أو كما يقول عبد القاهر الجرجاني : (الكلام المتروك على ظاهره)[٢].

وهذا التعريف يطرح بدوره إشكالاً بل إشكالات غاية في الأهمية من زاوية التعريف ، أهمها : العدول ، والدرجة الصفر (أو النمط) والعلاقة بينهما ، ولعل قائلاً يقول : هل كلّ عدولٍ عن النمط يشكل صورة بلاغية ؟

---

١. أحمد ياسوف ، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف ، ط دار المكتبي ، دمشق ، ٢٠٠٢ ص ٩٣.

٢. يقول عبدالقاهر الجرجاني : « ليست المزية التي تثبتها لهذه الأجناس (الكناية والاستعارة .... الخ) على الكلام المتروك على ظاهره ... في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم بخبره إليها ولكنها في طريق إثباته لها وتقريره إياها ؛ عبدالقاهر الجرجاني ، **دلائل الإعجاز** ، تحقيق ياسين الأيوبي ، ص٤١١.

والواقع أن هذا التعريف يشمل جميع الأشياء المحسوسة التي لها وجودٌ ماديّ سواءٌ أكانت صوراً أم غيرها و بعبارة أخرى يشمل هذا التعريف كلّ ما هو خارج الوجود الذهني.

أمّا الاتجاه الثاني فقوامه تعريف الصورة عند بعض الباحثين بأنّها «استرجاع ذهني لمحسوس»[١]. وهذا التعريف ينطبق على التذكر أكثر مما ينطبق على الصورة ذلك أن الأستاذة دودلي Dudley تشرح هذا التعريف بقولها «عندما أسمع وأنا في منزلي زقزقة عصفور أتمثل عصفوراً، وأتمثل عشاً له غصن شجرة. ولما أكتب عن وردة أتمثل وردة قرنفلية اللون، طيبة الشذا، وأرى لها بضع وريقات خضر، وأقول بتعبير آخر: أن بإمكاني أن أتمثّل في ذهني تجربة حسية قد نلتها يوماً من غير أن يكون ذلك المحسوس قائماً قبالتي الآن»[٢].

وهذا يعني أنّها تشير إلى تداعي الصور في الذهن استجابة لمؤثرٍ خارجي، فهذا التداعي أو التذكر لا يمكن أن يكون الصورة الفنية.

والاتجاه الثالث والأخير في تعريف الصورة بأنّها المنظر المكون من

---

١. ـ Dudley ,The study of literature, P. 22 ; Brooks and warren Understanding Poetry P.555 ; Doubleduy, studies in Potry, p.65.

٢. The study of literature, p.22 ـ

ومداخله ومنطلقاته »[١] اضافة إلى ذلك تعدد الأطر المعرفية التي ينطلق منها من حاولوا تحديد مصطلح الصورة ؛ ولهذا صار لمصطلح الصورة معالم متنوعة ومظاهر متسعة ،ثم إنّ كثيراً من الباحثين قد تناولوا ذلك بالتفصيل[٢] فلا حاجة لتكراره هنا.

غير أن تلك التعريفات المختلفة يمكن حصرها في اتجاهات ثلاثة أساسية :

الاتجاه الأوّل يذهب إلى أنّ تعريف الصّورة « كلُّ ما نقوى على رؤيته أو سماعه أو شمه أو لمسه أو تذوقه ؛ فنحن نرى النّاس والشّجر والشّمس ونسمع السّيارات والمحشات ، وتتحرك حاسة الشم عندما نشم الطعام والزهر والعطر ، ثم نحن نلمس النسيج والماء واللحم ، ونذوق الطعام والشراب »[٣].

---

١. الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ط١ المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٣ ، ص١١.

٢. أنظر على سبيل المثال : نصرت عبد الرحمن ، في النقد الحديث ، ط مكتبة الأقصى ، عمان ١٩٧٩ ، ص٦٦ ـ ٦٧ ؛ وكامل حسن البصير ، بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص١١ ـ ٥٥٢ ؛ وأحمد ياسوف ، الصورة الفنية في الحديث النبوي ، ص٨٥ ـ ١٣٦.

٣. **Brown & Milstead, Patterns in Poetry, P.61**

الشجرة المكون من حروف الكلمة ، وجميع هذه المعاني لا تنطبق على مفهوم الصورة الفنية ؛ ولهذا فإننا نجد أنّ الشكلانيين يفرقون بين مصطلح صورة Image ومصطلح صورة فنية Imagery ويعدون التعريفات الثلاثة السابقة منطبقة على الصورة لا على الصورة الفنية[١] فالصورة الفنية في رأي أولاء النقاد ترادف أشكال البيان من تشبيه واستعارة وكناية ورمز »[٢].

وقد قصدنا بالصورة الفنية في بحثنا هذا الصور البيانية كما تناولتها البلاغة العربية التي تتضمن التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، ورأينا أن نضيف إليها الصور القائمة على التقابل لنشمل ببحثنا جميع الأساليب والتراكيب التصويرية في خطب علي بن أبي طالب الحربية ، و هو توسيع في مفهوم الصورة الفنيّة مقارنة بالمفهوم الذي تناوله النقّاد العرب القدامى و الذي سنتّخذه منطلقا لتحليل المدوّنة الحربيّة فهي لا تقتصر على البعد المرئيّ ـ و إن كانت التعريفات التقليديّة تحصرها فيه و لا تتعدّاه إلاّ لماما ـ و إنّما تتعدّاه إلى البعد الحركي المقترن بالصور القائمة على التقابل كما سنرى في

---

١. ـ Doubleday , Studies in Poetry , P.65 ; Danziger & Johnson , An Introduction to Literary Criticiam , P.38.

٢. ـ spurgeon , Shakespeare's Imagery and what it Tells us, P5 ; Fogle , The Imagery of Keats and shelley , P.3 ; Korg , An Introduction to Poetry , P.8.

الكلمات ، ويتزعم هذا الاتجاه الشاعر الناقد الإنجليزي المعاصر (س. داي. لويس « Lewis ») ؛ إذ يعرِّف الصورة بأنّها « منظرٌ مكونٌ من كلمات »[١] .

وبيِّنٌ أن هذا التعريف لا ينطبق على مفهوم الصورة في الأدب ؛ لأنّه يدخل فيه الوصف عموماً ذلك أن الوصف يجسد صورة بالكلمات ولكن هذا الوصف لا علاقة له بالصورة الفنية التي نتناولها. فلو كتبنا مثلاً وصفاً دقيقاً لحديقة أو لحيوان كالجمل مثلاً فإنّ هذا الوصف وإن كان يعطي القارئ تصوراً للشيء الموصوف إلا أنّه لا يدخل تحت عنوان الصورة الفنية التي نتناولها.

ولا يخفى أن هذه التعريفات الثلاثة هي جزءٌ من تصوّر أرسطو (Aristotle) لأنواع الوجود أو قُلْ صور الوجود، إذ يقسمه إلى وجودٍ خارجي (واقعي) ووجود ذهني ، ووجود لفظي.

وهذه الأشكال الثلاثة للوجود قد تعود لشيء واحد فالشجرة مثلاً لها وجود خارجي نستطيع أن نلمسه ونراه، ووجود ذهني هو ما نتصوره ونتخيله حينما نفكر في الشجرة ، ووجود لفظي هو الصوت الدال على

---

١. ـ Lewis, The Poetic Image , P.18 ; Beaty & Matchett, Poetry from statement to Meaning P.176.

- أما الصورة البيانية فهي التي اعتمدت في بنائها على التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو المجاز المرسل أو المجاز العقلي. وهذا النوع من الصور هو ما عرفه النقاد القدماء، وتحدثوا عنه، وفي ضوء هذا قسّم بعض الدارسين المحدثين الصورة البيانية إلى عدة صور هي: الصورة التشبيهية، والصورة الاستعارية، والصورة الكنائية، والصورة المجازية. بينما أطلق دارسون آخرون اسم الصورة المجازية على جميع أنواع الصور البيانية[١].

وهناك من يضيف إلى الصورة البلاغية «الصورة البديعية» لما تمتاز به من انسجام صوتي وإيقاع خاص، ولما يشكله الجرس والإيقاع من هيئة تصويرية[٢].

- وأمّا الصور الحقيقية فهي التي تُكوِّن عبارات حقيقية الاستعمال، ومع ذلك فهي تشكل خيالاً خصباً[٣]. ويسميها علي البطل الصورة «الذهنية» من حيث هي نتيجة لعمل الذهن الإنساني في تأثّره بالعمل الفني وفهمه له، ويسميها

---

١. انظر مثلاً: أحمد علي دهمان، **الصورة البلاغية عند عبد القاهر منهجاً وتطبيقاً**، ط ١ دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦، ص ٣٣٧.

٢. انظر مثلاً: أحمد بسام الساعي في كتابه **الصورة بين البلاغة والنقد**، ص ٣٧، وانظر فايز الداية في كتابه **جماليات الأسلوب**، ص١٩.

٣. انظر على سبيل المثال محمد غنيمي هلال في كتابه: **النقد الأدبي الحديث**، ط دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣، ص ٤٥٧.

الفصل الثالث من هذا البحث.

ثانياً: أنواع الصور

تعد الصورة الفنية من القيم الأساسية في الأعمال الأدبية شعراً ونثراً؛ وذلك لأنّها الوسيلة القادرة على إظهار التجارب الشعورية بكلّ ما تحويه من أفكار وخواطر ومشاعر وأحاسيس، بدونها لا يمكن أن نغوص في أعماق الأديب؛ لذلك أولاها النّقاد في العصر الحديث كلّ عناية، فاشتغلوا بتحديد مفهومها، وبيان أنواعها، ودراسة مصادرها، وكشف وظائفها، وغير ذلك من قضاياها.

ولئن كانت الصورة الفنية محل اشتغال النّقاد في العصر الحديث، فإنّ دراساتهم لأنواعها مازال محل اجتهاد، فمن خلال اطلاعي على عددٍ كبير من تلك الدراسات والبحوث، وجدت النقاد تحدثوا عن أنواع كثيرة وقسموها تقسيمات مختلفة باعتبارات متعددة. ويمكن حصر هذه التقسيمات في ثلاثة اعتبارات أو وفق ثلاثة محاور:

التقسيم الأوّل، بحسب قالبها الفني: وقد قسموا الصورة بحسب قالبها الذي صيغت فيه إلى نوعين من الصور: هما: الصورة البيانية، والصورة الحقيقية[1].

---

١. انظر مثلاً: فايز الداية في كتابه **جماليات الأسلوب**، ط ٢ دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦ ص ٧٥، ١١٣، ١٤١، ١٦١؛ وأحمد بسام الساعي في كتابه **الصورة البلاغة والنقد**، ص ٣٧؛ ونعيم اليافي، **تطور الصورة الفنية في الشعر العربي**، ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

والمتحركة والملونة[١].

وقد أشارت بعض كتب البلاغة قديماً إلى علاقة الحس بالصورة، بيد أنهم قصروا إشاراتهم على التشبيه، مع أنّ هذه الصورة تكون في التشبيه وغيره من الأنواع المجازية والحقيقية[٢].

---

١. وذهب الدارسون لأنواع الصورة في العصر الحديث إلى أكثر من هذا الذي ذكرناه، فقد ذكر نعيم اليافي في كتابيه؛ **تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، ومقدمة لدراسة الصورة الفنية** أكثر من ثلاثين نوعاً من الصور خصّ كل مذهب شعري بأنواع من الصور. وهذه قائمة بمصطلحات الصور وأنواعها التي ذكرها في الكتابين: صور الشعر التقليدي؛ الصور البلاغية (٥٠) والنفسية (٥٤) والصور البصرية (٥٨) والنمط الغالب (٦٠) وفيه ثلاث صور الثابتة (٦١) والجاهزة (٦٣) والمكررة (٦٧). صور الشعر الرومانسي: الصور الامتدادية (١١٤) وأنواعها الفارقة والكامنة والنائمة، (١١٦) والصور النامية (١٢١) والسمعية والموسيقية (١٧٠) الصورة المفارقة (١٨٩) وهي أنواع، والصور المتجاوبة «المتراسلة» أو ما عرف بتراسل الحواس (١٩٥). والصور المتحركة والحركية (٢٠٧) والفرق بينهما أن الأولى حركة في الخيال أمّا الثانية فحركة في الخارج. ويرى أنهما وجدا في الشعر التقليدي إلا أنه كان وجوداً شاحباً، الصور اللونية والضوئية (٢١٧). صور الشعر الحر: الصور الشمية (٣٢٠) الصور الفطرية (٣٣٤) الصور العنقودية (٣٤٤) الصور الإشارية. ومما ذكره في كتاب **مقدمة لدراسة الصورة** مما لم يذكره في كتابه السابق: الصورة العضوية والذوقية والشمية والسمعية واللمسية (٧٠) والمزينة أو التزيينية والفارقة والبارزة و الجذرية والممتدة والمركزة والثرية (٧٨). وهذه الأنواع السبعة الأخيرة نقلها عن دراسة (ولز **WILLS**) التطبيقية عن الصور الشعرية في عيّنة من الشعر الإنجليزي.

٢. انظر: يحيي بن حمزة العلوي، **كتاب الطراز**، تحقيق محمد عبد السلام، ط ١ دار الكتب العلمية، ١٩٩٥، ص ١٦٥ ـ ١٧٠.

نصرت عبد الرحمن الصورة «التقريرية»، والرأي عندنا أن تسميتها «الحقيقية» هو أصح تسمية لأن الحقيقية تقابل المجاز في عرف البلاغة.

وأما التقسيم الثاني بحسب حجمها، ونجد فيه نوعين من الصور:

(١) البسيطة و منها :

- الصورة المفردة كالصورة البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، ويدخل فيها الصورة الجزئية التي هي بمعنى القصيرة، ولكنها أخص منها، لأنها جزء مرتبط بصورة كلية.

-الصورة الكليّة أي التي تكون من صور كثيرة بعضها مرتبط ببعض كما في التشبيه التمثيلي.

(٢)المركّبة وهي :

الصور الممتدّة على المشهد أو اللوحة و تتمثّل في مشاهد متتابعة تستغرق أبياتاً عدة، وقد تمتد لتشمل القصيدة كلها، وخاصة في القصائد التي تصور موقفاً نفسياً واحداً في لحظة زمنية معينة. وتظهر هذه الصور في القصائد التي تصف الناقة أو الفرس أو المرأة مثلاً، وفي القصائد القصصية التي تشغل القصة أبيات القصيدة كلّها.

والتقسيم الثالث هو قسمتها بحسب ارتباطها بالحواس الخمس، فمنها: الصور البصرية والسمعية والذوقية والشمّية واللمسية والصور الساكنة

الوعي ؛ فالفنان لا يستمد صوره من الخيال والفراغ ، وإنّما من ملاحظاته ومشاهده وقراءاته[١] .

الفرقة الثالثة : ترى أنّ النفس والشعور مصدر الصورة في الأدب[٢].

الفرقة الرابعة : ترى أنّ الفنان يستمد صوره من اللاشعور[٣].

وسواء أقلنا إنّ منشأ الصور هو الخيال أو العالم المتغير أو قلنا إنّ منشأها هو النفس والشعور أو اللاشعور ، فإنّ هذه الجهات إنّما تستند في خلق الصور إلى الخبرة التي يكتسبها الأديب ممّا حوله ، إذ يستمد الأدباء المادة الأولية لصورهم من مصادر متنوعة ، بعضها ممّا يعايشونه في بيئتهم كالنّاس الذين يتعاملون معهم ، والحيوانات التي يربونها أو يصطادونها ، والطبيعة التي تحيط بهم. وبعضها من فعاليات الحياة اليومية التي ينغمسون فيها ، والأنشطة التي يقوم بها المرء في حياته اليومية كالضراب والطعان والجدل واللعب. وبعضها من الأدوات التي يصنعها الإنسان كالسيوف

---

١. انظر : حسين جمعة ، **قضايا الإبداع الفني** طـ ١ دار الأدب، بيروت ١٩٨٣ ، ص٤٣.

٢. انظر : نعيم اليافي ، **تطور الصورة الفنية في الشعر الحديث**، طـ اتحاد الكتاب العرب، دمشق، بلاتا.

٣. انظر : عز الدين إسماعيل ،**التفسير النفسي للأدب** ، طـ ٤ دار العودة، بيروت، ١٩٨٨، ص١١٠؛ ومصطفى سويف ، **الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة** ،طـ دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١، ص١٩ ، ٨٩ ، ١٢٠.

لكننا سنضرب صفحاً عن تلك التقسيمات التي حصرنا أنواع الصور فيها؛ وذلك لأننا شاخصون إلى الوظيفة الحجاجية التي تقوم بها الصورة في المدونة العلوية، ولهذا فإنّ التقسيم الذي نرى أنه يخدم هذا الغرض هو التقسيم الذي قدمه جاكوبسون (Roman JaKobson) حينما قسم صور الخطاب إلى قسمين أساسيين يقوم أحدهما على علاقات التشابه(Similarities) ويقوم الثاني على علاقات التداعي(Continuities)[١] وهو تصوّر ـ في رأينا ـ دقيق سوف نجعله أساساً نبني عليه الفصلين الثاني والثالث «الصور القائمة على التشابه» و «الصور القائمة على التداعي».

ثالثاً : مصادر الصور الفنية

انقسم النقاد المحدثون في مصادر الصور إلى أربع فرق :

الفرقة الأولى: ترى أن الخيال وحده هو مصدر الصور سواء أكانت عامة أو جزئية[٢].

الفرقة الثانية: رأت أنّ العالم المتغير هو المنبع الأساسي والوحيد لصور

---

١. لقد أخذنا ترجمة المصطلحين عن محمّد الهادي الطرابلسي ، في كتابه « خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص١٤١.

٢. انظر : أحمد الشايب في كتابه **الأسلوب** ، طـ ٢ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٥، ص٢٤٣ ـ ٢٤٩ ؛ ومحمد غنيمي هلال في كتابه **النقد الأدبي الحديث** طـ دار الثقافة، ص٤٤١.

المحسوس بالمحسوس والمجرد بالمجرد، لكنهم إذا عوضوا محسوساً بمجرد أو مجرداً بمحسوس سميت هذه العملية بعملية التحويل.

ودراستنا تختلف عن المقصد السابق إذ سنهتم بدراسة الوظائف الحجاجية في المدونة العلوية باعتبار أنّها مدونة خطابة بالدرجة الأولى وما الخطابة إلا « الدفاع عن الرأي، وتنوير الرأي العام في أي أمر من الأمور، والحض على الاقتناع بمبدأ من المبادئ والتحريض على اكتساب الفضائل والكمالات واجتناب الرذائل والسيئات، وإثارة شعور العامة وإيقاظ الوجدان والضمير فيهم. وبالاختصار وظيفتها إعداد النفوس لتقبل ما يريد الخطيب أن تقتنع به »[١].

ولئن كانت الغاية من الخطابة هي « الكشف عن الطرق الممكنة للاقتناع في أي موضوع كان. وتلك المهمة ليست من شأن أي فن آخر »[٢]. فإنّ ذلك يجعل من الوظائف الحجاجية الوظائف الأهم في أي خطبة، وعليه فإنّ خطب الإمام علي الحربية كغيرها من الخطب برزت فيها الوظيفة الحجاجية بروزاً واضحاً ومميزاً، وبهذا كان لابدّ من التركيز على هذه

---

١. محمد رضا المظفر، المنطق، ط٢ دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٥، ص ٣٦٨.

٢. أرسطو، الخطابة، ترجمة عبدالرحمن بدوي، ط ٢ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٩.

والرماح والسفن والدنانير والدلاء. وبعضها من الأنشطة الثقافية والحضارية كالكتابة والرسم والديانات والمعتقدات.... وغير ذلك من المصادر. فالمصدر إذاً هو المادة التي ترفد الأديب بموارد الإبداع، فتمده بالصور، ويمكن رد جميع هذه المصادر إلى أمرين: الأمر الأول هو المصدر التجريبي والثاني هوالمصدر الثقافي.

وسنتناول في الصفحات التالية وفي الفصل الرابع المعنون بـ« مصادر الصور» أهم مصادر الصور التي وجدناها في المدونة العلوية الحربية ، مصنفين لها بحسب الميادين التي تنتمي إليها في مبحثين.

المبحث الأوّل: في المصادر التجريبية ، ومدارها على ثلاثة عوالم : الإنسان والحيوان والطبيعة.

المبحث الثاني: في المصادر الثقافية، ومدارها على ثلاثة أمور: الدين والأخلاق، والأدب العربي، التاريخ.

رابعاً : وظائف الصور

البحث في وظائف الصور متوقفٌ على تعيين المحسوس من الصور والمجرد ومقابلة الصورة في كلّ من الصنفين بحقيقة العناصر الموصوفة وحظها من الحس والتجريد، ومحاولة ضبط دورها في التعويض والتجريد.

والأدباء عندما يصوّرون معنىً محسوساً فإنّهم يكونون قد عوّضوا

خاتمة الفصل الأوّل

طمحنا في هذا الفصل إلى رسم صورة تحيط بالمنظومة الخطابية لخطب المدونة الحربية من جميع الجوانب ، فذكرنا تأطيراً تاريخياً لها ، وقمنا بإحصاء الخطب فيها ، وكيفية انتظامها ، وحاولنا من خلالها أن ندقّق القول في مفهوم الخطب الحربية مع عرض نماذج لخطابة عليّ بن أبي طالب، ثم بحثنا خصائص المدونة الحربية مبنىً ومعنىً ، وثنَينا بالتدقيق في تفاصيل الصورة من حيث حدّها لا في اجرائيتها فهذا الفصل يقوم على التجميع والتصنيف ليكون مجال الإجراء والتطبيق : إجراء الصورة في المدونة أي حضور الصورة الفنية في خطبة الإمام علي الحربية ، وما السِّمات الأسلوبيّة التي تكشف عنها هذه الصور في هذه الخطب الحربية وتبرز فرادتها وقوة بيانها وتحقق غرضها ووظيفتها ؟

نخلص من هذا الفصل الأوّل إلى نتائج عدّة منها :

١- أنّ جانباً كبيراً من خطب علي بن أبي طالب الحربية الموجودة في نهج

الوظيفة. ولما كانت الوظيفة الحجاجية هي أهم ركن في أغراض الخطابة؛ فإننا سنقصر تناولنا على وظائف الصور الحجاجية في المدونة بغرض استكشاف آليات الاقتناع وتوظيف الصورة في ذلك الغرض. في الفصل الخامس «وظائف الصور» وسوف نتناول مبحث الوظائف الحجاجية في المدونة العلوية في خمسة محاور: **التوبيخ، الاستشهاد ، والمثال، والأنموذج، وتوظيف الحكمة.**

الخطابة الحربيّة ؛ ولذلك فإنّه يمكننا أن نطلق عليها عنوان الخطب الحربيّة وإن لم تكن كلّها خطباً من باب التغليب ، وهذا ما فعلناه في وضع عنوان هذا البحث.

٣- أنّ خطب علي بن أبي طالب حملت إشكاليات على مستوى المبنى والمعنى.

فمن حيث المبنى ليس الشريف الرضيّ هو من وضع الأرقام ، بل الشرّاح الذين جاؤوا من بعده ، وأمّا العناوين فهي من وضعه. إضافة إلى أنّ المدونة العلوية الحالية تفتقر إلى أجزاء سقطت منها وهذا مشكل في حدّ ذاته. وأمّا من حيث المعنى فقد حملت المدونة مضامين كثيرة من أهمّها: قيمة السلم ، وأخلاق الحرب، و التعاليم الحربية ، و تصوير عمليات القتال والحالة النفسية عند الجند والخصم ، و القائد غير المطاع.

٤ ـ أنّ الصورة الفنية بهذه الحدود التي رسمناها من حيث التعريف ، والأنواع، والمصادر ، والوظائف صارت معيارًا كونياً ، وأنموذجاً إنسانياً مادامت لم تحصر في زاوية تتعلق بأمةٍ أو مجموعةٍ دون أخرى ، وبهذا نحن نتناول مدونة عربية مخصوصة بمقياس كوني ناهيك أنّ صاحب المدوّنة كثيرًا ما نعته النقّاد بأنّه أسُّ البلاغة العربية.

إنّ كلّ هذه الملحوظات تؤصل معرفتنا بالمدونة العلويّة ، وبمفهوم

البلاغة بشكلها النهائي كما وضعها الشريف الرضي ليست كلّها خطبا بالمعنى المنبري للخطبة (أي لها بداية ونهاية ، ولها خطّة الخطبة) ، وإنّما تشتمل على عدد من الخطابات ألقي أمام جمهور متجانس سواء أكان جمهورًا معارضًا معاديا كالخوارج ، أو موافقًا كأنصاره ، وتوجد قطع نصيّة حربيّة أخرى منها المجاوبات والمحاورات والمراجعات والوصايا فهي مجموعة من الأجناس الخطبية ضمن الخطب المعروفة.

ولما كان كلام الإمام علي قد عُدّ كلّه بليغاً ، فإنّ جمّاع النصوص والشرّاح منذ بداية التدوين وحتى عصر استكمال النص في النصف الثاني من القرن الرّابع الهجري على يد الشريف الرضي (٤٠٦/ ١٠١٥) ، قد جمعوها على اعتبار أنّها خطابة علوية أي (جميع أشكال المشافهة البلاغية) ، فهي بلاغة الخطابة في جميع وجوهها؛ ولأنّ الخطيب ليس له مثال ينسج عليه ، وليس على اعتبارها خطبًا منبرية ذات شكل جاهز ، فخطابة الإمام علي من النثر الشفوي البليغ ، وهي تخضع لظروف التلفظ ولظروف المقام.

٢- أنّ الجدول المعد رقم (١) قد بيّن لنا تفاوتًا في عدد ألوان النّصوص الحربيّة ، فالخطب من أكثر نصوص المدونة العلوية شيوعاً ؛ وذلك لأنّ الخطيب في حالة تفاعل حواري مع الأحداث في حروبه الثلاثة ، فالمواقف الحربية تتطلب هذا النوع من الحث والتحريض ، وتعبئة الروح القتالية في

الفصل الثاني

الصور القائمة على التشابه

الصورة الفنية ، وتدفع بنا أشواطاً نحو الهدف المنشود ، ولكنها لا تجيب إجابة شافية عن هذا السؤال الكبير.

ما خصائص الصورة الفنية في خطب علي بن أبي طالب الحربيّة ؟

ونحن أمام هذا التساؤل مطالبون بدراسة الصورة الفنية في خطب الإمام عليّ الحربية ، فالصورة تمثل أحد أكبر مستويات الأسلوب ، وكذلك تمثل في حدّ ذاتها نظاماً أسلوبياً كافياً لفهم المقومات الأسلوبية في خطابة علي بن أبي طالب

الحربية ، لذلك فإننا في هذا العمل سنعكف على دراسة مختلف أشكالها ، وأنظمتها التشكيلية ، وتجلياتها الأسلوبية فهي في تقديرنا من أكثر السِّمات الأسلوبيّة شيوعاً ، وأدقّها تفنّناً ، وأكثرها تنوّعاً من حيث المصادر والأنواع، كما أنّ مكوناتها ومرجعيّاتها الحسيّة والمجرّدة الموجودة في خطب علي بن أبي طالب الحربية تدعونا للخوض في غمار الصورة.

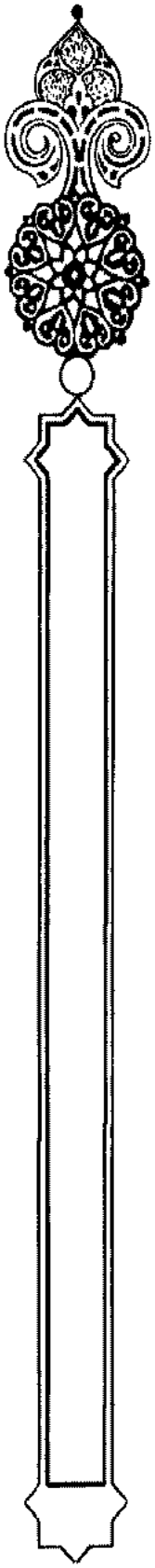

الفصل الثاني

تمهيد

المبحث الأوّل : الصّور التشبيهيّة

. أنواع التشبيه :

أ- التشبيه المفرد

. التشبيه المرسل

. التشبيه البليغ

ب . التشبيه التمثيلي

المبحث الثاني : الصّور الاستعاريّة

. أنواع الاستعارة :

أ- الاستعارة التصريحيّة

ب- الاستعارة المكنيّة

جـ- الاستعارة التمثيليّة

خاتمة الفصل الثاني

إذن هنـاك صـورتان بلاغيتـان قائمتـان عـلى التـشابه همـا التـشبيه والاستعارة، ويؤكِّد بعض البلاغيين أنّ هاتين الـصورتين تـؤولان إلى أمـرٍ واحدٍ.

وفي هذا الفـصل :سـندرس الـصور القائمـة عـلى التـشابه ، وتتـضمن الحـديث عـن التـشبيه و الاسـتعارة وأنـواعهما وعنـاصر التـشبيه فـيهما.

الفصل الثاني

الصّور القائمة على التّشابه

تمهيـــد

إذا مـا رُمنا البحث فـي الصور القائمة على التشابه ، فإنا لا نتجاوز ابـن الأثير (ت٦٣٧ / ١٢٣٩) الذي يقسم التشبيه إلى ضربين بقوله: « والتشبيه ضربان : تشبيه تـام ، وتـشبيه محـذوف ؛ فالتـشبيه التـام : أن يـذكر المـشبه والمشبه به. والتشبيه المحذوف : أن يذكر المـشبه بـه ويـسمى « اسـتعارة » ، وهذا الاسم وُضِع للفرق بينه وبين التّشبيه التّام »[1].

---

١. ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، ط ، الكتبة العـصرية ، بـيروت ، ١٩٩٠ ، ٣٤٣/١.

واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته ، لأنّه لو ناسبه مناسبة كليةً لكان إيّاه »[١] .

ويرى عبدالقاهر الجرجاني أنّ « الشّيئين إذا أشبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين ، أحدهما : أن يكون من جهة أمرٍ بَيِّنٍ لا يحتاج فيه إلى تأوّل. والآخر : أن يكون الشّبه مُحَصَّلاً بضرب من التأوّل »[٢] .

وقد ذكر المبرد في **الكامل** في « باب من تشابيه العرب » شيئاً عن التّشبيه، وذلك أنّه قال : « والتشبيه من أكثر كلام النّاس ، وقد وقع على ألسن النّاس من التّشبيه المستحسن عندهم وعن أصل أخذوه أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبي أو البقرة الوحشية ، والأنف بِحدّ السّيف ، والفَم بالخاتَم ، والشَّعرَ بالعَناقيد والعنقَ بإبريق فضة ، والساق بالجُمَّار ، فهذا كلام جارٍ على الأَلْسُن »[٣] .

ويؤكد الطرابلسي هذا المعنى ، ويبين أنّ كثرة ورود التشبيه في الكلام لم يفقده قيمته الفنية بقوله: « التشبيه هو أبرز أنواع التصوير اطرادًا في كلام البشر عامةً ، المسموع والمقروء على حدّ السواء ، وما هذا بغريب (...) ولم

---

١. ابن رشيق ، العمدة ، ١/ ٢٥٢.

٢. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص١١٥.

٣. المبرد ، الكامل ، ٢/ ١١٩.

المبحث الأوّل:الصور التشبيهية

تمهيد

التشبيه[1] في اللغة مشتق من الجذر الثلاثي « شبه » ، « والشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبيهُ : المِثْلُ ، والجمع أشباهٌ ، وأشبه الشيءُ الشيءَ : ماثله. (...) والتشبيه : التمثيل »[2].

أما اصطلاحاً فيعني الحديث عن شيئين بذكر الأداة(الكاف ، كأنّ أو غيرهما) ووجه الشبه أو من دون ذلك.

يقول ابن رشيق: « التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة

---

١. أنظر:ابن رشيق ، العمدة ، ط١ ، الكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ١/ ٢٥٢ ؛ العسكري ، الصناعتين ، ط٢ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٩،ص٢٦١ ـ ٢٨٢؛ عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة، ط١ ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص٥٢ ـ ٥٥ ؛ ابن الأثير ، المثل السائر، ١/ ٣٧٣ ـ ٤٠٥.

٢. ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣/ ٥٠٣.

عناصر التشبيه :

التشبيه يقوم على أربعة عناصر هي :

١- المشبه ٢- المشبه به ٣- أداة التشبيه ٤- وجه الشبه

والعنصران الأولان (١ ، ٢) أساسيان ، والآخران (٣ ، ٤) ثانويان ، وتقوم أداة التشبيه بدور الرَّابط اللفظي ، بينما يقوم وجه الشَّبه بدور الرَّابط المعنوي ، ويمكن الاستغناء عن أحدهما أو عنهما معًا دون أن يختل التّشبيه بل يزداد قوةً وعمقاً ، على نحو ما يُفهم من كتاب **الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني**[١] .

ونستعمل في هذا المقام التّقسيم الذي اعتمده مؤلفا البلاغة الواضحة[٢]، فنسمي التّشبيه إذا ذُكِرت أداتُه مرسلاً ، وإذا لم تذكر مؤكّداً ، ومفصَّلاً إذا ذكر وجه الشبه ومجملاً في حالة حذفه ، كما نسميه بليغاً إذا حذف فيه الأداة

→

يخرجونه بهذه المعاني إلى حد الإنسان« .أنظر:الجاحظ،الحيوان، ١/ ٢١١. والجاحظ أراد أن يقول أن الشاعر عندما يريد أن يشبهه إنساناً بالليث لا يرمي إلى جعل الإنسان و الليث مخلوقاً واحداً لكنه ثمة ما يجمع بينهما مثل الشجاعة والأنفة.

١. فقد جعل الكاتب التّشبيه في ثماني مراتب من حيث القوة والضعف في المبالغة ، كان أقواها المرتبة السابعة والثامنة التي تمّ الاستغناء فيها عن أداة التّشبيه ووجه الشّبه ؛ انظر القزويني ، **الإيضاح** ، ط١ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ص٢٠٥.

٢. هما علي الجارم ومصطفى أمين ، **البلاغة الواضحة** ، ط ، دار المعارف ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٢٤ ـ ٢٥.

يفقد التشبيه قيمته السامية بسبب اطّراده وسهولة بنائه وما يهدده من جمود قد يلحقه من جرّاء التقليد ، والقوالب الجاهزة ، بالعكس لم يحرمه منثور ولا منظوم ؛ فلا تكاد تخلو منه الفقرة من الفقرات ولا القطعة من الأبيات »[١] .

والتشبيه ـ في رأينا ـ من أقرب الصور اللغوية القائمة على علاقة التشابه تناولاً ، إذ هو مجرد إبراز للعلاقة التشابهية بين عنصرين سواء أعتمد هذا الإبراز على أداة لغوية صريحة أم لا ، وسواء ذكرت علاقة الشبه باسمها أم ترك اكتشافها إلى فهم المتلقي ومعطيات السِّياق.

والإمام علي من الخطباء الذين أجروا التشبيه كثيراً ، ناهيك أن الصورة الفنية في خطبه الحربية هي في الأعم الأغلب من باب التشبيه.

يخرج التّشبيه في خطب علي بن أبي طالب في أشكال متنوِّعة سننظر فيها من حيث الشّكل والمضمون ، ونعني بالشّكل حضور عناصر التشبيه الأربعة كلّها أو غياب بعضها ، ونعني بالمضمون العلاقات الدَّلالية بين هذه العناصر وبخاصة بين المشبه والمشبه به[٢] .

---

١ . الطرابلسي ، **خصائص الأسلوب في الشوقيات** ، ص١٤٢ .

٢ . وقد بين الجاحظ مفهومه للحد الفاصل بين المشبه والمشبه به بالقول :« وقد يشبه الشعراء و العلماء والبلغاء الإنسان بالقمر والشمس ،والغيث والبحر ،بالأسد والسيف، وبالحية والنجم ، ولا ←

التشبيه المرسل

هو ذلك التشبيه الذي تتوافر فيه العناصر الأربعة السابقة[١]، وهو التشبيه الأكثر رواجاً في الخطاب الحربي بشكل خاص، والإنساني بشكل عام، ويعلل الطرابلسي كثرة شياعه في الكلام أكثر من بقية أنواع التشبيه بأن «... بناءه لا يتطلب صنعة كبيرة، ولا تفنّناً خاصاً، (...) خاصة وأنّه أحسن إطار ينتظر أن نجد فيه الصور في أوضح مظهر، مشبعة بأبين دلالة، وإن خلت من العمق أحيانا»[٢].

لا نستطيع أن نقدم إحصاءً دقيقاً لنسبة ورود التشبيه مرسلاً في بقية أنواع التشبيه في خطب الإمام علي الحربية. ولكننا نستطيع أن نقرر بكل اطمئنان ـ إذا اعتبرنا التشابيه المفردة دون المركبة، أو التي قامت على التمثيل ـ أنّ أكثر من نصف تشابيه المدونة العلوية الحربية هي من المرسل بيد أنّ أداة التشبيه قد تنوعت من مثالٍ إلى آخر. فكان لتنوعها دور كبير في تلوين بعض الدلالات، بمقتضى المعاني التي تصحب بعضها في اللغة.

---

١. نقوم بتعريف نوع التشبيه المدروس بعد العنوان مباشرةً معتمدين على المظاهر البارزة ومعرضين عن الجزئيات التي لا تغني. أنظر: تعريفات التشبيه المرسل عند الخطيب القزويني، **الإيضاح**، ص٣٨٨؛ و عبد العزيز عتيق، **علم المعاني والبيان والبديع**، ص٢٧٤؛ و الأزهر الزنّاد، **دروس في البلاغة العربية**، ط ١ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٩٢، ص٢٣.

٢. محمد الهادي الطرابلسي، **خصائص الأسلوب في الشوقيات**، ص١٤٣

ووجه الشبه[١].

والغاية من الصورة التّشبيهية « الكشف عمّا بين المدلولات من شبه خفي، بل إيقاع التّماثل بين عناصر الكون المتباينة فيما يأتيه الأديب الأصيل من إعادة تشكيل للعالم »[٢].

أنواع التشبيه :

سبق أن ذكرنا أنّ الإمام عليّاً يكثر من الاعتماد على التشبيه في خطبه الحربية ، وكان مقصده من ذلك إقامة الحجة على متلقي الخطاب من جمهور المسلمين عبر تقريب المعاني وتجسيمها لإدراك أبعاد الصورة الحجاجية. وقد قمنا برصد صور التشبيه في المدونة فكانت حسب الحضور نوعين من التّشبيهات: التّشبيه المفرد ، والتّشبيه التمثيلي.

أ ـ التّشبيه المُفرد :

خرج التشبيه المفرد في المدونة العلويّة إلى نوعين من التّشابيه هما : التشبيه المرسل ، والتشبيه البليغ.

---

١. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة ، ص٢٥.

٢. أنظر: مقال هشام الرّيفي ، المعنون بـ« **دراسة التّشبيه بين التّركيب النّحوي والدّلالة عند البلاغيين العرب القدامى** » ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد ٢٨ ، ١٩٨٨ ، ص٢٣٤.

مشهد بآخر تعويضاً لا يؤثر فيه عدد العناصر التي يقوم عليها ولا ترتيبها فهو يستوفي كل العناصر و ينتظمها على ترتيب أصلي، وإننا لا نجد في هذه الصور عنصراً متفوقاً على آخر أو مؤدياً دوراً خاصاً غير الذي ينتظر منه عادة ، بل القيمة كلّها للصورة التشبيهية بعناصرها كافة. والذي يؤكد هذا الذي ذهبنا إليه هو أننا وجدنا أكثر حالات التشبيه المرسل الذي على ترتيب أصلي أداتها « الكاف »، وهي أداة مفرغة من كلّ دلالة خاصة ولا معنى لوجودها إلا في سياق من هذا النوع. و إلى جانب « الكاف » نجده يستعمل «كأنّ» ولكن بنسبة أقلّ ، قال :

مشبهًا مسجد البصرة بجؤجؤ سفينة والمدينة تغرق :

« كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ ، قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا »[1].

ويقل عن ذلك استخدامه أداة « مثل » أو« كما » كما في قوله يصف أصحاب النَّبي محمّد:

« كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ المِعْزَى ، مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ ، إِذَا ذُكِرَ اللهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ ، وَمَادُوا كَمَا يَميدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ العَاصِفِ ،

---

١. الخطبة ١٣.

وقد ورد التشبيه المرسل في خطب علي الحربية أغلبه على الترتيب الأصلي:

م + أ + م به + و.

إنّ المنتظر في التشبيه هو أن يرد المشبه في المرتبة الأولى، والأداة في المرتبة الثانية ، فالمشبه به في الثالثة ، فوجه الشبه في المرتبة الرابعة و الأخيرة، كما في المثال التالي :

« لاَ تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ ، عَاقِصاً قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ »[1].

والحاصل في هذه الفقرة أنّ الإمام عليًا شبَّه طلحة بالثور ، فالمشبه هو طلحة ، والمشبَّه به الثَّور ، ووجه الشَّبه هو غطرسة طلحة وهيجانه ، والكاف دلَّت على معنى التشبيه ، إذ جاء بعدها المشبه به لفظا، وبذلك يكون هذا التشبيه تشبيهاً مرسلاً[2].

وعلى هذا الترتيب « الأصلي » وردت نصف أمثلة التشبيه المرسل في الخطابة العلوية الحربية تقريباً. إنّ هذا النوع من التشبيه يقوم على تعويض

---

١. الخطبة ٣١.

٢. ويفصِّل عَبْدُه وجه الشبه في هذا التشبه المرسل بقوله : « وعاقصاً قرنه : من عقص الشّعر إذا ضفره وفتله ولواه ، وهو تمثيل له في تغطرسه وكبره وعدم انقياده ، ويركب الصعب : يستهين به ويزعم أنّه ذلول سهل ؛ انظر: محمّد عَبْدُه ، شرح نهج البلاغة ، ١/ ٩٩.

الإمام علي بأن لا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال :

«وَاللهِ لاَ أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا»[١].

وفي استنفار أصحابه إلى قتال أهل الشّام قوله :

«إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلى جِهَادِ عَدُوِّكُم، دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ، كَأَنَّكُمْ مِنْ المَوْتِ فِي غَمْرَة، وَمِنْ الذُّهُول فِي سَكْرَة، يرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهونَ، فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ، فَأَنْتُمْ لاَ تَعْقِلُونْ»[٢].

وممّا وجدناه في خطابه الحربي جمعه لتشبيهين بأداة واحدة (الكاف) ، إذ يقول في ذَمِّ أهل البصرة : «وَايْمُ اللهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ ، أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ»[٣].[٤]

فلما شبه الإمام عليّ المسجد بالسفينة ، ثم شبهه بالنّعامة ، دلّ ذلك على وجود شبه جامع بين الثلاثة جوّز تشبيه المسجد بكلٍ منهما ، وهذا الجامع بين هذه الثلاثة هو اختفاء الجزء الأسفل من كلٍ منها ، فعند غرق البلدة

---

١. الخطبة ٦.

٢. الخطبة ٣٤.

٣. جَثَمَ: « الإنسان والطائر والنّعامة (...) لزم مكانه لم يَبْرَح أي تلبد بالأرض أو وقع على صدره »؛ انظر : ابن منظور ، لسان العرب ،مادّة : (ج، ث، م) ، ١٢ / ٨٢.

٤. الخطبة ١٣.

خَوْفاً مِنَ العِقَابِ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ »[١].

إنّ التشبيه المرسل الذي وردت عناصره على ترتيب أصلي في خطب علي بن أبي طالب هو ضرب من التصوير يفقد فيه الرابطان اللفظي (الأداة) والمعنوي (وجه الشبه) كلّ قيمة خاصّة ، وإذا رمنا نعت هذا النوع من المرسل قلنا هو التشبيه الذي يرد وجه شبهه في آخر مرتبة دائما وتكون أداته « الكاف » غالباً.

وهذا اللون من التشبيه يحتل المرتبة الأولى في دائرة التشبيه وقد وجد فيه الإمام علي خير وسيلة للتطويل ؛ فظروف الحرب تتطلب هذا النوع الذي يبرز الصورة في أوضح مظهر ، مشبعة بأبين دلالة. فأغلب تشبيهات علي بن أبي طالب مرسلة ؛ أي مذكورة الأداة ، سواء أكانت هذه الأداة هي الكاف ـ وهي الأكثر ـ أم غيرها، كقوله في طلحة[٢] والزبير[٣] حينما أشير على

---

١. الخطبة ٩٦.

٢. هو طلحة (٣٦/ ٦٥٦) بن عبيد الله بن عثمان التميمي القرشي المدني ، أبو محمّد : صحابي ، شجاع ، من الأجواد (...) قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة. ودفن بالبصرة ؛ الزركلي ، **الأعلام** ، ٣/ ٢٢٩.

٣. هو الزبير بن العوام (٣٦/ ٦٥٦) بن خويلد الأسدي القرشي ، أبو عبدالله : صحابي شجاع (...) قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل ، بوادي سباع على سبعة فراسخ من البصرة ؛ الزركلي ، م.ن. ، ٣/ ٤٣.

أغلب التّشبيهات المرسلة اتخذت من « الكاف » رابطاً لفظياً بين ركني التّشبيه ، كما في قول الخطيب/ الإمام علي لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج ، مشبّهاً المُنجِّمُ بالكاهن، ومشبّهاً الكاهن بالساحر ، ومشبّهاً الساحر بالكافر:

« أَيُّهَا النَّاسُ! إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ إِلاَّ مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلى الكَهَانَة ، وَالمُنَجِّمُ ، كَالْكَاهِنِ ، وَالكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ ، وَالسَّاحِرُ كَالكَافِرِ ، وَالكَافِرُ فِي النَّارِ ، سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ »[1].

وإلى جانب الكاف نجده يستعمل « كأنّ » كما في المثال التالي :

« كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطَرَّقَةُ ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ والدِّيبَاجَ ، وَيَعْتَقِبونَ الْخَيْلَ العِتَاقَ ، وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ المُجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ ، وَيَكُونَ المُفْلِتُ أَقَلَّ مِنْ الْمَأْسُورِ »[2].

تقوم أدوات التشبيه الحرفيّة المذكورة في الخطاب الحربي بالدور التقليدي الذي تقوم به في أي خطاب والمتمثل في التصريح بعقد علاقة بين وحدتين

→

التوهم إلى حدّ اليقين» ؛عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،تحقيق محمد رشيد رضا ،ط ١ دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٨٨،ص٣٢٦.

١. الخطبة ٧٨.

٢. الخطبة ١٢٦.

(البصرة) يختفي بناء المسجد ولا يبقى منها إلا منارتها ، وكذلك لا يرى من السفينة في البحر على البعد وهي ذاهبة أو قافلة إلا أعلاها، وكذلك النّعامة الرابضة لا يرى إلا رأسها.

هذا التفصيل في المشبّه به يعد ظاهرة في تشبيهات علي بن أبي طالب الحربية المرسلة.

ويمكن تفسير هذه الظاهرة بالآتي :

النزعة الدائمة عند علي بن أبي طالب إلى التدقيق في وصف المشبه به ، فهو لا يكاد يشبه شيئاً بآخر إلا خصّ الأخير بمجموعة من الصفات تقل أو تكثر ، بيد أنّها على كلّ حال تشخصه تشخيصاً محدداً ، حتى لا يحتاج المتلقي إلى أن يحدد له وجه الشبه بينه وبين المشبه به ، إذ تتكفل هي بإبرازه.

حضور أداة التّشبيه[1] في الخطاب الحربي :

---

١. وقد أشار الجرجاني إلى هذه القضية إشارة يبين فيها مراتب الدلالة في التشبيه وفق الأداة التي ينعقد بها: «تقول:زيد كالأسد أو مثل الأسد أو شبيه بالأسد:فتجد كلّ ذلك تشبيهاً غفلاً ساذجاً.ثم تقول:كأنّ زيداً الأسد، فيكون تشبيهاً أيضاً إلا أنّك ترى بينه وبين الأوّل بوناً بعيداً لأنّك ترى له صورةً خاصة وتجدك قد فخمت المعنى وزدت فيه بأن أفدت أنّه من الشجاعة وشدة البطش وأنّ قلبه قلب لا يخامره الذعر ولا يدخله الروع بحيث يتوهم أنّه الأسد بعينه ثم تقول: لئن لقيته ليلقينّك منه الأسد،فتجده قد أفاد هذه المبالغة لكن في صورة أحسن وصفة أخص ، وذلك أنّك تجعله في «كأن» يتوهم أنّه الأسد و تجعله ها هنا يرى منه الأسد على القطع. فيخرج الأمر من حدّ ←

المناسبة لظروف الحرب ، ولكنه في الوقت نفسه يبين ضعف طاقته الإيحائية فهو أقل توغّلا في التصوير ولا يعدو أن يكون ترجمة للموصوف من هيئة إلى أخرى.

ولعلّنا نتبيّن عطاء الإمام علي فيه ، في مصادر صوره ووظائفها ، أكثر ممّا في مظاهر إخراجها.

٢- التّشبيه البليغ[١]:

وهو ما ذكر فيه الطرفان فقط وحذف منه الوجه والأداة. فهذا الأسلوب بتجرّده من الأداة يتميّز بالمطابقة التامة بين المشبه والمشبه به ، وبخلوه من وجه الشبه يتميّز بإجمال التقريب بينهما « ممّا يسمح باعتبار التشبيه البليغ أسمى درجة من التشبيه الصريح من حيث هو يسوّي بين

---

١. وسمي التشبيه البليغ بليغا لأنّ حذف الوجه والأداة يوهم اتحاد الطرفين وعدم تفاضلهما فيعلو المشبه على مستوى المشبه به وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه.ويذكر المراغي بشيء من التفصيل حول سبب التسمية بقوله: « وسموا مثل هذا التشبيه بليغاً لما فيه من اختصار من جهة وما فيه من تصوير وتخيل من جهة أخرى ؛ لأنّ وجه الشبه إذا حذف ذهب الظن فيه كل مذهب وفتح باب التأويل ، وفي ذلك ما يكسب التشبيه قوة وروعة وتأثيراً. » ؛ انظر : أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها ، ط٢ مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٦، مادة (ت ش ب) ، ص ٣٣٠ ؛وأنظر : أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، ط دار القلم ، بيروت ، د.ت. ،ص ٢١٤ـ٢١٥.

دلاليتين ، وخلت المدونة من بقية الأدوات التشبيهية في النص الحربي كلّه فلا نجد اعتماد أدوات تشبيه من جنس الأفعال ، وربما يكون ذلك بسبب الدفع الحثيث للجند والحاجة إلى استخدام التحريض المباشر المتمثل في حضور أدوات التشبيه التقليدية هذه.

هكذا يتضح أنّ الأدوات التي استخدمت في التشبيه المرسل هي : الكاف وكأن وكما ومثل ، وقد دخلت أداة الكاف في تركيب نصف أمثلة التشبيه المرسل في المدونة العلوية ، تقريباً. أمّا النصف الباقي فأمثلته مبنية على بقيّة الأدوات، بدون تمييز ولا تفاوت كبير.وقد وجدنا أنّ الأغلبية الساحقة من الصور التي أداتها الكاف يعتمد شكلها ورود المشبه في المرتبة الأولى ، والأداة في الثانية ، والمشبه به في الثالثة ،ووجه الشبه في الأخيرة.

ووجدنا أنّ الذي يلي الكاف في الشيوع هي الأداة كأنّ. وهي أداة تحمل معنى التخييل إلى جانب دورها المتمثل في الربط اللفظي بين المشبه والمشبه به ، فهي أسمى درجة من الكاف.

إنّ ورود التشبيه في خطب علي بن أبي طالب الحربية مرسلاً بالأهمية هذه، وبغلبة الفصل بين العنصرين الرئيسين (المشبه والمشبه به) فيه ، مع غلبة أداة الكاف في بنيته ، دلائل ، تشهد بأنّ هذا اللون من التشبيه هو أبسط مظاهر التشبيه وأكثرها وضوحًا. وهذا يفسّر قوّة طاقته الإخبارية

أراد بهذا التشبيه تعريف حال المشبّه ، وإلقاء الحجة عليه ، فألحق المشبّه بمشبّه به معروف ومحسوس لدى المخاطب بياناً لما في الانفراج عن ابن أبي طالب من الخسران ؛ وذلك لأنّهم فقدوا عقلا مدبرًا ورئيساً بارزاً ، فشبههم بانفراج الرأس في حال قطعه عن الجسد ، وماذا يفعل رأس من دون جسد ؟! هكذا علي مع أصحابه ، والتشبيه هنا خالٍ من الأداة. إذ جعل الخطيب الطرفين متحدين فالمشبه يكافىء المشبه به ، ولايتميّز أحدهما عن الآخر.

وبما أنّ التمثيل يقوم على أساس المشابهة بين العلاقات ، فإنّ علاقة جمهور المسلمين متلقي الخطاب بالإمام علي هي علاقةٌ تتسم بالخوف والرفض للجهاد والاضطراب وبالخصوص الصور التي وردت في الخطب التي ألقاها على جنده بعد أن استنفرهم لقتال معاوية وقصّروا ، فلامهم على تقصيرهم. وهذا الأمر وحده كفيل بأن يجعل السامع يرى في الإمام على المثير ومدار الحجاج ، لأنّه حينما دعاهم إلى القتال قصّروا ، وفيما أتوه تعبير عن رفض الجهاد وخوف ممّا قد يلحقهم منه من الأذى، وقد غلب على تلك الصورة التشبيهية ورود الأداة مفعولاً مطلقاً أي مصدراً مشتقاً من الفعل الذي يتصدر الموضوع، ومن ذلك قوله:

المشبه به والمشبه تسوية تامّة »[١] .

ويحتل هذا الأسلوب الدرجة الثانية في الشيوع بعد التشبيه المرسل في المدونة الحربية ، والصورة الغالبة التي يرد عليها هذا النوع من التشبيه في خطب الإمام علي الحربية يكون فيها المشبه به مفعولاً مطلقاً.

كقوله في استنفار النّاس إلى أهل الشام :

« وايمُ الله إنِّي لأَظُنُّ بِكُمْ لَوْ حَمِسَ[٢] الوَغَى ، واستَحَرَّ المَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ[٣] عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ »[٤] .

ففي هذه الفقرة تشبيه بليغ، إذ شبه الخطيب انفراج الأصحاب عنه في ساحة الوغى (أي انكشافهم وتفرّقهم عنه) بانفراج الرأس عن الجسد. فالانفراج الأوّل المشبه ، والانفراج الثاني هو المشبه به ، ووجه الشبه هو الحاصل المشترك ممّا ينتج عن انفراج الأصحاب ، وما ينتج من انفراج الرأس عن الجسد ، وهو القتل.

إذ يريد الخطيب بيان حال المشبه كون المخاطب يجهل حال المشبّه، وقد

---

١ . الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في « الشوقيات» ، ص١٥٠ .

٢ . حَمِسَ:« اشتدّ، وفي حديث علي كرم الله وجهه: حَمِسَ الوغى واستحرّ الموت أي اشتدّ الحرُّ » انظر : لسان العرب ، مادة(حمس) ،٦/ ٥٧ .

٣ . الانفراج: « الانكشاف ».انظر : م.ن.، مادة (ف رج)،٢/ ٣٤٤.

٤ . الخطبة ٣٤.

الأفعال	دلالاتها	المصادر	معانيها
جرجرتم	جرجرة المسلمين على المجاز	جرجرة الجمل	المقصود بالجرجرة الجمل على الحقيقة
تثاقلتم	تثاقل المسلمين عن الجهاد على المجاز	تثاقل النضو الأدبر	تثاقل النضو الأدبر على الحقيقة
انجحر	انجحار المسلمين عن الجهاد على المجاز	انجحار الضبة.. والضبع	انجحار الضبة... والضبع على الحقيقة

في الجدول السابق فروق بين المصدر والفعل لا من حيث الصيغة فحسب ، وإنّما من حيث الدلالة أيضًا. فجرجرة الجمل غير جرجرة المسلمين ، وتثاقل النضو الأدبر غير تثاقلهم وانجحار الضبة والضبع غير انجحارهم ، وإنّ معاني الأفعال وردت على المجاز بينما معاني المصادر وردت على الحقيقة ، وهي استعارات. وهنا تكثيف في الصورة الحربية التي

«جرجرتم جرجرة[١] الجمل الأسر»[٢].

و «تثاقلتم تثاقل[٣] النضو الأدبر»[٤].

و «انجحر انجحار[٥] الضّبّة في حجرها والضَّبعُ في وجارِهَا»[٦].

إنّ أداة التشبيه «رابطٌ لفظي يعقد به المتكلم علاقة المشابهة بين الطرفين. وهي علامة على التكافؤ بين طرفي التشبيه، ولكنه تكافؤ غير تام»[٧]، وقد وردت الأداة مفعولاً مطلقًا أي مصدرًا مشتقًا من الفعل الذي يتصدر الموضوع ويمكن أن نعتمد هذا الجدول لمعرفة الأفعال ودلالاتها والمصادر ومعانيها،والدور المهم الذي تلعبه الأداة التشبيهية(المفعول المطلق/ المصدر) في بناء الصورة وتلوين مدلولاتها.

---

١. الجرجرة:« صوت البعير عند الضَّجَرِ» ؛ انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادّة : (ج،ر، ر)، ٤/ ١٣١.

٢. الخطبة ٣٩.

٣. التثاقل : تثاقل القوم : استنهضوا لنجدة فلم يَنْهَضُوا إليها.والتثاقل : التباطُؤُ من التّحامُل في الوطء ؛ انظر : ابن منظور، م.ن.، مادّة : (ث، ق،ل) ، ١١/ ٨٧.

٤. الخطبة ٣٩.

٥. الجُحْرُ : « لكلّ شيءٍ يُحْتَفَرُ في الأرض» ؛ انظر : ابن منظور ، م.ن.، مادّة:(ج،ح،ر)، ٤/ ١١٧.

٦. الخطبة ٦٨.

٧. الأزهر الزنّاد ،دُروسٌ في البلاغة العربية، ص ١٧.

فالجهاد نفسه يصور بصور مختلفة في محاولة من علي بن أبي طالب لتثبيته في ذهن المتلقي :

١ - باب من أبواب الجنة

٢ - لباس التقوى

٣ - درع الله

وهذا التفصيل يدل على تملك الفكرة لصاحبها ، ورغبته في تقوية المعنى وتفخيمه في نفوس سامعيه وتثبيت فكرة الجهاد في نفوس أتباعه وعقولهم.

ب ـ التشبيه التمثيلي[١]:

«من أساليب التشبيه ما لا يكتفى فيه بالتقريب بين عنصرين في مظهريهما البسيطين بل يتجاوز ذلك إلى حال كلّ منها وهيئته الخاصة البينة بظروف حافة أو عوامل مساعدة على إبراز حقيقته ، فيقرب بين الشيء في إطار المميز ذاك والشيء الآخر»[٢].

---

١. التشبيه التّمثيلي : هو ما كان وجه الشبَّه فيه صورة منتزعة من متعدّد أمرين أو أمور. هذا هو مذهب جمهور البلاغين في تعريفه ، ولا يشترطون فيه غير تركيب الصُّورة ، سواء أكانت العناصر الَّتي تتألَّف منها صورته ، و تركيبه حسيَّة أو معنويَّة. كلَّما كانت عناصر الصُّورة المركّبة أكثر كان التَّشبيه أبعد وأبلغ. انظر : عبد العزيز عتيق ، **علم المعاني والبيان والبديع** ، ص ٢٨٠.

٢. محمد الهادي الطرابلسي ، **خصائص الأسلوب في الشوقيات** ، ص١٦٠ .

اختلطت فيها الاستعارة بالتشبيه البليغ وذلك للدلالة على الجبن والخوف والرفض للجهاد وتركيز لها ممّا يؤدي إلى السيطرة على عقل المتلقي ، حتى يستخرج من المعاني عصارتها ، وتصل مع علي بن أبي طالب إلى مقصده وهدفه. وهو بلا شك مقصد حجاجي لذلك قال عبدالقاهر الجرجاني « واعلم أنّ ما اتفق العلماء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني وبرزت هي باختصار في معرضه (...) إن كان حجاجًا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر »[1].

والتشبيه هنا أكثر عمقاً وأنزع إلى المجاز. فليس الهدف من هذا التشبيه الذي أداته المفعول المطلق تصوير الحقيقة ونقلها إلى المتلقي وإنّما يرمي الخطيب إلى تضخيم هذه الحقيقة وتهويلها بنقل المشبه إلى مستوى المشبّه به بالرغم ممّا بين الاثنين من تفاوت واختلاف.

وربما حذف الأداة ووجه الشبه جميعاً فجاء تشبيهاً بليغاً أيضاً وذلك في قوله :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنْ الجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ ، فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ، وَهُو لِبَاسُ التَّقْوَى ، وَدِرْعُ اللهِ الحَصِينَةُ ، وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ »[2].

---

١. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ١٤٥، ١٤٧.

٢. الخطبة ٣١.

وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الْأَدْبَرِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ ، مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ »[1].

فشبّه حالهم حينما استنفرهم فتقاعسوا ، متذرعين بكلام غامض ، معتذرين بأعذار واهية ، تكشف عن تخاذلهم وضعفهم بحال الجمل المصاب بقرحة في زوره ، وهو يردد صوتاً قبيحاً ، وبحال البعير المهزول المعقور وهو ينهض متثاقلاً ويسير متثاقلاً ، ثم صور حالة القلة التي خرجت للحرب في ضعف وتثاقل وتردد بحال جماعة من الناس يساقون إلى الموت سوقاً وهم يرونه أمامهم رؤية العين. ومن الصور التي نرى فيها التشبيه التمثيلي بارزا قوله لمّا أشير عليه ألا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال : « وَاللهِ لاَ أَكُون كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ[2] حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا ، وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا ، وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي... »[3].

فالإمام رفض أن يقعد عن الحرب وعن الانتصار لحقه فتكون حالته مع أعدائه في العجز والتسليم لهم كحالة الضبع مع صائدها ؛ النّوم والعجز

---

١. الخطبة ٣٩.

٢. اللّدم بسكون الدال صوت الحجر إذا وقع على الأرض ؛ المنجد ، ٧١٨.

٣. الخطبة ٦.

إنّ حظّ هذا النّوع من التّشبيه وافر في الخطاب الحربي نسبياً ، على أنّ توزيعه في المدونة الحربية يختلف من موضوع إلى آخر ، وأخصب موضوع يبدو فيه التّشبيه التّمثيلي هو الذمّ[1] ، وربما يعود الأمر في ذلك للحالات التي كان يعيشها الإمام علي مع العراقيين من عدم نصرته في الحروب ، وتخاذل الجند وتقاعسهم. وقد اختار الإمام علي الصّور القائمة على التّشبيه التّمثيلي ، وقام بإخضاعها لموضوع الذّم تقوية للمعنى وتفخيمه في نفوس الجند المعرضين عن القتال.

فقال في توبيخ أصحابه من أهل الكوفة على التباطؤ عن نصرة الحق :

«يَا أَشْبَاهَ ٱلْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا ، كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ»[2].

فشبههم الإمام علي في تفرقهم ونفارهم وضعفهم واضطرابهم وازدراء العدو بهم بالإبل التي غاب عنها رعاتها ، فلا هادي يهديها ، ولا جامع يجمعها ، ولا حارس يرعاها.

وقوله في ذم المتقاعسين عن القتال :

«دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ ، فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الجَمَلِ ٱلأَسر،

---

١ . سنفصل القول في هذا الموضوع في الفصل الخامس المعنون بوظائف الصور.

٢ . الخطبة ٩٦.

ثم شبه حالهم عند دعائه إلى الجهاد تشبيهاً ثانياً بحال من اختلط عقله أي أنّهم في حيرتهم وترددهم في جوابه كمختلط العقل لا يفقه ما يقول.

نستطيع أن نقول بعد دراسة مختلف ضروب التّشبيه التي قامت عليها خطب عليّ بن أبي طالب الحربيّة إنّ التّشبيه التّمثيلي هو من أبرز مظاهرها وأكثرها طرافة.

وهذا ليس غريبا ؛ فإن الظروف التي مرّ بها علي بن أبي طالب تتناسب كثيراً مع هذا الضرب من التّشبيه فالجند متخاذلون متقاعسون عن الحرب، فلا بدّ لهم من التّمثيل ، وهو تشبيه متحرر من قيود العناصر الأربعة ، ومتوغل في التّصوير ، وقد نزع الإمام علي إليه ، فحظّ التّشبيه التّمثيلي الواسع من التّوظيف في الخطاب الحربي ، وما حمله من طاقات دلالية يجعل له طابعاً خاصاً يميز صوره.

فالنظرة الشّائعة عن التّشبيه هي أنّه ما دام قد اقترن بالوضوح فالعلاقات تكون قريبة بين الطرفين ، لكنّ الإمام عليَا خرج في بعض تشبيهاته عن هذه القاعدة ، فأوجد علائق بعيدة أو خفّية بين الطرفين ، كقوله في ذمّ أهل البصرة : « وَايْمُ الله لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ طير في لجّة بحر »[١].

---

١. الخطبة ١٣.

والوقوع في حبالته.

ومن السياقات التي أخرج فيها التشبيه التمثيلي ما جاء في خطبته التي يستنفر الناس فيها لمحاربة أهل الشام من قوله :

« أُفٌّ لَكُمْ ، لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ !! أَرَضِيتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الآخِرَةِ عِوَضاً ؟ وَبِالذُّلِ مِنْ العِزِّ خَلَفاً ؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلى جِهَادِ عَدُوِّكُم دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنْ الْمَوْتِ فِي غَمْرةٍ ، وَمِنْ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ ، يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ ، فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأَلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لاَ تَعْقِلُونَ »[1] .

ففي هذه الفقرة من الخطبة توبيخ لهم على عدم نصرته ، وقعودهم عن الحرب والجهاد إلى جانبه ، فقد شبههم تشبيهًا مزدوجًا ؛ فمرة بأنّ أعينهم تدور حيرة وترددًا وخوفًا من أحد أمرين : إما مخالفة دعوته للجهاد ، أو الإقدام على الموت ، وفي كلا الأمرين خطر ، ثم شبه حالتهم تلك في دوران أعينهم وحيرتهم بحال المغمور في سكرات الموت ، السّاهي فيها عن حاضر أحواله المشغول بما يجده من الألم وهذا التّشبيه التّمثيلي مأخوذٌ من قوله تعالى : « فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيهِ مِنْ المَوْتِ »[2]، ومرة أخرى : يرتج عليهم حواره فيتحيرون ،

---

١. الخطبة ٣٤.

٢. الأحزاب ٣٣/ ١٩.

المبحث الثاني : الصور الاستعارية[1]

يذهب جورج لايكوف في كتابه **الاستعارات التي نحيا بها** إلى أنّ الاستعارة من أكثر الوسائل الأسلوبية رواجاً في كلام البشر والإنتاج الأدبي[2] ، فهي تحسن المعنى فتنقله من معنى التجريد إلى الدائرة الحسية الحية ، أو العكس ، وهي من أعلى مراتب الخيال ، فأساسها قائم على المشابهة بين أشياء ليست تأتلف في الإلف والعادة والتفكير العقلي.

---

١ . الاستعارة لغة : رفع الشَّيء أو تحويله مِنْ مكانٍ إلى آخر. يُقال استعارة فلان سهمًا من كنانته.: رفعه ، وحوَّله منها إلى يده. وعلى هذا يصحُّ أن يُقال : استعارة إنسان مِنْ آخر شيئًا ، بمعني أنَّ الشيءَ المستعار قد انتقل من يد المُعير إلى المُستَعير للانتفاع به. ومن ذلك يُفهم ضمنًا أن عمليَّة الاستعارة لا تتمُّ إلا بين مُتَعَارِفَيْن تجمع بينهما صلة ما. انظر : عبد العزيز عتيق ، **علم المعاني والبيان البديع** ، ط دار النهضة العربية ، د.ت. ، ص/ ٣٦

٢ . انظر : ص ٢١ و ما بعدها في كتاب **الاستعارات التي نحيا بها**، ط ١، دار توبقال للنشر، ١٩٩٦، فهو كتاب مفيد.

فعند ما نقول : ليلى كالقمر : كان هناك تصوّر سابق في الربط بين المرأة والقمر يتجسد في وجه الشبه المعني بالأمرين المادي و المعنوي.

أولا : المادي :

البياض ، والجمال ، الاستدارة...

ثانيا : المعنوي :

ـ من ناحية نفسية : ليلى صعبة المنال ، القمر بعيد.

ـ الموازنة في الجنس : ليلى مؤنث ، القمر مذكر.

بيد أننا نتساءل: ما هي علاقة المسجد بالطير؟

النقاط المتباعدة:

المسجد : ثابت ـ جامد ـ كبير الحجم.

الطير : متحرك ـ ذو روح ـ صغير

النقاط المتشابهة

المسجد : تنقل الأخبار (رسول مقدس لعلاقته بالنّبي)

الطير : تحمل الأخبار (رسول المعرفة مقدس لعلاقته بسليمان)

لقد رسم علي بن أبي طالب صورة جميلة للمسجد وسط صحراء البصرة ، فالمسجد له رسالة والطير له رسالة ، فالعلاقة خفية ولا يمكن أن تدرك إلا بعد تفحص وتأمل شديدين فيهما.

ـ إذا حذف المشبه وصرح بالمشبه به ، فهذه استعارة تصريحية.

ـ إذا اختفى المشبه به واكتفى بشيء من لوازمه يدل عليه ، فهذه استعارة مكنية.

(٢) المتعلقات بطرفي الاستعارة.

ـ مجردة : ما توفرت على متعلقات المشبه (المستعار له).

ـ مرشحة : ما توفرت على بعض متعلقات المشبه به (المستعار).

ـ مطلقة ، وهي التي لم يقترن بها ما يلائم المشبه به والمشبه. وإذا اجتمع الاثنان في الاستعارة فهما تجريد وترشيح[١].

(٣) من حيث اللفظ.

ـ مشتق (تبعية)

ـ جامد (أصلية)[٢].

(٤) القرينة : وقد تكون لفظية أو سياقية ، ووظيفتها الجوهرية المساعدة على وصف الأشياء وتحديدها وتوضيحها من أي غموض قد يعتريها.

« وما القرينة عند العرب إلا ما نسميه السّياق الذي قد يدل بلفظ أو

---

١. أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص٢٥٣ ـ ٢٥٦.

٢. أحمد الهاشمي ، م.ن. ، ص٢٤٦ ـ ٢٥٠.

فعبد القاهر الجرجاني يعرف الاستعارة بقوله « اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشّواهد على أنّه اختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلاً غير لازم ، فيكون هناك كالعارية »[١].

فالاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه ، وهي أقوى من الحقيقة بإجماع البلاغيين ناهيك أنّ أفضل الكلام في العرف البلاغيّ العربيّ هو الأوجز لفظا حتّى أنّ التشبيه الأقصر أي الوارد دون وجه شبه و أداة تشبيه يسمّى تشبيها بليغا و لذلك يقول أحمد الهاشمي : « والاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً؛ لكنّها أبلغ منه »[٢].

وقد ذهب علماء البلاغة إلى دراسة الاستعارة من مختلف الزوايا وكانت دراستهم غاية في الدِّقة إذ اتبعوا مقاييس نقدية صارمة[٣]. فدرسوا الاستعارة من حيث:

(١) أركان الاستعارة: المستعار ، والمستعار له ، والمستعار منه.

---

١. عبدالقاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص٤٤.

٢. السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ط٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لا.ت ، ص٢٣٩.

٣. نكتفي بالإحالة على : ميثم البحراني ، أصول البلاغة ، ط١ ،المطبعة العلمية ، قم ، ص٣٧ وما بعدها.

المخاطبين ليس لهم حجة بيّنة يصدعون بها ، فهم يقتصرون على إرسال أصوات مُبهمة ليس لها معنى مقنع مفيد. فالموقف السليم يقتضي تعبيراً سليماً، وأمّا وهم بلا رأي سليم فإنّهم يجرجرون كالجمال ، وجَلَبتُهُم دالة على الاضطراب والفوضى والتهرب من الحرب ، بالأصوات التي تخرجها الإبل من حلوقها وهي مصابة بقرحة فيها ، وعبّر الإمام علي عن تلك الأصوات بالجرجرة[1].

ويعلّق عبد الجليل العريض على هذه الصورة مبينًا تركيبها الدقيق وتوظيفها العجيب لإطار الفكرة بقوله: « فالتركيب داخل الصورة من الدقة ما يجعله يستقصي كلّ ما تحتاجه من جزئيات لتوظيفها في إطار الفكرة ، فهي بمثابة اللوحة[2] البالغة التكثيف في نقلها لتصورات عليّ

---

١. انظر : قول صالح بن رمضان في مقاله « مدخل إلى قراءة بعض النصوص الخطابية القديمة » الوارد في كتاب علامات ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، المملكة العربية السعودية، ج٢٠ م٥، يونيو ١٩٩٦، ص ١٨٤، مدعماً هذا التعليل : « هذا الصنف من الخطب يحدد المتكلم حالة المخاطب ووضعه ويفرض عليه أن يكون مخاطباً على نحو مخصوص (أي متّهما) (فهو جاهل ، ضال ، أعمى، فاسق).

٢. ويمكن التّوسع في هذه الظاهرة بالنظر في ما ذهب إليه عبد اللهّ صوله من أنّ « من وظائف المجاز الحجاجيّة التي اقترنت عند القدماء بفكرة الاستبدال تجسيد المعاني وجعلها مرئية مشاهدة » ؛ عبد اللهّ صوله ، « الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية » ط منشورات كلية الآداب بمنوبة ، تونس ،٢٠٠١، ٢/ ٥٥٨.

تركيب على الخروج من الخط العادي في الإخبار إلى خط التّعبير والإيحاء كما قد يدل بطبيعة عناصر التّركيب والرّبط بينها وترتيبها أو غير ذلك »[١].

أ ـ الاستعارة التصريحية :

وهي ما صرح فيها بالمشبه به دون المشبه ، وهذا النوع من التشبيه يميل إلى الوضوح ، والمتلقي يدرك أبعاد الصورة ، إذ إنّ إضمار المشبه واضح من خلال السياق ، ولعل هذا ما عناه الطرابلسي بقوله : « ولذلك تعد الاستعارة التصريحية أبسط مظهر يخرج فيه هذا النوع من التصوير في الكلام ، أما درجة عمق المدلول ومدى بعد المرمى فتتحكم فيهما المتعلقات خاصة »[٢]. وقد كانت استعارات علي بن أبي طالب تصريحية بنسبة كبيرة.

فمن الاستعارة التصريحية قوله : « دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ ، فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الجَمَلِ الْأَسَرَّ »[٣].

فالصورة الاستعارية هي تخيل ضوضائهم الدالة على الرعب والضيق والألم ولا طائل من ورائها ، فالجرجرة تفيد الضوضاء ، ولكن لماذا اختار علي بن أبي طالب هذه الصورة بعينها ؟ لأنّ هذه الضوضاء تعني أنّ

---

١ . محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص١٦٢ .

٢ . محمد الهادي الطرابلسي ، م.ن. ، ص١٦٣.

٣ . الخطبة ٣٩.

وكذلك في قوله مستعيرا صورة « القطب » لعمر بن الخطاب وقد استشاره في الشخوص لقتال الفرس بنفسه :

« فَكُنْ قُطْباً ، وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ »[١].

وأشار علي بن أبي طالب على عمر بن الخطاب أن يجعل نفسه مرجعا للعرب تؤول إليه ، وتدور عليه ، واستعار له لفظ القطب ولهم صورة الرحى. وجعل العرب دريئة دون عمر بن الخطاب ، وحيطة له على نحو ما يفهم من قوله (وأصلهم دونك نار الحرب) ؛ وذلك لأنّهم إن سلموا وغنموا فذلك الذي ينبغي ، وإن انقهروا كان هو مرجعاً لهم ، وسنداً يقوى ظهورهم به بخلاف شخوصه معهم ، فالعاقبة ستكون وخيمة.

ب ـ الاستعارة المكنية :

تحتل الاستعارة المكنية في خطب علي بن أبي طالب الحربية حيزاً لا بأس به في حقل التصوير ، وهي أكثر ورودا من الاستعارة التصريحية نظرًا إلى اختفاء المشبه به وحلول شيء من لوازمه. وتجد المتلقي في هذا اللون من التصوير فاعلاً وإيجابياً يعمل الذهن ويمد النظر لتأليف الهيئة الحاملة لظلال الصورة الفنية ؛ وذلك أنّ المتلقي في الاستعارة التّصريحية يتلقى

---

١. الخطبة ١٤٤.

النفسية أثناء انبعاث الفكرة من أعماقه ، فهي تتميز بإبداع يجعلها مهما تناهت في جمع شتات الجزئيات المحسوسة وتمكين الخيال من تجميعها في إطار واحد ، إلا إنّها خاضعة لسلطان العقل مستكنة في الفكرة المحورية للنص »[١].

وكما في قوله مستعيراً صورة « نخل الدقيق » للرأي السديد : « قَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي ، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي ، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرِ أَمْرٌ »[٢].

فصوّر تفكيره لاستخلاص رأيه السديد وتنحية غير السديد بنخل الدقيق لتنقيته من الشوائب والأوساخ.

ويقول ابن ميثم البحراني : « استعارة للفظ النخل لاستخلاص أسدّ آرائه وأجودها لهم بحسب اجتهاده ، ووجه المشابهة أن أجود ما ينتفع به مما ينخل من دقيق ونحوه هو المنخول كذلك الرأي أجوده وأنفعه ما استخلص وصفي من كدورات الشهوة والغضب »[٣].

---

١. عبدالجليل العريض ، فكر علي بن أبي طالب ، أطروحته دكتوراه مرقونة بكلية الآداب منوبة تونس ١٩٩٠ ص٤٦٦.

٢. الخطبة ٣٥.

٣. ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٢/ ٨٦.

للعرب والحال التي كانوا عليها قبل الإسلام»[١].

وكل هذا التحليل خلاف المعنى الذي يؤديه التشبيه في خطبته هذه؛ فالذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن مقصد الإمام عليّا من هذا التشبيه هو تشبيه العرب بالعصابة المعصوبة على الآثام، وهو بعكس ما ذهب إليه قصي الشيخ عسكر فالتشبيه يشير إلى شبههم هم بالعصابة المعصوبة على الآثام لا إلى تشبيه الإمام الآثام بعصابة، كما أن القرائن لا تساعد على الذهاب إلى أنّ المقصود هو تشبيه الآثام بعصابة بل تشبيههم بالعصابة المعصوبة على الآثام.

وقوله: «فَلأَنْقُبَنَّ البَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ»[٢].

فتخيّل عليّ الباطل كدراً عالقاً بالذهب (الحق)، أو تخيّل الباطل صخرا، وأقسم أنه سينقبه، ليظهر الحق من جنبه أو أنّه تعهد بأن يثقب الباطل حتى يخرج الحق المختفي داخله.

وكذلك قوله حينما حض ابنه محمد بن الحنفية: «تَزُولُ الْجِبَالُ وَلاَ تَزُلْ، عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ، أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ»[٣].

---

١. قصي الشيخ عسكر، التشبيه والاستعارة في نهج البلاغة، ط١، مؤسّسة البلاغ، ١٩٨٨، ص٣٣.

٢. الخطبة ٣٣.

٣. الخطبة ١١.

الفكرة جاهزة مكتملة العناصر ، وأمّا في الاستعارة المكنية فإنّه يحتاج أن يعمل ذهنه ليكمل العناصر النّاقصة من الصّورة. فكأنّه يشترك مع المرسل في إكمال أجزاء الصّورة.

وإذا نظرنا إلى استعارات علي بن أبي طالب المكنية وجدناه أميل إلى إخفاء المستعار وإحلال بعض لوازمه محلّه ، حتى يجعل الخطاب أكثر عمقاً وإيحاءً وتأثيراً في السامع. كما في وصفه البليغ الذي يصف فيه العرب قبيل بعثة النبي محمد (ص) :

« الأَصْنَامُ فِيْكُمْ مَنْصُوبَةٌ ، وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ »[1].

وقد ذهب قصي الشيخ عسكر إلى أن الإمام علياً شبه الآثام بعصابة ثم حذف المشبه به ، واختار العصابة لكون الشد والربط يعطي معنى القوة ، حيث يقول : « شبه (عليه السلام) الآثام بعصابة ، ثم حذف المشبه به ، واختار العصابة لكون الشد والربط يعطي معنى فيه قوّة ، إن الآثام مشدودة في العرب قبل الإسلام بصورة قوية ، واختار العصابة المعصوبة لكونها تشدّ الرأس مركز التفكير ، وهو الذي يدل الإنسان على طريق الإثم (والشر) أو يهديه إلى سواء السبيل ، ولقد بينت الاستعارة العمق التاريخي

---

١. الخطبة ٢٦.

الإمام ، فصارت حاله وحالهم مثل حال الشاعر دريد بن الصّمة إذ حذر قومه هجوم أعدائهم عليهم ، فلم يستمعوا نصحه ، فهجم عليهم أعداؤهم ، فغلبوهم ، وقتلوا أخاه، وحينئذ تبين قومه قيمة نصحه ، ولكن بعد فوات الأوان ووقوع الكارثة.

فاستفاد الإمام علي من التشابه بين حالته وحالة الشاعر في تمثيل الصورة وبيانها.

ومن الاستعارات التي قامت على التمثيل نثرا قوله : « قَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي ، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي ، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرِ أَمْرٌ »[1].

وقد تمثل به الإمام علي في هذه الخطبة ، وقائله قصير بن سعيد اللخمي لجذيمة بن مالك بن نصر ، الذي يقال له جذيمة الأبرش وكان مَلَكَ على ما على شاطئ الفرات ، وكانت الزباء ملكة الجزيرة ، وكان جذيمة قد قتل أباها ، فكتبت له أنها لم تجد كفؤا لنفسها غيره فحثته إلى المجيء إليها لتتزوجه ، واستشار قومه في ذلك فوافقوا بالإجماع إلا قصيرًا ، فلما ذهب جذيمة إليها قتلته ، فقال قصير : « لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ ». فعلي بن أبي طالب يسدي نصحه لأصحابه قبل التحكيم ، ولكن لا مجيب فأورد المثل

---

١. الخطبة ٣٥.

فشبه الجمجمة بشيءٍ يعار ، ثم حذف المشبه به ، والغرض من هذه الاستعارة حض المتلقي على المضي في الحرب.

جـ ـ الاستعارة التّمثيليّة :

« يجد العرب الاستعارة بالتركيب يستعمل في غير ما يوضع له في الأصل لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي »[١] . وإن الأمثلة التي أدرجت في باب الاستعارة التمثيلية أكثرها قامت على أمثال عربية معروفة[٢] .

فمن الاستعارات التي تمثّل بها وهي تقوم على التمثيل شعراً في الخطاب الحربي قوله :

« ... فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ : (الطويل)

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى

فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلاَّ ضُحَى الْغَدِ »[٣]

فمثَّل حاله وحالهم وقد رفض التحكيم وهم أصروا على قبوله ، فاضطر إلى أن يرضى به ، فجاءت نتيجته خدعة ، فما كان منهم إلا أن ثاروا على

---

١ . محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص١٦٧ .

٢ . انظر: على سبيل المثال السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص٢٥٨ .

٣ . الخطبة ٣٥.

اعتزل الناس ، كأنّه لمّا نفض يديه منهم صار كالطائر الذي ينهض من الأرض بجناحيه. ولاحظنا تعايش مجموعة من الاستعارات المعقدة والمركبة ، والغرض منها إبراز الحالة النفسية للباث (علي بن أبي طالب) ، كما في قوله على سبيل المثال :

« لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيحاً وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً »[١].

فالصّورة الاستعارية تأخذ بعداً جمالياً حين يتحدث علي بن أبي طالب عن نفسه والآخرين ، فهو إذ يتحدث عن نفسه يحاول أن يظهر عوالمه الداخلية وإحساسه بالحزن وخيبة الأمل من الناس المحيطين به فتعمل الصّورة الاستعارية في الخطبة من هذا المنظور على « صياغة القطيعة بين المتكلّم والمخاطب ، بصورة تمهد لإصدار الأحكام »[٢] ، فنحن هنا أمام استعارة مركبة ومعقدة في الوقت ذاته تبرز الحالة النفسية للمتكلم ، وتصّور تجربته الذاتية في الوجود فتكوّن « مصدراً لأسس استعارات

---

١. الخطبة ٢٧.

٢. يذهب صالح بن رمضان في « مدخل إلى قراءة بعض النصوص الخطابية القديمة » ، ص ١٨٤ إلى أبعد من ذلك إذ يرى أنّ « علاقات المتكلم بالمخاطب تصبح علاقة قاضٍ بمتهم » وهذا فعلاً ما وجدناه في جلّ الصّور القائمة على التّشابه في الخطب الحربيّة.

« لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرِ أَمْرٌ »[١].

ولقد ساعدنا وقوفنا الطويل على تبين مميزات الاستعارة العامة في خطب علي بن أبي طالب الحربية ، أننا نظرنا إلى خصائص عنصرها الجوهري وهو المستعار.

ولم نغفل المستعار منه إذ أحسن الاستعارات ما تضمن مناسبة بين المستعار والمستعار منه كما في قوله :

« شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ »[٢].

وذلك لأنّ الفتن قد تتضاعف وتترادف، فحسُنَ تشبيهها بأمواج البحر المضطربة، ولما كانت السفن الحقيقّية تنجّي من أمواج البحر، حَسُنَ أن يستعار لفظ السفن لما ينجّي من الفتن.

وكذلك قوله: « وَضَعُوا تِيجَانَ المُفَاخَرَةِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوْ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ »[٣].

لأنّ التاج لما كان ممّا يعظم به قدر الإنسان استعاره لما يتعظم به الإنسان من الافتخار وذكر القديم ، وكذلك استعارة النهوض بالجناح لمن

---

١. الميداني، مجمع الأمثال، ط ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ٣/ ١٩٨.

٢. الخطبة ٥.

٣. الخطبة ٥.

خاتمة الفصل الثّاني

اقتصرنا في هذا الفصل على تحليل الصّور القائمة على التّشابه في خطب علي بن أبي طالب الحربية. وقد درسناها من زاويتين اثنتين: الصور التّشبيهيّة ، والصّور الاستعاريّة.

أما الصور التّشبيهيّة فقد حللنا فيها التّشبيه المرسل ، والتّشبيه البليغ ، والتّشبيه التّمثيلي.

وأما الصور الاستعارية ، فقد حللنا فيها الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية ، والاستعارة التمثيلية.

ويمكن أن نخلص من فصل الصور القائمة على التشابه إلى النتائج التالية :

١ - أنّ عليَّ بن أبي طالب من الخطباء الذين أجروا التشبيه كثيراً في كلامهم بشكل عام ، والخطب الحربية بشكل خاص ، ناهيك أنّ الصورة الفنية في خطب نهج البلاغة هي في الغالب من باب الصورة القائمة على

انطولوجية »[١].

تشبيه القلب بوعاء ثم حذف المشبه به.

تشبيه الصدر بوعاء ثم حذف المشبه به.

تشبيه الهم بسائل يشرب ثم حذف المشبه به.

وعلي بن أبي طالب لا يكتفي بذلك بل يحول الهم أو السائل الذي يجرعه إلى « أنفاس » ، وهذه الاستعارة المركبة ، أنبأتنا أنّ الباث في أقصى درجات الغيظ من النّاس المحيطين به ، الذين قال لهم :

« فَإِذَا كُنْتُمْ مِنْ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ ، فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنْ السَّيْفِ أَفَرُّ »[٢].

فلقد صور الحرّ والقرّ جيشاً وهم يفرون منه ، والغرض من الاستعارة تبيان حال شرورهم وامتناعهم عن الجهاد التي تفسر بالكسل والجبن.

وقد وضع الإمام علي الاستعارات السابقة ليكشف عن حال مجتمع متخاذل بكامله، وعن عوالم مجتمع متقاعس عن الحرب والجهاد.

---

١. جورج لايكوف ومارك جونسن « الاستعارات التي نحيا بها » ، ص٤٥.

٢. الخطبة ٢٧.

النوع هو أن تكون أداة الصورة التشبيهية مفعولاً مطلقاً، أي مصدراً مشتقاً من الفعل الذي يتصدر الموضوع والذي غالباً ما يكون موضوع ذم وتوبيخ، وقد لعبت هذه الأداة الدور المهم في بناء الصورة الفنية وتلوين مدلولاتها.

أما التشبيه التمثيلي فقد لاحظنا أن أخصب موضوع يبدو فيه هو الذّم والتوبيخ وعللنا ذلك آنفا.

٣- لاحظنا تكثيفًا في بناء الصورة الحربية التي اختلط فيها التشبيه البليغ بالاستعارة ،؛ وذلك للدلالة على الجبن والخوف والرفض للجهاد وتركيزاً لها ممّا يؤدي إلى السيطرة على عقل المتلقي ، حتى يستخرج من المعاني عصارتها ، وتصل مع علي بن أبي طالب إلى مقصده وهدفه. وهو بلا شك مقصد حجاجي ؛ لذلك قال عبد القاهر الجرجاني «**واعلم أنّ ما اتفق العلماء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني وبرزت هي باختصار في معرضه (...) إن كان حجاجًا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر**»[1].

٤- نلاحظ كثرة ورود استعارات علي بن أبي طالب تصريحية ومكنية وتمثيلية ممّا يسمح لنا بأن نقرر أن استعارات « الخطب الحربية » تنزع إلى أن

---

١. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ١٤٥، ١٤٧.

التشابه[1] اتخذها علي وسيلة للإيضاح والبيان وإقامة الحجة في خطبه الحربية، إذ يحتل التشبيه المرتبة الأولى ثم تأتي الاستعارة في نطاق دراستنا للصورة الفنية.

٢- إنّ كثرة ورود التشبيه المفرد بنوعيه المرسل والبليغ ، والتمثيلي في خطب علي الحربية مرّده إلى هذين النوعين إذ تظهر فيهما الصورة في أوضح مظهر لها ، مشبعة بأبين الدلالات ، ولا غرابة في ذلك ، فظروف الحرب التي مرّ بها الإمام علي ، وأحوال الجند المتخاذلين المتقاعسين عن الحرب تتطلب هذين النوعين من التشبيه ، وظهرت طرافة التشبيه المرسل في تشبيهات علي بن أبي طالب المرسلة ، وقد لاحظنا هذه الظاهرة ورصدناها وحللناها وتبين لنا أنه دائما ينزع إلى التدقيق في وصف المشبه به ، فهو يخصصه بمجموعة من الصفات تقل أو تكثر ، ولكنّها تشخصه تشخيصًا محدداً حتى لا يحتاج المتلقي إلى أن يحدد له وجه الشبه بينه وبين المشبه به ، إذ تتكفل هي بإبرازه. وأمّا التشبيه البليغ فإنّه يحتل المرتبة الثانية في الشيوع بعد التشبيه المرسل في المدونة الحربية ، والصورة الغالبة التي يرد فيها هذا

---

١. ورغم ذلك لم تحظ صور علي القائمة على التشابه في كتاب نهج البلاغة إلاّ بدراسة في خمس عشرة صفحة من أطروحة عبد الجليل العريض (فكر علي بن أبي طالب) المرقونة في مكتبة كلية الآداب منوبة بتونس، راجع ص٤٥٨ ـ ٤٧١.

الفصل الثّالث

الصّور القائمة على التّداعي

تكون أقل خفاءً من جهة وأقرب مأخذاً من جهة أخرى ، لكنّها إلى جانب هذا وذاك أكثر عمقا وأبعد مرمى ، وهذا ما يسمو إليه الفن على حدّ عبارة الطرابلسي « والجمع بين قلّة الخفاء وقرب المأخذ وكثرة العمق وبعد المرمى ، قمّة يسمو إليها الفنّ »[١] .

إنّ صور علي بن أبي طالب تتميز بالدقة والواقعية[٢] إلى جانب مستوى من الخيال ، ممّا يتطلب من المحلل مجهوداً كبيرًا في التحليل للوقوع على الهدف ؛ ومن ثم تحصل له لذة الاكتشاف الشخصيّ ، فأحيانا تظن أنّ الصورة الفنية سهلة واضحة قريبة المأخذ ، لكنك حين تحللها تجدها متمنعة عميقة ـ كأنّ أسلوب علي بن أبي طالب من ذلك النوع الذي يسمى السهل الممتنع.

وجملة القول أنّ الصور الحربية القائمة على التشابه في المدونة العلوية تقوم على الوضوح وقرب المأخذ ، ولكنها لا تخلو من العمق الذي ينتج عنه أحيانا تعقيدٌ في التركيب ، مع عدم إغراب في الدلالة ، وحظها من العمق أكثر من حظّها من الوضوح ، ومرجع ذلك إلى ما تميّزت به من لطفٍ ومنعة.

---

١ . محمد الهادي الطرابلسي ، **خصائص الأسلوب في الشوقيات** ، ص١٦٩

٢ . « الاستعارة وما أشبهها من ظواهر لغوية ليست إلا عاكسة لهذه التناقضات الأساسية التحتية » ؛ محمّد مفتاح ، **مجهول البيان** ، ط١ دار توبقال، المغرب، ١٩٩٠ ، ص٨٧.

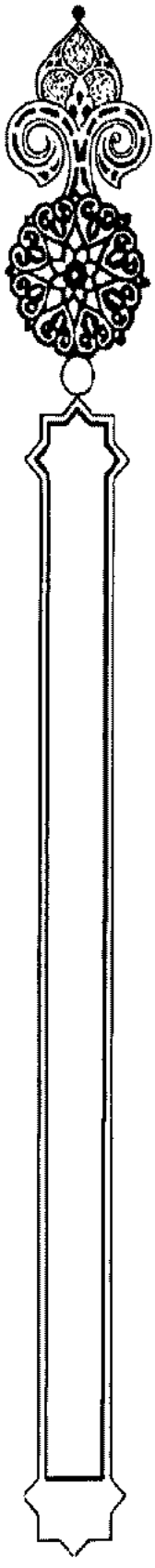

الفصل الثالث

تمهيد

المبحث الأوّل : التداعي التوافقيّ

أ . الصّور القائمة على تداعي المدلولات في الحقيقة

١- الكناية

ب . الصّور القائمة على تداعي المدلولات في المجاز

١ . المجاز

المبحث الثاني : التداعي التقابلي

أ. أنواع المقابلات

١. المقابلات اللغوية

٢. المقابلات السياقية

ب . معاني المقابلات ودلالاتها

١. معنى التوتر

٢. معنى الحركة

خاتمة الفصل الثالث

هذين الفرعين ضمن قسم التداعي عامة ؟

التداعي هو التقارب الذي يكون بين الموصوف ، والصورة الواصفة ؛ وذلك بسبب الارتباط الحاصل بينهما ، وهو ارتباطٌ عضويٌّ. وفي تصوِّرنا أن التداعي التوافقي ينقسم إلى تداعٍ في الدوال ، وتداعٍ في المدلولات.

وعلى التداعي في الدوال تقوم التورية ، وهي – كما نعلم – عبارة عن استعمال وحدة دلالية في سياق مع أنّ دالها يحيل إلى مدلول ثان ذي علاقة بذات السياق. وينقسم التداعي في المدلولات إلى مجازي وحقيقي. فالتّداعي في المدلولات بالمجاز يقوم عليه المجاز ، والتداعي في المدلولات بالحقيقة تقوم عليه الكناية[1].

كما أنّ دراسة الصور القائمة على التداعي في خطب علي بن أبي طالب الحربية فرضت علينا تصنيفها إلى نوعين : الصّورة القائمة على تداعي المدلولات في المجاز ، وتشمل المجاز المرسل والمجاز العقلي ، والصور القائمة على تداعي المدلولات في الحقيقة ، وتشمل الكناية بأنواعها.

---

١. انظر : تقسيمة محمّد الهادي الطرابلسي في علاقات التداعي القائمة على المجاز والحقيقة والوهم ، وهي على التّوالي المجاز والكناية والتّورية. وهو التّقسيم الذي استعملناه في الجملة إلا أننا رأينا أنّ التّورية إنّما ترجع إلى تداعي الدوال فضلا عن عدم ورودها في خطب عليّ بن أبي طالب الحربيّة ، ويرجع القسمان الآخران إلى تداعي المدلولات (راجع خصائص الأسلوب في الشوقيات) ص٢٠٧ ـ ٢٣٣.

الفصل الثالث

الصّور القائمة على التّداعي

تمهيد

كنا لاحظنا في الفصل الثاني من هذا البحث أنّ صور علي بن أبي طالب قريبة وسلسة ، وتتميز بالدقة والواقعية إلى جانب مستوى من الخيال. وقد لاحظنا أن الصور القائمة على التشابه تقوم على الوضوح وقرب المأخذ، ولكنها لاتخلو من العمق ، ذلك العمق الذي لايؤدي إلى إغراب في الدلالة فالمتلقي لايحتاج إلى أن يُحدد له وجه الشبه بين المشبّه و المشبّه به ، إذ تتكفل الصورة الفنية بإبرازه نظرًا إلى وضوحها وقرب مأخذها[1] فالتشبيه بأنواعه والاستعارة بسليلاتها لم يكفيا لصياغة الصورة صياغة كاملة فاتكأت هذه الأخيرة على تخوم أخرى فجاورت التداعي وماحكته فنتجت عنهما صورٌ قائمة على التداعي بفرعيه التوافقي والتقابلي ، فما التداعي وما حقيقة

---

١. انظر أعلاه الفصل الثاني ، ص ١٦١ ـ ١٦٣ .

المبحث الأوّل : التداعي التوافقي

أوّلا : الصّور القائمة على تداعي المدلولات في الحقيقة

ـ الكناية[1]

الكناية صورة بلاغية قائمة على تداعي المدلولات ،وقد عرَّفها البلاغيون بأنّها لفظٌ أطلق ، وأريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة ذلك المعنى ويوضِّح عبدالقّاهر الجرجاني ذلك فيقول : « المراد بالكناية هـنا ، أن يريد المتكلم إثبات معنى مـن المعاني ، فـلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى ، هـو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ إليه ، ويجـعله دليلا عليه. مثال ذلك قولهم : « هو طويل النجاد » يريدون طويل القامة ؛ « وكثير رماد القدر» يعنون كثير القرى ؛ وفي المرأة : « نؤوم

---

١. أنظر حظّها من الدّرس عن السّكاكي في مفتاحـه ، ضـبطه وعلـق عليـه نعـيم زرزور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٤٠٢ –٤١٢ ؛ وكذلك عند البابرتي في شرح التلخيص ، ط١ المنشأة العامة ، طرابلس ، ١٩٨٣ ، ص٥٩٩ – ٦١٠ ؛ وعند التّفتـازاني فـي شرح مختـصر المعـاني ، ط٣، مطبعة غدير ، قُمْ ، ٢/ ١٢٣ ـ ١٣٢.

أمّـا التـداعي التقـابلي فينقـسم إلى قـسمين:أنـواع المقـابلات ومعـاني المقابلات، وسوف ندرس في أنـواع المقـابلات : المقابلـة اللغويـة والمقابلـة السياقية.وفي معاني المقابلات سندرس : الحركة والتوتر.

فالكناية في (نؤوم الضحى) وفي غيرها «تقوم على طرفين أحدهما حاضر هو اللفظ الذي تنطلق منه سلسلة التوليد والآخر غائب هو المدلول، وبينهما وسائط تقل وتكثر حسب المسافة الفاصلة بين الطرفين ، وهي وسائط منطقية يمكن أن تتوافر عند جميع الناس ولكنها غير كافية وترفدها وسائط ثقافية»[١].

ويمكن اختصار العلاقة بين الدال والمدلول في الكناية (نؤوم الضحى) التي وردت في الرسم البياني السابق في ما يلي :

دال

مدلول ١ = | نؤوم الضحى | مدلول حرفي يحتمل معنى حافًّا.

↓

مدلول ٢ = | مترفة | مدلول استلزمه المدلول ١.

فنؤوم الضحى كناية تقوم على طرفين أحدهما حاضر وهو اللفظ الدال (نؤوم الضحى) الذي تنطلق منه سلسلة التوليد ، والآخر غائب هو المدلول (مكفية) وبينهما وسائط منطقية (مترفة) و(مخدومة) ، ويدلّ الدال المصرّح به في الكناية على المعنى المكنى عنه عن طريق الاستلزام ، فنؤوم الضحى تستلزم أن تكون مترفة (ثرية) ، وكونها مترفة يستلزم أن تكون مخدومة (كثيرة الخدم) ، وكونها مخدومة يستلزم أن تكون مكفية ، لذلك هي

---

١. الأزهر الزناد ، دروس في البلاغة العربية ، ص٨٧.

الضحى» والمراد أنّها مترفة ، مخدومة ، لها من يكفيها أمرها. فقد أرادوا في هذا كلّه ، كما ترى ، معنىً ، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا إليه ، بذكر معنىً آخر ، من شأنّه أن يردفه في الوجود ، وأن يكون إذا كان. أفلا ترى أن القامة إذا طالت ، طال النجاد ؟ وإذا كثر القرى ، كثر رماد القدر ؟ وإذا كانت المرأة مترفة ، لها من يكفيها أمرها ، ردف ذلك أن تنام إلى الضحى ؟ »[١] .

فالكناية مبنية على قاعدة التلازم الذي هو توّجه دلالي توليدي ينحدر من الملزوم إلى اللازم. ويظهر على شكل (متوالية دلالية تلازمية) كما في الرسم البياني المجسم لحركة الكناية : مثلا (ليلى نؤوم الضحى)

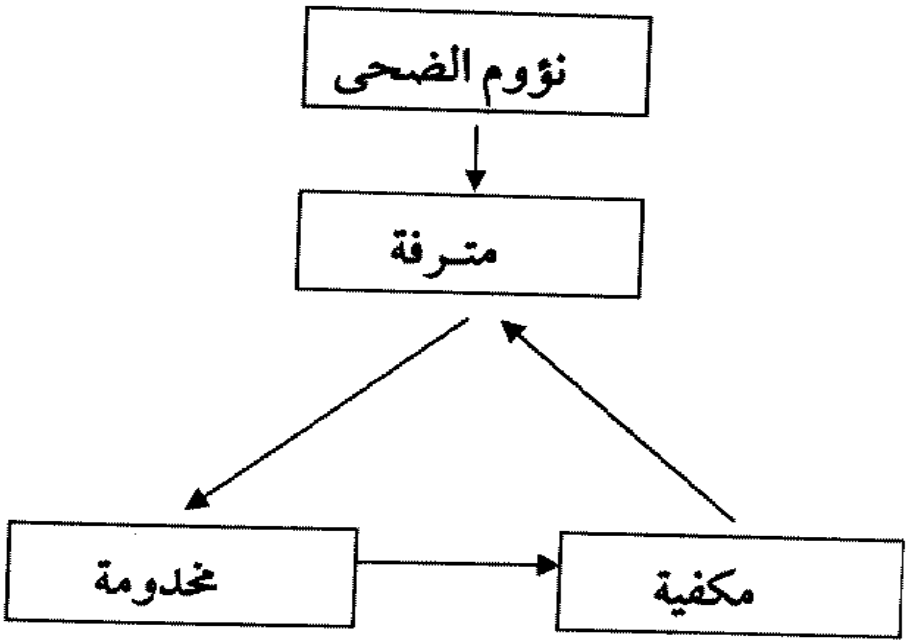

(ليلى نؤوم الضحى)

---

١. عبدالقاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص٥٢.

وتفيد بمعناها معنىً ثانيًا ، هو المقصود وإذا كنت تفيد المقصود بمعنى اللفظ وجب أن يكون معناه معتبرًا وإذا كان معتبرًا فما نقلت اللفظة عن موضوعها فلا يكون مجازًا»[١]، وهذا الكلام يعود بالكناية إلى أصلها وهو الحقيقة» فهي صورة أدبية نأتي بها لتجميل المعنى. وهي كلام

حقيقي غير مجازي. وهي حيّة لا تزال معتمدة في الأدب الحديث. إلا أن النقَّاد الحديثين يطلقون عليها اسم «الرّمز»[٢]. مع كثير من المآخذ على هذا الرأي. فالرمز من الكناية أمّا الكناية فأوسع من الرمز.

فالكناية هي أن «نستعمل كيانًا معينًا للإحالة على كيان آخر مرتبط به»[٣]. كما أنّ الكناية صورةٌ تعبيريةٌ صعبة ، والمسلك إلى تأليفها دقيق ، وتحليلها ليس بالأمر الهيّن ، بيد أنّ ذلك لا يستعصي على من أدمن القراءة ووطن النفس على قراءة تفاصيل الصورة الكنائية.

والكناية إذا جمعت الفائدة ولطف الإشارة كانت حسنة ، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح ، وبها تزين ضروب الكلام والتعبير وتكثر بها وجوه الدلالة.

---

١. الرّازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق بكري شيخ أمين ط١ دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص٢٧٢.

٢. خليل كافوري ، نحو بلاغة جديدة ، ط منشورات ندّاف ، ١٩٩٤ ، ص١١٧.

٣. جورج لايكوف ومارك جونسن ، الاستعارات التي نحيا بها ، ص٥٥.

نؤوم الضحى. والترف يمثل المعنى المستلزم وهو مشتق من المعنى الحرفي من الدرجة الثالثة يتحوّل إلى معنى من الدرجة الأولى ، ولكنّه تحوّل لا ينفي المعنى الحرفي[١].

ونرى أنّ أوضح تعريف لها يمكن الرّجوع إليه في كتب البلاغة هو تعريف Todorov إذ يعرفها بأنّها: «استعمال كلمة للدلالة على شيء أو صفة يكون بينها وبين مرجع تلك الكلمة الاعتيادي علاقة في الوجود»[٢]. وعلاقة الوجود تعود إلى الحقيقة عادة. فالعلاقة بين الموصوف أو الصورة الواصفة علاقة عضوية ، قوامها التداعي المبني على الحقيقة إذ بإمكان أحدهما تعويض الآخر والدلالة عليه دون أن يختل المعنى ، وهذا ما يذهب إليه صاحب كتاب «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز» ويركّز على ضرورة قصد المعنى المتواضع عليه إلى جانب المعنى العقلي ، ويعدّ الكناية من غير باب المجاز ، فالكناية ليست من المجاز في شيء وهذا هو الرأي الذي نأخذه ، وفي ذلك يقول خليل كافوري : «الكناية عبارة عن أن تذكر لفظةً ،

---

١. انظر : كتاب دروس في البلاغة العربية للأزهر الزنّاد ، ص٨٦. إذ يعرف المعنى الحرفي بقوله « هو المعنى الذي يفيده اللفظ مباشرة ولا يحتاج المتقبل في فهمه إلى ماهو زائد عن المعرفة اللغوية الأساسية. وبه يتعلّق المعنى الحاف بتوسط عناصر المقام ».

٢. أحمد ولد حسن ، أسلوب محمد بن الطلبة اليعقوبي ، ص٥٤ نقلا عن **Dictionnaire Encyclopedique des Sciences du langage** ، ص٣٥٤.

والوجه الثاني : أنّ الكناية ، بنيت على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ، على حين بني المجاز ، على الانتقال من الملزوم إلى اللازم[١] .

ويرى ابن الأثير أن في الكناية معنيين : أحدهما مستور ، والآخر واضح. و «المستور فيها هو المجاز ؛ لأنّ الحقيقة تفهم أولاً ، ويتسارع الفهم إليها قبل المجاز ، فدلالة اللفظ عليها دلالة وضعية ، وأما المجاز ، فإنّه يفهم منه بعد فهم الحقيقة ، وإنّما يفهم بالنظر والفكرة ، ولهذا يحتاج إلى دليل ، لأنّه عدول عن ظاهر اللفظ ؛ فالحقيقة أظهر ، والمجاز أخفى ، وهو مستور بالحقيقة. ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿أو لامستم النساء﴾ فإن الفهم يتسارع فيه إلى الحقيقة ، التي هي مصافحة الجسد للجسد ، وأما المجاز الذي هو الجماع ، فإنّه يفهم بالنظر والفكر ، ويحتاج الذاهب إلى دليل ، لأنّه عدول عن ظاهر اللفظ»[٢].

إذن فكلّ موضع ترد الكناية فيه ، يتجاذبه جانبان : حقيقة ومجاز ، وإنّه يجوز حمله على كليهما معًا ، فالصور القائمة على التشابه لا يجوز حملها إلا على المجاز ، فإنّك لو حملتها على الحقيقة ، لاستحال المعنى ؛ فمثلاً إذا قلت عليٌّ أسد ، لا يصح إلا على جانب المجاز ، فنحن شبهنا عليًّا بالأسد في شجاعته ، وإننا لو حملناه على جانب الحقيقة ، لاستحال المعنى ، لأنّ عليًّا

---

١. انظر : السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص٤٠٣.

٢. ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢/ ١٨٤.

وقيمة الكناية الأسلوبية أنّها من وسائل البيان التي تختصر التعبير ، وتقوم بالوظائف عينها التي تقوم بها الاستعارة من حركة ، وتجسيد ، وأنسنة ، وإيحاء... ويحدد جاستون إسنو بدقة بالغة خاصية الكناية حينما قال : « لا تفتح الكناية طرقًا كما يفتحها الحدس الاستعاري ؛ إنّها ، وهي بالأحرى تحرق الطرق المعهودة جدًّا كما تختصر المسافات لأجل تيسير الحدس السريع بالأشياء التي سبقت معرفتها »[١]. فليس الإيجاز والاختصار خاصاً بالكناية ،وإنّما هو درب من دروبها.

والكناية لا تختلف عن المجاز بنوعيه المرسل والعقليّ اللهم إلاّ في كونها تنبني على الحقيقة ، وقد يجوز فيها إرادة المعنى الحقيقيّ المفهوم من صريح لفظها وهي « تعطينا الحقيقة مصحوبة بدليلها »[٢].

وفرق صاحب كتاب **مفتاح العلوم** بينهما من وجهين :

أحدهما : أنّ الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها ، فالخنساء عندما ترثي أخاها صخرًا «بأنه كثير الرماد» ، كناية عن جوده وكرمه ، فإنّ هذه الكناية لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي ، بأنّ أخاها صخرًا كثير الرماد حقيقة ، ومن غير تأويل. وأما المجاز ، فيمنع من إرادة المعنى الحقيقي ، فلا يجوز أن يكون المراد من قولك : «كلّمت أسدًا» الأسد الحقيقي.

---

١. فرانسوا مورو ، **البلاغة** ، ترجمة محمّد الولي وعائشة جرير ، ص٦٤.

٢. الطرابلسي ، **خصائص الأسلوب في الشوقيات** ، ص٢١٣.

وهي تفرض على القارئ الوقوف عندها ، وذلك لما لها من طرافة وامتياز ، ولأنّها تكثف الوهم والإيحاء ، ولأنّ الكناية دون الاستعارة في التّصريح وفوق التّشبيه ، وبما أنّ الموقف موقف حرب فإنّه يتطلّب من الخطيب المشجع للحرب أن لا يورد الصورة مباشرة كما في التشبيه مثلا ولا يُغرِق في الخيال كما في الاستعارة فلجأ الإمام علي إلى الحل الوسط وهو الكناية.

وقد ساهم الأسلوب الكنائي كثيراً في بناء الصورة الفنية في خطب علي بن أبي طالب الحربية بيد أن مظاهرها لم تتنوّع ، فقد وقفت الكناية في خطب الإمام علي الحربية على مظهرٍ واحدٍ ألا وهو التلويح ، الذي شكل ظاهرة أسلوبية جديرة بالدراسة وبقيت مظاهر الكناية الأخرى كالإشارة والرمز مثلا أمثلة قليلة جداً لا تشكل ملمحا أسلوبيا يمكن التعويل عليه وبالتالي إفراده بالدراسة ، لذلك سنتولى بالدراسة والفحص الظاهرة الأسلوبية المسيطرة على الخطاب الحربي ألا وهي التلويح.

التلويح :

إنّ التلويح هو «أن تشير إلى غيرك عن بُعْدٍ ، وإن كانت ذات المسافة

→

فليست المزية في قولهم جَمُّ الرماد. أنّه دل على قرى أكثر ، بل إنك أثبت له القرى الكثير ، من وجه هو أبلغ ، وأوجبته إيجابًا هو أشد ، وادعيته دعوى أنت بها أنطق ، وبصحتها أوثق.. إن إثبات الصفة بإثبات دليلها ، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها ، آكد وأبلغ في الدعوى ، من أن تجيء إليها فتثبتها ، هكذا ساذجًا غُفْلاً » ؛ عبدالقاهر الجرجاني ، **دلائل الإعجاز** ، ص٥٥ ـ ٥٧.

ليس ذلك الحيوان ذا الأربع ، والذّنب والوبر والأنياب والمخالب.

فيما عدا ذلك ، فالكناية كالمجاز ، على نحو ما يُفهم من تحديد الكناية عند نيروب «أنّها انتقال من تمثيل إلى تمثيل آخر يرتبط محتواه بعلاقة تجاور مع التمثيل المعطى»[١] .

وهـذا التعريف ليس جامعًا مانعًا من دخول الأغيار ، فهو يربط الكناية بالمجاز فقط لأنها انتقال من تمثيل إلى آخر. وإذا كان الأمـر كـذلك ، فحـدُّ الكناية الجامع لها عند ابن الأثير في كتابه **المثل السائر** هو : «أنّها ، كلّ لفظـةٍ دلت على معنىً ، يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز ، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز»[٢].

وكنايات علي بن أبي طالب كثيرة[٣] مقارنة بمجازاته وتشبيهاته واستعاراته التي اعتمدها في خطبه الحربية كوسيلة للتصوير والبيان ، وذلك لأنّ الكناية ـ كما هو معروف ـ أبلغ من الإفصاح[٤] ، والتّصريح ،

---

١. فرانسوا مورو ، البلاغة ، ص١٦٢.

٢. ابن الأثير ، **المثل السائر** ، ٢/ ١٨٢.

٣. ذكر العلوي على سبيل المبالغة أنّ : « الكنايات في كلامه عليه السلام أكثر من أن تُحْصَى » ؛ يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلـوي اليمنـي ، **الطـراز** ، تحقيـق محمـد عبدالـسلام شـاهين ، ط١ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص١٩٣.

٤. كما يرى عبدالقاهر الجرجاني أنّ : « الكناية أبلغ من الافـصاح » ويوضـح معنـى ذلـك فيقـول : « أنك لمّا كنيت عن المعنى ، زدت في ذاته ، بل المعنى أنك زدت في إثباته ، فجعلته أبلغ وآكد وأشـد ، ←

وكثرت الوسائط في قول علي بن أبي طالب مكنيًا عن الشجاعة بلفظ «العض على السيوف».

«وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللهَ صَادِقِينَ»[١].

وهذه كناية عن صفة الشدة والصلابة ، وسلم الصعود من العضّ على السيف إلى الشجاعة وتتضّمن الدرجات الثلاث التالية :

العضّ على السيف ← شدة الصلابة ← الشجاعة

والسُّلَّم الغالب في التلويح عند علي بن أبي طالب ذو درجتين فقط ، كالسلم الذي في قوله مكنيًّا عن الثبات والشجاعة في الحرب بالوتد الثابت في الأرض :

«تِدْ فِي الأَرْضِ قَدَمَكَ»[٢].

وهذه درجاته : لزوم القدمين الأرض (كالوتد ← الثبات والشجاعة).

وقد كنى عن التبعية لعائشة وعن الانقياد لجملها كما في قوله :

«كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ»[٣].

وهذه درجاته : جند المرأة (عائشة ← التبعيّة)

أتباع البهيمة (الجمل ← الانقياد)

---

١. الخطبة ٢١٥.

٢. الخطبة ١١.

٣. الخطبة ١٣.

قريبة ، مع نوع من الخفاء»[١]. ويقوم التلويح على كثرة الوسائط ووضعها وهي تربط الدال بالمدلول ، ومتى حددها الباحث كان التلويح[٢].

والتلويح يتميز بأمرين اثنين هما:

« ـ البعد في المسافة بين المعنى الحرفي والمعنى المراد لكثرة الوسائط.

ـ القرب في الفهم لوضوح العلاقات فيه فيسهل المرور من واسطة إلى أخرى ومن المعنى الحرفي إلى المعنى المكني عنه»[٣].

والكناية في خطب علي بن أبي طالب واضحة لا تحتاج إلى تدرج عبر مجموعة من الوسائط حتى تصل إليها ، فمثلا قوله : «تَزُولُ الجِبَالُ وَلاَ تَزُلْ، عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ»[٤].

فيه كنايتان ، فقد كنّى عن صفة الثبات والرسوخ بقوله : تزول الجبال ولا تزل ، والثانية كنّى عن الحميّة بالعضّ على الأسنان فإنّ من عادة الإنسان إذا حمي غيظه على عدوه أن يعضّ على أسنانه.

---

١. السّكاكي ، مفتاح العلوم ، ص٤١١.

٢. وقد سُميت الكناية بالتلويح « لأنّها تقوم على الإشارة من بعيد ، وكلّ إشارة من بعيد تلويح ، ولا يعني تعدّد الوسائط الإلغاز أو الغموض إذ تتميّز الكناية الواقعة تحت هذا الاسم بوضوح وسهولة في المرور من واسطة إلى أخرى ومن لفظ الكناية إلى المعنى المراد » ؛ الأزهر الزنّاد ، دروس في البلاغة العربيّة ، ص٨٩.

٣. الأزهر الزنّاد ، م.ن. ، ص٨٩.

٤. الخطبة ١١.

ـ أكثر ما يكون هذا النوع من التّصوير في «خطب علي بن أبي طالب الحربية» كناية عن صفة فكناية عن موصوف ، وورورده كناية عن نسبة لعله غير وارد.

١ـ الكناية عن الصفة

و «هي الكناية التي يستلزم لفظها صفة»[١] تكون غالبا بالمظهر البارز ، فقد مرّت بنا كنايته عن الموت باليوم[٢]. كما مرّت بنا كنايته عن الحمية بعبارة «عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ»[٣].

وقد كنّى عن صبره عن المقاومة «وَأَغْضَيْتُ عَلى القَذَى»[٤] ، والتخاذل وعدم التناصر والتقاعد عن القتال «حِيْدِيْ حيَادِ»[٥]، وهي من أوضح المظاهر حين تكون الكناية عن الصفة ، كما كنى عن عدم فائدة أنصاره بقوله «الذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوْهُ ، وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ»[٦] ، وهذا مظهر بارز للذلة التي اتصف بها أنصاره ، فهم كالسّهم المكسور رأسه

---

١. الأزهر الزناد ، دروس في البلاغة العربية ، ص٨٨.

٢. الخطبة ٦.

٣. الخطبة ١١.

٤. الخطبة ٢٦.

٥. الخطبة ٢٩.

٦. الخطبة ٦٨.

وقوله : «قد طوحت بكم الدار»[١] .

وهذه الكناية غالبا ما ترد للفظة الدار الآخرة كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً﴾[٢] بيد أن علي بن أبي طالب كنّى بها عن الدنيا .

وكذلك كنايته عن الموت بمجيء يومه «يأتي عليَّ يومي ← الموت أو المنية»[٣] ، وقد كنّى الإمام عن التصرف في الكوفة بقوله «مَا هِيَ إِلاَّ الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا»[٤] الكوفة ← أقبضها وأبسطها ← وجوه التصرف فيها أو قلة ما في اليد.

وعن القطب بقوله في عمر بن الخطاب :

«فَكُنْ قُطْباً»[٥] القطب ← عمر بن الخطاب.

وإذا أخذنا في الاعتبار ما كان كناية عن صفة على حدة ، وما كان كناية عن موصوف على حدة ، وما كان كناية عن نسبة في قسم ثالث استنتجنا المعطيات التالية :

---

١. الخطبة ٣٦.

٢. القصص ٢٨/ ٨٣.

٣. الخطبة ٦.

٤. الخطبة ٢٥.

٥. الخطبة ١٤٤.

«وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ ، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُم الْعَرْصَةَ ، وَلاَ أَنْهَزَهُمُ الفُرْصَةَ ، بِلاَ ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْن أَبِي بَكْرٍ...»[١].

وقلّما تكون الكناية عن الصفة بالسبب كما في قوله :

«حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ ، وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ»[٢].

فقد كنى عن ترفع العقل الممتنع غضباً عن المشورة والموعظة، وبخله بها ببخل الزّند بالشّرر.

(عدم تحقق المشورة والموعظة ← حجب النّاصح للمشورة).

أو عن الطاعة والخضوع بقوله : «اسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ ، وَاطْمَأَنَّتَ صَفَاتُهُمْ»[٣].

(استقامت قناتهم ← الطاعة والخضوع).

٢- الكناية عن الموصوف

و «هي الكناية التي يستلزم لفظها ذاتًا أو مفهومًا»[٤] إنّ الكناية عن الموصوف في التلويح عند علي بن أبي طالب أكثر ما تكون بصفة مميّزة ، هكذا كنى عن عائشة بلفظ المرأة وعن الجمل بلفظ البهيمة حينما ذَمَّ البصرة

---

١. الخطبة ٦٧.

٢. الخطبة ٣٥.

٣. الخطبة ٣٣.

٤. الأزهر الزناد ، دروس في البلاغة العربية ، ص٨٨.

المنزوع نصله لعدم الانتفاع بهم في الحرب كما لا ينتفع بالسهم الموصوف.

وكنى عن قتال أهل الشام بعبارة «فَإِنّي فقَأْتُ عَيْنَ الفِتْنَةِ» في قوله :

« أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الفِتْنَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَيَجْرُؤَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي ، بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا ، وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا »[1].

وفي هذه الخطبة كنايتان أيضا : الأولى قوله (بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا) كنى بتموّج غيهبها عن انتشار ظلمات الشبهة عن تلك الفتن في أذهان الناس فجهلوا أن خلاف طلحة وخروج عائشة كان حقًّا أو باطلاً فكان ذلك سبباً لاضطرابهم وقتالهم وقتلهم.

الثانية (وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا) كنّى باشتداد كلبها عن شدة ما وقع منها من الشرور.

وتكون الكناية عن الصفة كذلك بالنتيجة ، ككنايته عن التمكن بإلقاء الجران في قوله :

« حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلامُ مُلْقِيّاً جِرَانَهُ[2] ، وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ »[3].

وكنّى بالفرصة عن مصر بعبارة « ولا أنهزهم الفرصة » في قوله :

---

١. الخطبة ٩٢.

٢. الجران : هي الأثقال « وألقى عليه أجرانَه وجِرانه أي أثقاله » انظر: لسان العرب، مادّة: (ج ر ن)، ١٣/ ٨٧.

٣. الخطبة ٥٦.

ـ وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ | ← الجمل (كناية عن جهلهم، وسخف حلومهم، وفراغ القلب من الإيمان حيث انقادوا للجمل، وكانوا أتباعًا له، وهذه الكناية فيها نزول القدر، ونهاية الانتقاص).

ـ رَغَا فَأَجَبْتُمْ | ← عائشة (كناية عن دعاء عائشة إلى حربه، وتألُّبها عليه)

ـ عُقِرَ فَهَرَبْتُمْ | ← عائشة (كناية عن الفشل وكثرة الانزعاج)

فالصور الكنائية في الخطبة السابقة كلّها دالة على نهاية الذّم لأهل البصرة ولثلاثة أشخاص عادوا الإمام عليًّا وعارضوه، وهم عائشة وطلحة والزبير ـ كما تقدم ـ، وتبرز الصور الكنائية الأربع تلبس أولئك بالخصال الدنيئة في الدين والدنيا، وانسلاخهم من الخصال الكريمة، والمراتب الرفيعة، والقيم النبيلة والشريفة.

وأورد برلمان وتيتكاه من شأن القيم أنّ «عليها مدار الحجاج بكلّ ضروبه وهي لئن خلت منها الاستدلالات ذات البعد العلمي والعلوم الشكلية Sciences Formelles فإنّها تمثل بالنسبة إلى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غذاءً أساسيًّا فهي التي يعول عليها في جعل السامع يذعن لما يطرح عليه من آراء»[1].

---

١. انظر: مقال عبدالله صولة المعنون بـ« الحجاج: الوارد في كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم »، إعداد فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمّادي صمود، سلسلة آداب، كلية الآداب منّوبة، ص ٣١٠.

وأهلها ، فأخرج الكلام مخرج الكناية ، فعدل بلفظ المرأة عن عائشة ، وبلفظ البهيمة عن الجمل ، وبلفظ رغاء الجمل عن دعوة عائشة ، وبلفظ عقر الجمل عن الفشل. والكلام بأسره حكاية عمّا كان بين الإمام علي وبين السيدة عائشة وأهل البصرة ، وطلحة والزبير يوم واقعة الجمل[١]. وقد ساروا من مكة إلى البصرة يطالبون بدم عثمان بعد أن ولي الإمام علي الخلافة.

في قوله : «كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ»[٢] .

ويمكن تفصيل هذه الكنايات على النحو التالي :

ـ كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ | ← عائشة (كناية عن خفَّة أديانهم وذلك برياسة المرأة عليهم ، وسقوط مروءتهم وشهامتهم)

---

١. ويحدثنا العقاد حول الثقافة العسكرية أو فن الحرب عند علي بن أبي طالب قائلاً : « إنّ فن الإمام العسكري هو فن البطل المغوار يناظل الأفراد وينفع الجيش الذي هو فيه بقدوة الشجاعة وإذكاء الحماسة وتعزيز الثقة بين صفوفه ، وأنّه يعرف كيف يكون الهجوم حيث يجب الهجوم ، وكيف يحتال على عدوه بما يخلع قلبه ويفت في عضده.. ومن حيله المشهورة في توهين عزم عدوه ، أنّه أمر بعقر الجمل في الواقعة المعروفة باسمه ، لأنّه كان عَلَمَ القوم الذين كانوا يلتفون به ويثبتون بثبوته » ؛ عباس محمود العقاد ، عبقرية الإمام ، ص١٣٥

٢. الخطبة ١٣ .

وللتدليل على ذلك نسوق هذا المثال :

«تَزُولُ الجِبَالُ وَلاَ تَزُلْ ، عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ ، أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ ، تِدْ فِي الأَرَضِ قَدَمَكَ ، اِرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى القَوْمِ ، وَغُضَّ بَصَرَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ»[١].

هذا شريطٌ من الكنايات : تزول الجبال ولا تزل كناية عن صفة الثبات والملازمة ، وعَضَّ على ناجذك كناية عن صفة الحمية ورباطة الجأش ، تد في الأرض قدمك كناية عن صفة الشجاعة والإقدام تلتها مجموعة من الكنايات عن صفة يجمعها قاسم مشترك هو آداب المحاربة والمقاتلة في أي معركة فلا بدّ أن يتحلى المقاتل بهذه الآداب حتى يحصل له النصر من عند الله.

وإنّ الاهتداء إلى الصورة الجزئية أو المركبة لا يحتاج إلى وسائط كثيرة ، وهذا التلويح الواضح هو النزعة الغالبة التي دأب الإمام علي بن أبي طالب على اعتمادها في خطابه الحربي.

هكذا ، فإنّ الظاهر من الصورة الكنائية في خطب علي بن أبي طالب الحربية لفظًا ومعنىً كان شكلاً من أشكال السيطرة على الأذهان وكسب اهتمامها ، وذلك من خلال الشجاعة أحيانًا ، أو الذمّ والسخط على أتباعه

---

١. الخطبة ١١.

ومن الكنايات الطريفة عند الإمام علي ، والتي تتجلى من خلالها ذاته المبدعة قوله :

«مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ ! وَاللهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ ، وَلاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ»[١].

وهذه الصورة كنّى بها عن النطفة بالماء ، ولعلّها من ابتكارات علي بن أبي طالب ، وفيها يقول الشريف الرضي :

«يَعْنِي بِالنُّطْفَةِ مَاءَ النَّهْرِ ، وَهُوَ أَفْصَحُ كِنَايَةٍ عَنِ الْمَاءِ ، وَإِنْ كَانَ كَثِيراً جَمًّا»[٢].

وقد تفاوتت صور الكناية من حيث درجة الحضور والغياب ، فالصدارة للكناية عن صفة ثم تلتها الكناية عن موصوف أما الكناية عن نسبة فغير واردة في خطب علي بن أبي طالب الحربية.

يتخطى علي بن أبي طالب الصورة الكنائية المفردة في أحيان كثيرة من الصورة في السياق الواحد إلى اللوحات المتعددة المتنوعة ، تدعو السامع للخطبة أو المتلقي إلى إعمال العقل في كلّ صورة على حدة ، ثم التأمل في نوع العلاقة الجامعة بينهما ، سواءٌ كانت علاقة تقارب أم تنافر.

إنّ قدرة الإمام علي تتجلى بوضوح في هذا النموذج من التصوير ،

---

١. الخطبة ٥٩.

٢. انظر محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١/ ١٣٢.

المقام الحربي الذي يتطلب هذا النوع من الكنايات القائم على درجتين ، وبذلك أصاب الإمام علي كبد البلاغة إذ البلاغة ؛ هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ـ هناك كنايات طريفة[١] ولعلها من ابتكارات علي بن أبي طالب ، بخاصة المركبة[٢] وهي عنوان الشموخ والعبقرية في فن الكلم.

ـ إنّ الصدارة للكناية المبنية على صفة.

يفضي بنا ذلك إلى تقرير أنّ علي بن أبي طالب في بناء صوره الكنائية يبقى حريصاً على شيئين معًا : إصابة الهدف بأقصر الطرق وبأبلغ تأثير.

ثانيًا : الصّور القائمة على تداعي المدلولات في المجاز

أ- المجاز

المجاز كلمة عامة يمكن أن يقصد بها كلّ استعمال لغويّ معدول به عن أصل وضعه على نحو ما يُفْهَمُ من الخصائص لابن جنى[٣] ، وقد تنبه

---

١. راجع البحث أعلاه ، ص ١١٣.

٢. راجع البحث أعلاه ، ص ١١٤.

٣. « وإنّما يقع المجاز ويُعْدَل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة ، وهي الاتساع ، والتّوكيد ، والتّشبيه ، فإن عُدِمَ هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة » ؛ ابن جني ، الخصائص ، ط٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ ، ٢/ ٤٤٤.

أحيانًا أُخر ، وإبراز المثالب والعيوب من عدم النُّصرة ، وقد تحقق فعل الحجاج من خلال التأثير. كما استغل الإمام علي الظروف الحافّة بأتباعه فكانت مطيته للتأثير أيضًا ؛ إذ جعلها جسرًا تواصليًّا نفسيًّا مكشوف المعالم بينه وبين قومه. فبقدر ما اشتد وضوح المعنى المعرّض به في نص الصورة الكنائية اشتد توغله في النفوس وثباته. والإمام علي بعد ذلك يريد أن يحرك السواكن ويدفع بها نحو الفعل المطلوب إنجازه سواء أكان جهاد عدو أم رد غارة ،... إلخ ، وإنّه كان ينتظر أن يستجيب له جمهوره وأتباعه تلقائيًا وهذا واضح في طول الخطب الحربية وعرضها فحينما يجهد المتلقي عمومًا نفسه من أجل استنباط المعنى أو تصوره ، يكون تأثره بالصورة أقوى ، وتأتي ردة فعله من ذاته لتعبّر إمّا عن شعور بالفشل ، أو شعور بالذل أو شعور بالجبن والخوف ورغبة في تلافيهما بالفعل المناسب. أو لتعبّر عن إحساس بالرغبة يتولد منه السعي إلى إتمام العمل لينقلب المنشود موجودًا بالفعل ، وهذه ، هي غاية الحجاج.

وبعد هذا التحليل للكناية في خطب علي بن أبي طالب الحربية نحصر خصوصياتها فيما يأتي :

ـ إنّ التلويح هو الظاهرة الأسلوبية المسيطرة على خطب علي بن أبي طالب الحربية ، وهو تلويح في الأعم الأغلب يقوم على درجتين.

ـ الكنايات واضحة لا تحتاج إلى إعمال ذهن في الغالب. وقد ناسبت

وليس من همّنا أن نبحث هـذين المعنيـين أو أحـدهما ، وإنّـما سنـصرف عنـايتنـا إلى المدلول البلاغي المحدد الذي ذهبت إليه كتب البلاغة الحديثة[١] حيث قسمت المجاز اللغوي إلى استعارة ومجاز وقسـمت المجاز بـدوره إلى مرسـل وعقلي.

وهذا المجاز القائم على علاقات التداعي هو الذي يهمّنا هنا ، وسنبدأ بالمجاز المرسل ثم نعرج على المجاز العقلي في خطب علي بن أبي طالب الحربية.

١- المجاز المرسل

المجاز المرسل هو «الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي

---

١. أنظر : أحمد الهاشـمي ، جـواهر البلاغـة ، ص٢٣١ ؛ وعـلي الجـارم ومـصطفى أمـين ، البلاغـة الواضحة ، ص٧٠ ـ ٧١ ؛ أحمـد مـصطفى المراغـي ، علـوم البلاغـة ، ص٢٢٩ ؛ محمـد عبـدالمنعم خفاجي وعبدالعزيز شرف ، ، نحو بلاغة جديـدة ، ط مكتبـة غريـب ، القـاهرة ، د.ت ، ص١٥٠ ؛ محمد عبدالمطلب ، البلاغة والأسلوبية ، ط الهيئة مصر العامة للكتاب ، القـاهرة ، ١٩٨٤ ، ص٥٧ ـ ٧٠ ؛ أحمد أبـو حاقـة ، البلاغـة والتحليـل الأدبي ، ط٢ ، دار العلـم للملايـين ، بـيروت ، ١٩٩٣ ، ص١٤٣ ؛ خليل كافوري ، نحو بلاغة جديدة، ص١٠١ ؛ محمّد النـويري ، علـم الكـلام والنظريـة البلاغية عند العرب ، ط١ ، دار محمّد على الحـامي، صـفاقس ، ص٢٤٧ ـ ٣٤٥ ؛ جيرالـد بـرنس ، قـاموس السّـرديات ، تـرجمة السيد إمـام ، ط١ ، ميريت للنشر والـمعلومات ، القـاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص١١٠ ـ ١١١ ؛ الأزهر الزّنّاد ، دروس فـي البلاغـة العربيـة ، ص٨٤ ـ ٩٣ ؛ جـورج لايكـوف ومارك جونسن ، الاستعارات التي نحيا بها ، ص٥٥.

عبدالقاهر الجرجاني ـ في كلامه عن المجاز ـ إلى عملية المواضعة وأنّها عملية متجددة ، وأنّ الدلالة الوضعية تتطور مع تطور العصور دون أن تقف بإزاء لفظٍ معينٍ متجمدة ، وقد يتحول المجاز إلى وضع لغوي جديد ، ولذلك نجده يعرّف المجاز بقوله : «كلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأوّل فهي مجاز ، وإن شئت قلت : كل كلمة جزت بها ما وقعت لـه في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعًا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها»[1] ، بل ذهب بعض اللغويين إلى أبعد من هذا وهو أنّ «أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة»[2].

وتجمع كتب البلاغة على تفضيل المجاز على الحقيقة من جهة كونه أبلغ منها فقد قرّر السكاكي في مفتاحه أنّ «المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأنّ الاستعارة أقوى من التّصريح بالتّشبيه وأنّ الكناية أوقع من الإفصاح بالذّكر»[3] ، وربط ذلك بما أسماه «دعوى الشيء ببيّنة»[4] .

---

١. الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص٤٣٧ ـ ٤٣٨.

٢. انظر : ابن جني ، الخصائص ، ٢/ ٤٤٩ ؛ وقد ردّ ابن الأثير عليه بقوله : « وقد ذهب قومٌ إلى أن الكلام كلّه حقيقة لا مجاز فيه ، وذهب آخرون إلى أنّه كلّه مجاز لا حقيقة فيه ، وكلا هذين المذهبين فاسدٌ عندي » ؛ ابن الأثير ، المثل السائر ، ١/ ٧٥.

٣. السكاكي ، مفتاح العلوم ، ٤١٢.

٤. م.ن. ، ص٤١٣.

الْهُبُولُ ! لَقَدْ كُنْتُ ، وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ وَلاَ أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ ، وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي ، وَفِي غَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي »[1] .

لماذا ؟ لأنّ التواصل الخطابي يقوم على تقريب الصورة باستعمال المعاني المشهورة ، والفضاءات القريبة من عالم المخاطب الحسي والروحي (الكناية مثلا) بينما يقوم المجاز المرسل على تبعيد الصورة وتجريدها ؛ لذلك يتجنب الخطيب / الإمام علي مثل هذه الفضاءات البعيدة التي لا تناسب المقام ، فالمقام مقام حربٍ وهو بالتالي يحتاج إلى تقريب الصورة إلى الجمهور المخاطب من خلال استعمال المعاني المشهورة والفضاءات القريبة منه ومنهم. إن في ذهنه ، أو في ذهن المتلقين وهذا ما يعبر عنه بـ Contrat[2] أي العَقْد الذي تبنى عليه معاني الخطبة ، وفضاءاتها ، وآلياتها كالصورة مثلاً.

والعَقْد الذي يكون بين جمهور المتلقين والخطيب يقع ضمن الفضاءات المشهورة وهي على حدّ عبارة هشام الريفي : « وضع للقول ثقافي وليس

---

١. الخطبة ٢٢.

٢. انظر : قاموس السَرديات في باب (c) يذكر أن العَقْد هو : « اتفاق بين المرسل » <Sender والذات « Subject » إنّ العَقْد يقدّم لـ « الذات » برنامجًا لكي تقوم بإنجازه ، ومن ثم يمكن القول بإنّه يشكل القوى المحركة للسرد المعياري. إنّ « الذات » يمكنها أن تنجز (أو تخفق في إنجاز) « العَقْد » وتكافأ على هذا الإنجاز (أو تعاقب على إخفاقها في الإنجاز) ؛ جيرالد برنس ، قاموس السّرديات ، ترجمة السّيد إمام ، ص٣٩ ـ ٤٠. وانظر على سبيل التوسع في مصطلح العَقْد (Contrat) كتاب المعجم الفلسفي ؛ لجميل صليبا ، ط دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ٢/ ٨٢.

لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي »[١].

ويذهب الطرابلسي في كتابه « **خصائص الأسلوب في الشوقيات** » إلى أنّ هذا الأسلوب من الكلام ـ يعني المجاز المرسل ـ مقوماته ثلاثة :

(١) التعبير عن لفظ بلفظ آخر.

(٢) الارتباط بمقتضى التّداعي.

(٣) اعتماد المجاز

أمّا المجاز المرسل فإنّنا لم نر منه إلا النّزر اليسير فدوره في أسلوب علي بن أبي طالب قليلٌ جداً فهو لا يكاد يستعمله ، وإذا استعمله فإنّه لا يكاد يخرج به عن حدود الاستعمال العادي المألوف ، الذي لا يشكل ظاهرة أسلوبية.

فكلامه مثلاً عن أهل الشّام وقتالهم هو من باب المجاز المرسل أو قل إنّ استعماله لفظ حدّ السّيف للتعبير عن القتل من باب التعبير عن الآلية إذ نجده عبر عن القتل بسببه في قوله :

« فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ ، وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِراً لِلْحَقِّ »[٢].

ولكنه لا يلبث أن يعود إلى الحقيقة في الخطبة نفسها بقوله :

« وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنِ ابْرُزْ لِلطِّعَانِ ، وَأَنِ اصْبِرْ لِلْجِلاَدِ هَبِلَتْهُمُ

---

١. السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص٢٣٢.

٢. الخطبة ٢٢.

ـ العوامل

ـ الظروف

فقد شمل التشخيص في خطب علي بن أبي طالب عوامل وظروفاً ، فمن العوامل السببية ، والمسببية ، ومن الظروف الزمانية.

(١) العـوامل

ـ السببية

قوله : «وَايْمُ اللهِ ، لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لاَ تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الآخِرَةِ»[١].

وقد قالها لأصحابه في ساحة حرب واقعة الجمل التي دارت رحاها بينه وبين عائشة وطلحة والزبير ـ كما علمت ـ وانتهت بالنصر له.

وذكر السيف الذي هو سبب العقاب ، وحذف العقاب في العاجلة والآخرة ، وحذف المسبب وذكر السبب.

وكذلك قوله في موطن ثان بعد ما اتهموه بقتل عثمان بن عفان :

«فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ»[٢].

استخدم حدّ السيف مجازاً ، وحذف المسبب الذي هو القتل ، وذكر

---

١. الخطبة ١٢٢.

٢. الخطبة ٢٢.

وضعًا اكتسبه من خصيصة داخلية فيه ، هو صفة تضمن تصديق القول وإن كانت خارجة عنه ، غير محايثة له »[١].

٢- المجاز العقلي

يعرّف المجاز العقلي في كتب البلاغة عادة بأنّه «إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقةٍ مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي»[٢] وإذ نسعى إلى دراسة هذه الظاهرة البلاغيّة من خلال المدوّنة العلويّة الحربيّة التي نشتغل عليها فإنّنا نلاحظ أوّلا أنّها قليلة التوظيف في خطب الإمام علي، و هذه القلّة لا تختصّ بها المدوّنة التي ندرس، و إنّما هي كما يذهب الأزهر الزنّاد[٣] إلى أنّها ظاهرة عامّة في كتب البلاغة العربية، إذ المجاز بنوعيه المرسل و العقليّ محدود في وجوه معلومة و مضبوطة منهجيّا خلافا للاستعارة ذات الطاقة التي لا تنضب؛ و السبب في ذلك أنّها قائمة على التشبيه، و علاقة التشبيه أكثر مرونة و قابليّة للاستعمال و الاستيعاب، لذلك تكون أكثر قدرة على التخييل. و يمكننا تناول هذه الظاهرة من زاويتي العوامل و الظروف.

---

١. انظر : مقال هشام الرّيفي المعنون بـ« الحجاج عند أرسطو » ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص٢٠٨.

٢. انظر على سبيل المثال : علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة ، ص١١٧.

٣. انظر : دروس في البلاغة العربية، ص ٩٤.

نذكر منها استعمال لفظ الدّهر ، وهو ظرف عام للتعبير مجازًا عن النّاس أنفسهم ، وذلك في مواطن منها:

« وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ العَقُورِ »[١].

أو استعمل لفظ (يوم) للدلالة على الموت في قوله :

« حَتَّى يَأْتِي عَلَيَّ يَوْمِي »[٢].

فالمسند إليه هو اليوم ، والمسند يأتي ، والمراد به الموت الذي يحلّ في اليوم.

وقد يتوغّل في المجاز :

« وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ ، مُوطِنِينَ أَكْنَافَ دِجْلَةَ »[٣].

ففي استعمال لفظ (النطفة) للتعبير عن ماء الفرات مجازٌ ، وهو من غريب العبارات وعجيبها ـ على حدّ تعبير الشريف الرضي ـ ولعل الإمام عليّاً أوّل من ذهب بهذه اللفظة إلى هذا التعبير.

أما ظاهرة التشخيص وإمكاناتها الواسعة ، فهي ليست مختصة بأسلوب المجاز العقلي ، ولكنّها الإطار الأفضل للتعبير عن إمكانياتها ، فلا نكاد نجد لها ذكرًا في خطب علي بن أبي طالب الحربية.

---

١. الخطبة ١٠٧.

٢. الخطبة ٦.

٣. الخطبة ٤٨.

السّبب الذي هو آلة القتال ، وهو السّيف ، والسّيف الذي هو سبب الموت.

ـ المسببية

قوله : « الجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ العَوَالِي »[1].

الجنة هي المسند إليه ، وهي غاية الغايات بالنسبة إلى المجاهد في سبيل الله، لأنّ الجنة مسببة عن الجهاد الذي هو تحت أطراف العوالي (أي الرِّماح).

ـ الآلة

من أمثلة المجاز العقلي القائمة على تشخيص الآلة في خطب علي بن أبي طالب الحربية « الدّرع » فبعد واقعة صفين حثّ الإمام علي أصحابه على الجهاد في خطبة طويلة وصف فيها الجهاد بأوصاف منها قوله :

« ... وَدِرْعُ اللهِ الحَصِينَةُ »[2]. واستخدم الدّرع مجازًا هنا.

(٢) الظروف

ـ الزمانية

---

١. الخطبة ١٢٢.

٢. الخطبة ٢٧.

ذواتها ، وهذا الخط الدلالي مستقيمٌ في الظاهر لأنّه ينفذ مباشرةً إلى قلب المدلول ، وهو نفاذ إلى الحقيقة من وراء حقيقة ظاهرة أخرى هي المجاز.

وقد أشار الطرابلسي إلى هذا المعنى إشارة دقيقة حينما نبّه إلى أنّ ظاهرة التشخيص ليست خاصة بأسلوب المجاز العقلي فللتعبير عن التشخيص إمكانيات أخرى بقوله: «ليست ظاهرة التشخيص خاصة بأسلوب المجاز العقلي فللتعبير عن التشخيص إمكانيات أخرى،ولكن هذا الإطار هو أحسن إمكانيات التعبير عنه»[١].

ثم إن الطرابلسي يفصل الحديث في هذه الظاهرة مبينا أهم فوائدها بقوله : «ومن أهم الفوائد التي انجرت عنه أنّه يبعث الحيوية فيما أصله الجمود ويحرّك ما من عادته السّكون»[٢].

فإذا ثبت أن التشخيص له إمكانيات أخرى وفوائد ، جاز لنا أن نتساءل عن غياب هذه الظاهرة في خطب علي بن أبي طالب الحربية.

والجواب عن ذلك أنّ الخطب الحربية لا تتطلّب هذا النوع من التشخيص ولا حتى التوغل في المجاز ، فظروف الحرب والمقاتلين والأنصار تتطلّب لغةً واضحةً ومفهومة حتّى يضمن الإمام سرعة الإنجاز ووصول العبارة إلى قلوب الأنصار دون أدنى تأويل.

هكذا يتضح أن مرجع المجاز بضربيه المذكورين إلى الحديث عن الأشياء بالاقتصار على مميّزاتها أو آثارها البارزة أو صفاتها وأسمائها المعروفة أو

---

١. محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص ٢١١.

٢. م.ن. ، ص٢١١.

فليس غريبًا أن تكون المقابلة[١] إحدى خصائص الأسلوب في الخطبة الحربيّة إن لم تكن من خطة الخطيب / الإمام علي، فالخطبة غرضها الأساسيّ التأثير في المخاطب عبر خلق مقام مخصوص[٢] وذلك بتقديم التجارب الانسانيّة و المعارف البشريّة بطرق مباشرة أو غير مباشرة، فالتقابل عنصر لغوي جمالي، فضلا عن أنّه يسهم في تقديم المعرفة و الخبرة بطريقة أكثر وضوحا فيولد تفاعلا مخصوصا بين الألفاظ و المعاني، و فوق هذا و ذاك يثري اللغة بدلالات جديدة يحققّها في السياقات المختلفة. وتسمى ظاهرة التقابل بـ (التضاد)، وتسمى في علم البلاغة بـ (الطباق) تارة ، و (المقابلة) تارة أخرى ، وأما في علم المنطق فتسمى بـ (ظاهرة التناقض).

وقد اخترنا مصطلح (التقابل) ؛ لأنّه لا يحدث في الاستعمال أي لبس ، ولأنّه متميّز عن بقية المصطلحات ، كما أنّه أوسع دلالة من لفظ

---

١. انظر: حظّ (المقابلة) في كتاب **معجم المُصطلحات البلاغيّة وتطوُّرها** ، لأحمد مطلوب ، ط٢ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦ ، ص ٦٣٥ ـ ٦٤٠.

٢. انظر : المقال المعنون بـ« **مدخل إلى قراءة بعض النصوص الخطابية القديمة** » لصالح بن رمضان ، ص١٨٥ ، إذ يرى في خطبة المقام أنّ« المتكلم يرمي إلى أن يكون الكلام في ذاته كافياً لتغيير فعل المخاطب فيتحول من معارض إلى خاضع ، ويكون القول في ذاته فعلاً ، لأنّه أُبطِلَ فعلاً ، وهذا النمط من الخطابة السياسية يرتكز على طاقة القول التحقيقية المبطلة للفعل ».

المبحث الثّاني: التّداعي التّقابليّ

تمهيـــــدٌ

إنّ التقابل يمثّل سمة من سمات الفكر الإنساني ، ويمثّل سمةً من سمات خلق الكون أيضاً ، فليس في الكون شيء قريب إلا ويقابله شيء بعيد ، وليس في الحياة شيء سهل إلاّ ويقابله شيء صعب ، وفي مظاهر الكون أشياء كثيرة يقابل بعضها بعضا ، فالشيء الصغير يقابله الكبير ، وإذا ذكر الشيء العالي تبادر إلى الذهن الشيء الداني ، والشيء الذي تراه صعبًا قد أراه سهلاً وهكذا. فالتقابل سمة من سمات الوجود وسبيل بارز إلى المعرفة البشريّة.

ولئن كان من أهمّ الوظائف التي تؤديها الخطبة الحربيّة تجليتها للمعاني نظرًا للمقام وما يتطلّبه من إنجاز سريع مؤثّر ، وكما هو معروف أنّ المعاني تتجلى أكثر عندما تقرن بأضدادها ؛ فإنّه ممّا يساعد في وضوح الفكرة استعمال الكلمات المتقابلة المتضادة المعاني.

المعنى أن يُسمّى هذا النوع المقابلة »[1] سواء أكانا مفردين أو مركبين.

والمقابلة ـ بعد ذلك ـ ظاهرة أسلوبية قوية الحضور في الخطابات الأدبية، الأمر الذي قد تنتج عنه علاقات تقابلية على الصعيد اللّغوي ، ممّا يؤدّي إلى بروز « شبكة من الروابط الثنائية دلاليًّا ونغميًّا في نفس الوقت »[2]. تلك الروابط قد تكون تكاملية أو تصادمية ممّا يترتّب عليه معانٍ دالة على مختلف ألوان الحركة أو معاني التوتر.

ولئن كانت الصور القائمة على التشابه والصور القائمة على التداعي قد شغلتنا في الفصول السابقة[3] بجمالها الفنّي وأسلوبها الحجاجيّ ، فإنّ المدونة العلوية قد أمدتنا بالصور القائمة على التقابل وفق معطيات نحسبها جديرة بالبحث والدّراسة وقد تنبه النقاد العرب القدماء إلى ما تضفيه هذه الصور من الجمال على النص وفي ذلك يقول ابن الأثير :

« واعلم أنّ في تقابل المعاني باباً عجيب الأمر ، يحتاج إلى فضل تأمّل ،

→

وحددتُ بكلّ وضوح ودقة علاقة المقابلة (المطابقة) بالجناس تلك العلاقة التي طالما خاض فيها البلاغيون القدماء. وإننا إذ نتتبع مراحل هذا البحث ونستنير بهديه لا نستغل نتائجه نظراً لاختلاف الموضوعين من جهات عدة من حيث الجوهر والمدى.

١. ابن الأثير ، **المثل السائر** ، ٢/ ٢٦٥.

٢. عبد السلام المسدي ، **قراءات** ، ط ٤ سعاد الصباح ، الكويت ، ١٩٩٣، ص٧٠.

٣. راجع البحث أعلاه **في الفصل الثاني والثالث.**

(التناقض) ؛ لأنّ بين اللفظين أو المصطلحين عمومًا وخصوصًا : فكلّ تناقض تقابل وليس العكس ، فالعلم نقيض الجهل ، والقلة تقابل الكثرة... وهكذا.

الصّور القائمة على التّقابل

أجمع البلاغيون العرب على اعتبار المطابقة من المحسّنات المعنويّة في الكلام ، وهي الجمع بين الشّيء وضدّه ، مميزين بينها وبين المقابلة التي هي عبارة عن طباق مركب أو قُلْ هي الجمع بين أكثر من ضديّن أو الجمع بين معنيين متضادين في الكلام وأنّ « أصلها ترتيب الكلام على ما يجب ، فيُعطى أوّل الكلام ما يليق به أوّلاً ، وآخره ما يليق به آخراً »[1].

ونستخلص من التعريفين السابقين أنّ المطابقة والمقابلة لا يختلفان في الحقيقة اللّهم إلا في الاتساع والعمق ، فمن النّاحية النظرية المطابقة جزء من المقابلة وذلك لأنّ الطباق إذا تعدّد أو تعقّد أصبح مقابلة.

وفي هذا الفصل سنردم هذه الهوة سائرين على هدي ابن الأثير الذي جمعها تحت مصطلح واحد هو المقابلة[2] ، فقد اعتبر « الأليق من حيث

---

١. ابن رشيق ، العمدة ، ٢/ ٢٣.

٢. وقد بحث الطرابلسي المقابلة في كتابه الموسوم بـ« **خصائص الأسلوب في الشوقيات** » بحثاً ذكيّاً ودراسة وافية ، كان لها دورٌ بارز في بلورة تصورنا لها حيث أنارت لنا جوانب كثيرة من هذا المفهوم ، ←

المقابلة اللّغوية المعجمية[١] ، والمقابلة السياقية الخاصة[٢]. وهذان الضربان من المقابلة يشكّلان أسلوبًا من أساليب خطّة الخطبة عند علي بن أبي طالب.

المقابلة اللغوية :

هذا النوع من المقابلات هو مجرّد استدعاء للأزواج اللغوية التي اصطلح النّاس على ضديتها. لذا ليس بدعًا إذا قلنا إنّ تقيد العقل ورقابته المطرّدة على سيلان المقابلة اللغوية في النّص الأدبي يقتل حظّها من الذاتية والطلاقة، ويجعلها مقصورة على الإطارات الدلالية الدنيا.

نستطيع أن نقرّر أنّ حصة الخطب الحربية من المقابلات اللّغويّة تفوق حصّتها من المقابلات السياقية رغم غزارتها. ولو التمسنا لذلك الأعذار لأجبنا على الفور أنّ خطب علي بن أبي طالب الحربية ذات نزعة خطابية مباشرة اقتضاها المقام الحربي ، ولكن لا ضرر أن تبرز بلاغة الإمام علي في خطبه الحربية من وقت لآخر.

وإنّ المقابلة اللّغويّة تبنى على مفردين اثنين بحكم الوضع اللّغوي.

---

١. المقابلة اللّغويّة تستعمل لفظين اثنين متضادين بحكم الوضع اللغوي لا يشترك معها في ذلك ثالث.

٢. المقابلة السياقية تتمثل في استعمال لفظين فأكثر يتضادّان في أبعاد الدلالة وليسا بضدين في الوضع اللّغوي.

وزيادة نظر وتدبّر (.....) وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر نفعًا منه ، ولا أعظم فائدةً »[1].

ولذلك كلّه تناولناها بالدرس في هذا الفصل باحثين في أنواعها ، وفي أشكالها، وفي توزيعها وفي حضورها ، ومدى طرافتها ، ووضعنا في نهاية فصلنا هذا جملة من الاستنتاجات التي تشكّل مجتمعة خصائص الصورة القائمة على التقابل في خطب علي بن أبي طالب الحربية.

ولقد وظّف علي بن أبي طالب أسلوب المقابلة توظيفاً مكثّفاً في خطبه الحربيّة ، إذ أعطى صور التقابل القدرة على تجاوز التوظيف التقليدي ليستشرف عوالم مجازية غاية في الطرافة والتنّوع ، إنّنا ونحن نفكّك الخطاب الحربي عند الإمام علي ونحلله نتلمس خبايا روح الخطيب العبقرية التي تنحت بديع الصور الفنية من إمكانات التقابل بطريقة لا يمكن إلا أن نسمّيها طريقة علي بن أبي طالب المحضة.

أولاً : أنواع المقابلات

ينزع الإمام علي في الخطبة الحربية إلى ضرب نوعين من المقابلات:

---

١. ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦.

اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتقّبل وتسليمه »[١].

« فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا، فَيَا عَجَبًا ! وَاللهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ ، وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَومِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً ، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ ، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ »[٢].

انظر إلى هذه المقابلات الكثيرة في هذه الفقرة القصيرة من الخطبة الحربية، و ممّا لا شك فيه أنّ هذا الأمر بالغ الأهمية ؛ إذ إنّها تخصّب اللّغة ، وتمدّنا بإمكانات تعبيريّة أخرى[٣] ، هي في واقعها سنّة تعبيريّة مكينة من

---

١. عز الدين الناجح ، « العوامل الحجاجية في اللغة العربية » بحث مرقون لنيل شهادة الدراسات المعمقة بإشراف عبدالله صوله في جامعة منوبة ،٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤ ، ص ٢٣.

٢. الخطبة ٢٧.

٣. للتوسع في هذه الإمكانات انظر : أطروحة شكري المبخوت « عمل النفي وخصائصه في العربية » ص٢٠٥ ، إذ يعتبر النفي أساس المقابلات وقد تولّد منه ثلاثة أضرب وهي كالآتي :

أ ـ النفي الوصفي : وهو النفي الذي يكون تمثيلاً لحالة الأشياء في الكون دون أن يقدّمه على أنّه يعارض قولاً آخر.

ب ـ النفي الجدالي : هو النفي الذي يعارض به المتكلم رأياً معاكساً لرأيه صاغه المخاطب صياغة إثباتيه.

←

فمن المقابلات اللّغويّة ، مقابلته بين المقبل والمدبر ، والسامع والعاصي في قوله:

« ... وَلكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً »[1].

أو مقابلة الإمام علي بين الحق والباطل وهو كثير في خطابه الحربي منها قوله :

« كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ »[2].

أو مقابلته بين الجمع والانتشار في قوله:

« مَا أَنْتُمْ إِلاَّ كَإِبِلٍ ضَلَّ عَنْهَا رُعَاتُهَا ، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ »[3].

وقد تكثر المقابلات في الخطبة الواحدة وبالخصوص في ذَمّ المتخاذلين المتقاعسين عن القتال ؛ وذلك لإثارة الحرج ، وإلقاء الحجة عليهم بحيث لا يبقى لهم منفذ إلا الجهاد والقتال مع الإمام علي من أجل الكرامة ورفع الضيم والظلم الواقع عليهم من الأعداء ، ويلعب النفي دوراً أساسيّاً في هذه المقابلات حيث يصبح « النفي عاملا حجاجيا يحقق به الباث وظيفة

---

١. الخطبة ٦.

٢. الخطبة ٤٠.

٣. الخطبة ٣٤.

الآخِرَةِ»[١].

ونراه في موطنٍ آخر يقابل بين الإحياء للسّنة النّبوية الشّريفة والإماتة للبدعة في قوله :

« أَحْيَوا السُّنَّةَ ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ »[٢].

ولنا أن نستخلص ممّا تقدّم :

أنّ دور علي بن أبي طالب في استخدام المقابلة اللغوية ليبقى محدوداً إلى حدٍ ما ، فالمقابلة اللغويّة مجرد جمع بين زوجين متقابلين بصورة ميكانيكية ، والخطيب / الإمام علي له فضل استدعاء الأزواج المتقابلة[٣]، والمقابلة اللغويّة لا تعكس عملاً خلاقّاً فليس تحتها كبير أمر ، وذلك لأنّها لا تخرج من الإطار الدلالي الأدنى لذا جاء دورها محصوراً في التصريح بضدّية معينة، الهدف منها إثارة الحرج في أصحابه المتقاعسين عن القتال ، وكشفهم وتعريتهم.

ـ أشكالها

---

١. الخطبة ١٢٢.

٢. الخطبة ١٨٠.

٣. انظر : شكري المبخوت في أطروحته « عمل النفي خصائصه في العربية » في موضوع النفي الجدالي ، ص٢٠٥.

أساليب التعامل الفني ونحو ذلك.

أو المقابلة بين العظمة والقلّة وبين الطاغية والداعية كما في قوله :

« وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيةُ »[١].

أو مقابلته بين اليد والقلب في مبايعة الزبير له في قوله :

« يَزْعَمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ ، وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ »[٢].

أعطى الإسلام العظيم اللغة العربية رصيداً من المقابلات مكنتْ اللسان العربي من الانطلاق من الطوق المضروب عليه من القدم ، فالمفردتان الدين والدنيا نجد بينهما تقابلاً في خطاب علي بن أبي طالب الحربي على سبيل المثال قوله :

« وَحَتَّى يَقُومَ البَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ ، بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ »[٣].

وفي موطن ثانٍ مقابلته بين سيف العاجلة وسيف الآخرة قوله :

« وَايْمُ اللهِ ! لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لاَ تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ

→

جـ ـ النفي الميتالغوي : هو قول منفي يهاجم متكلماً له خاصيتان : يبطل المقتضيات... وإعلاء الصفة.

١. الخطبة ١٠٧.

٢. الخطبة ٨.

٣. الخطبة ٩٧.

للمقابلات اللغوية التي تتسم بالانسجام بين المتقابلين فيها من حيث النوع، فالإمام علي ينزع إلى مقابلة الفعل بالفعل والمصدر بالمصدر، واسم الفاعل باسم الفاعل والصفة المشبهة بالصفة المشبهة ، والاسم الجامد بالاسم الجامد ومقابلته المفرد بالمفرد والجمع بالجمع ، وقلّ في المدونة وندر أن نجد خرقاً لهذا النظام الصّارم الذي يدفعنا إلى المجازفة بالقول إنّ الانسجام بين المقابلات والائتلاف بين مبانيها يكاد يكون قانوناً يحكم المتضادات في المدونة فشكل المقابلات متناغمٌ متشابه والمفارقة لا تكون إلا في معانيها.

وإنّ صيغ المتقابلات تحتاج إلى تفصيل بين خصائصها في كلّ باب فلا يغني فيها الإجمال. فقد اتضح لنا أنّه:

ـ يغلب على مقابلات علي بن أبي طالب مقابلة الفعل بالفعل إذ ينسجم المتقابلان في التجرد أو الزيادة في نوع المسند إليهما الفعلان ، أما اتفاقهما في الزمن فيكاد يكون قاعدة :

الفعل الماضي المثبت المسند إلى صيغة الجمع بمثله « رغا **فأجبتم** وَعُقِرَ **فهربتم** »[1].

الفعل المضارع المنفي المسند إلى صيغة الجمع بمثله « **لا يصدرون** عنه **ولا**

---

١. الخطبة ١٣.

يمكننا طرح مدخلين تحت هذا النوع :

ـ ما العلاقة التي تنتظم الزوجين المتقابلين فيها ؟

ـ وهل لذلك تأثير في إخراج المقابلة وتلوين دورها في الخطاب الحربي ؟

إنّ المعوّل على المقابلة اللّغوية ـ مثلما أشرنا فيما تقدّم ـ يتمثل في إقامة الضّديّة[1] ليس غير ، وأشرنا أيضًا لهذا الأمر المتمثل في التصريح بالمعنى ، وما يقابله ، وأحسب أنّ من العبث أن أبحث عن عوامل أخرى تتحكم في إخراج الأزواج المتقابلة كالوظائف الصوتية والنحوية وغيرهما.

لذلك سننظر في أركان هذه الضّديّة من حيث مباني الكلمات ، وكيف تتوزّع ، وما المبنى الغالب في الاستعمال ؟ ولماذا ؟

تتحكم في إجراء المقابلة اللّغويّة قوانين مطّردة مضبوطة كالانسجام التام بين أنواع الكلمات في البناء والاشتقاق والصرف ؛ وذلك لأنّ زمان تصريف هذه الأزواج يتحكم فيه العقل والمعجم على حدٍّ سواء.

وتجدر الإشارة إلى أن قسما لا يستهان به من مقابلات الإمام علي اللغوية ورد فيها المتقابلات في صيغة الجمع.

ولئن كانت المقابلات عند علي بن أبي طالب نوعين، فإنّ الأغلبية

---

١ . يرى صالح بن رمضان أنّ أكثر العلاقات تواتراً هي التي « تجمع بين متكلم (حاكم) ومعارض حاضر » ؛ انظر : مقاله المعنون بـ« مدخل لقراءة بعض النصوص الخطابية القديمة » ص١٧٧.

هم تركوه»[١].

الفعل الماضي المسند إلى الضمير الغائب المفرد وإلى الجمع الغائبين بمثله: «**أفأمرهم** الله تعالى بالاختلاف **فأطاعوه** أم **نهاهم** عنه **فعصوه**»[٢].

ومن الاختلافات النادرة في مقابلات الأفعال نجد :

ـ الفعل الموجّه في صيغة الأمر للمخاطب المفرد بالفعل الماضي المسند إلى الغائب. «**فليدخل** فيما **خرج** منه»[٣].

ـ الفعل المسند للمعلوم بالفعل المسند إلى المجهول: «**يُحيون** بدعة قد **أُميتت**»[٤].

يغلب على مقابلات الفعل بالفعل انسجام المتقابلين في الزمن وفي نوع المسند إليهما الفعلان وفي التجرد والزيادة... والناظر للخطب يلمح كثافة تواتر مقابلات الأفعال، و نجزم أنّها السّمة الغالبة على المقابلات. ولا تكاد تخلو خطبة من مقابلة الفعل بالفعل... وإذا حاولنا تأويل ذلك قلنا إنّ الخطيب يقابل بين فعله وفعل الآخر / الخصم... وتواتر الأفعال المتجانسة

---

١. الخطبة ٤.

٢. الخطبة ٥.

٣. الخطبة ٢٥.

٤. الخطبة ٢٢.

يعودون إليه »[١].

الفعل الماضي المثبت المسند إلى ضمير الغائب المفرد: « **أقرّ** بالبيعة وادّعى الوليجة »[٢].

فعل الأمر المسند إلى المخاطب المفرد: « **ارم** ببصرك أقصى القوم و**غُضّ** بصرك.. »[٣].

الفعل الماضي المثبت المسند إلى الغائب المفرد بمثله: « **سترني** عنكم جلباب الدّين و**بصرنيكم** صدق النية »[٤].

الفعل المضارع المجزوم بالشرط المسند إلى المتكلم المفرد بمثله: « **فإنّ أقل** يقولوا حرص على المُلك و**إنّ أسكتْ** يقولوا جزع من الموت »[٥].

الفعل المضارع المرفوع المسند إلى المتكلم المفرد بمثله: « **ما هي إلا الكوفة أقبضُها و أبسطُها** »[٦].

الفعل المضارع المرفوع المسند إلى الجمع الغائبين: « **وإنّهم ليطلبون** حقا

---

١. الخطبة ١٠.

٢. الخطبة ٨.

٣. الخطبة ١١.

٤. الخطبة ١٠.

٥. الخطبة ٨.

٦. الخطبة ١١.

اسم المفعول : نفس المهنج يتواصل مع المقابلات الواقعة في اسم المفعول ، إذ التجانس سمة المقابلات جميعاً : «ما زلت **مدفوعاً** عن حقي **مستأثراً** علي»[١].

أو قوله: «المقيم بين أظهركم **مرتهن** بذنبه والشاخص عنكم **متدارك** برحمة ربه»[٢].

الصفة المشبهة : لا تخرج عن المسار المحدّد فمقابلة الصفة بالصفة تغلب عليها اشتراكها في نفس الوزن «فعيل» يقول : «وإن القرآن ظاهره **أنيق** وباطنه **عميق**»[٣].

وفي المصادر يتجلّى التجانس في المقابلات أكثر إذ إنّها ذوات الأفعال فتواترت كالأفعال بكثافة. «بما قسم لها من زيادة أو **نقصان**»[٤]. «شهادة يوافق فيها السرّ **الإعلان**»[٥] . «أقر **بالبيعة** وادّعى **الوليجة**»[٦] ، «المقيم بين

---

١. الخطبة ٦.

٢. الخطبة ١٣.

٣. الخطبة ١٨.

٤. الخطبة ٢٣.

٥. الخطبة ٢٣.

٦. الخطبة ١٠٠.

المتجاذبة شكلاً والمتنافرة المتباعدة معنى يضفي على الخطب الحركة الدؤوبة والحيوية المطلقة وينفي عنها الجمود. فتنشأ الحجاجية.

ـ أما الأوزان المعتمدة في مقابلته المصدر بالمصدر أو اسم الفاعل باسم الفاعل أو الصفة المشبهة بالصفة المشبهة أو الاسم الجامد بالاسم الجامد، أو اسم التفضيل باسم التفضيل أو اسم المفعول باسم المفعول أو الجمع بالجمع. فقد تنوعت كثيراً بدون أن تكون الأولوية فيها واضحة لصيغة على أخرى.

اسم الفاعل / اسم الفاعل :

التجانس نفسه أو الانسجام الذي لحظناه في الأفعال يستمر في مقابلات اسم الفاعل من حيث الوزن : فإذا اشتُقّ الأوّل من الثلاثي على وزن فاعل لزمه الثاني في نفس الوزن : « وإنّ القرآن **ظاهره** أنيق **وباطنه** عميق »[1] ، وإذا عُرِّف الأوّل تبعه الثاني ضرورة « **وبالسامع المطيع العاصي** المريب »[2] ، أمّا إذا اشتق اسم الفاعل من المزيد كان المقابل له على نفس الوزن « ولكني أضرب **بالمقبل** على الحق **المدبر** عنه »[3].

---

١. الخطبة ١٨.

٢. الخطبة ٦.

٣. الخطبة ٦.

«.. قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا»[١].

ـ اسم التفضيل / اسم التفضيل

«لَحَرِيٌّ أَنْ يِمْقُتَهُ الأَقْرَبُ وَلاَ يَأْمَنَهُ الأَبْعَدُ»[٢].

ـ اسم المفعول / اسم المفعول

«مَا زِلْت مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ»[٣].

ـ الجمع / الجمع

«رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ»[٤].

والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو هل أن الخطيب كان واعياً بهذا الانسجام بين المتقابلات فعني به عنايةً فائقةً أم أنّ هذه المقابلات المتجانسة تدفّقت لضغط المعجم الحجاجي على الخطيب مما يجعله قليل التصرف في خطبه و لو تصرفا محدودا ؟ هذا الاستفهام يثير لدينا إشكالية فرعية تتمثل في البحث عن مدى تأثير اللحظة الحجاجية في جمالية الخطبة.

فهل أنّ الخطبة هي التي تُنشئ الحجاج أمّ أنّ الحجاجَ هو الذي يضفي على الخطبة جمالياتها. أم أنّهما يتجانسانِ ويتجاذبانِ ويتكاملانِ ؟ ويمكن

---

١. الخطبة ٦.

٢. الخطبة ١٣.

٣. الخطبة ٦.

٤. الخطبة ١٣.

أظهركم مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة ربه »[١].

ويمتد التجانس في المقابلات إلى درجات القيام بالأفعال كاسم التفضيل «أقربها من الماء وأبعدها من السماء »[٢] ، « الحمد لله الأوّل قبل كلّ أوّل والآخر بعد كلّ آخر »[٣] ، « لحريٌّ أن يمقته الأقرب ولا يأمنه الأبعد »[٤].

كما يعمد الخطيب إلى مقابلة الجمع بالجمع «ولا يصدرون عنه ولا يعودون إليه »[٥] ، والمفرد بالمفرد «من خالف الحق وخابط الغيّ »[٦] ، والمذكر بالمذكر : « وبالسامع المطيع العاصي المريب »[٧].

أمّا إذا أهملنا المشتقات فنجد الانسجام نفسه ظاهراً في مقابلات الاسم الجامد. ففي مقابلة الظّرف بالظّرف يحرص على التناغم بين عدد الأحرف كما في قوله :

---

١. الخطبة ١٣.

٢. الخطبة ١٣.

٣. الخطبة ١٣.

٤. الخطبة ١٠٠.

٥. الخطبة ١٩.

٦. الخطبة ١٠.

٧. الخطبة ٢٤.

في نصٍ ما ولا سيما النّص الخطابي الحربي لا يمكن رده إلى مؤثرات لغوية أو وحدات معجمية أو قوالب تركيبية ، وإنّما جوهر المقابلات السياقية أنّها تنشأ من أسلوب الخطيب وطرائقه الخاصة في أداء الدلالات والمقاصد.

والواقع أن الخطيب لا يستطيع دائماً أن يتخلص من استخدام قوالب من المقابلات السياقية الجاهزة السابقة لنصه وإن لم تكن من جنسه ، إن المقابلة السياقية أحيانا تقع بين الشيء ومقارب ضده فتنأى عن المألوف من المقابلات التي تقتضي الشيء وضده.والمقابلة السياقية نوعان :

ـ أوّلهما يستعمل لفظين لا يتضادان في الوضع اللّغوي ، وإنما يتقابلان في أبعاد الدلالة.ـ أمّا الثاني فيستعمل أكثر من لفظين يتضادّان في أبعاد الدلالة وحتى نحدّد دور المقابلة السياقية لابد من الاستعانة بالسياق لنتعرف تفاعله مع الرصيد اللّغوي.فما هي أهم أشكال المقابلة السياقية في النص الحربي عند علي بن أبي طالب؟

ـ أشكالها :

تعمل الكثير من الأساليب والصيغ والأشكال التعبيرية على إجلاء المقابلات السياقية في الخطاب الحربي ، إذ يوظّف الخطيب المقابلة السياقية في عدة مستويات: **الصيغ الصرفية ، و التراكيب ، و وظائف اللغة ، و الجُمل، والأمكنة ، والأزمنة.**

ملاحظة المخطوطة التالية التي توضّح السّؤال المطروح سَلفاً:

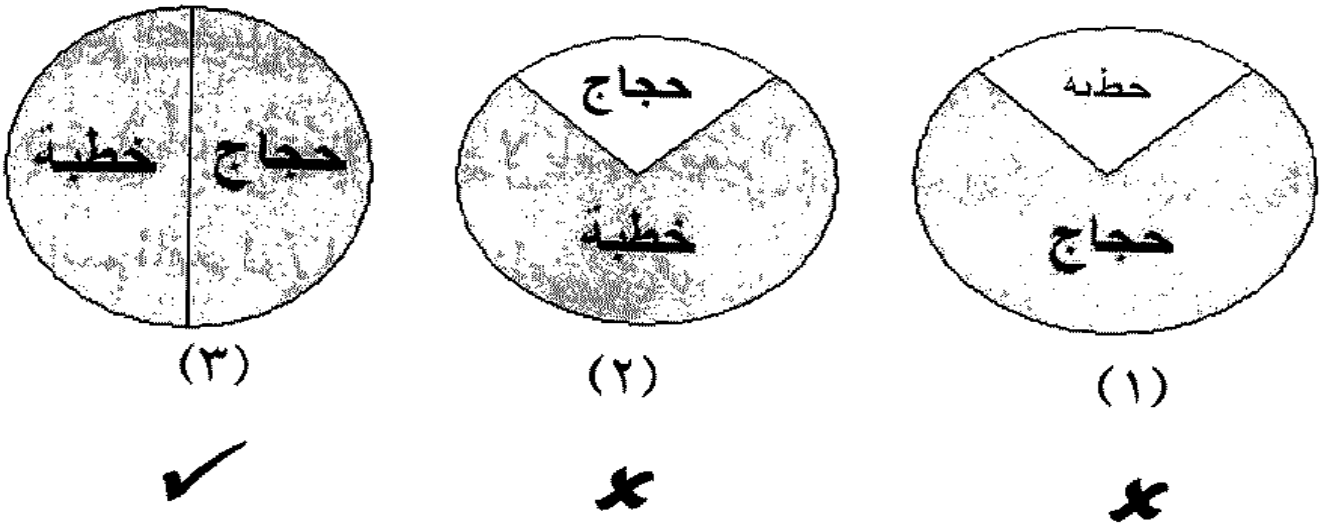

نتصر إلى الرأي القائل أنّ الحجاجَ لا يكون كذلك ، إذ طغى على الخطاب الذي يحمله كما أنّ المحسنات اللفظية لا يمكن أن تكوّنَ خطاباً مقنعاً إذّ انفردت بالقول، ولهذا لابد من تكاملهما حتى نحصل على خطبةٍ تحتوي الحجاجَ والحجاج يحتويها.

ب) المقابلة السياقية[1]:

وتسمى عند اللسانيين بالعلاقات التّوزيعيّة بمعنى أنّ التّقابل الحاصل

---

١. لقد عرف الطرابلسي المقابلة السياقية بقولة:

«كل مقابله كانت علاقة المتقابلين فيها توزيعية فتقابل الشقين في هذا النوع ليست مرجعه إلى هذا الوضع اللغوي وإنما إلى أسلوب الشاعر وحده. فالشاعر في اخراج المقابلة السياقية لايخضع لضغط المعجم المشترك بقدر مايستجيب لملكته الخاصة في الخلق الفني » ؛ محمد الهادي الطرابلسي، **خصائص الاسلوب في الشوقيات**، ص ١٠٢.

الاستخبار مناظرا للإخبار كقوله : [فقال لي ما قيمة هذا النعل # فقلت لا قيمه لها][1]. وغالبا ما يكشف من خلال هذا الأسلوب عن دواخله فترى الاستفهام بنبرة تقابل نبرة الإفهام كقوله : [أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا # وبالذل من العز خلفا][2].

*** وظائف اللغة :**

لئن غلب على اللغة وظيفتا التعبير والتأثير فقد جاءت هذه اللغة حافلة بمعنى التقابل. فأنشأت جدولين متعارضين : جدولا أوّل قطبه أنا الخطيب وجدولًا ثانيًا قطبه ذات الأخر. وقد اتسع مدى التعارض بموجب رمزية كلّ قطب. فالأنا في ثنايا الخطب ظلت على الدوام رمزا للطهر والصدق في القول والعمل في حين ظل الآخر على الدوام رمزا للتنكر والنفاق والغدر[3].

*** الجُمل :**

لقد امتد التقابل ليشمل نوع الجمل فاستوت الاسمية إلى جانب الفعلية

---

١. الخطبة ٣٣.

٢. الخطبة ٣٤.

٣. انظر ؛ الخطبة ٣٤.

*** الصّيغ الصّرفيّة :**

يمكن رصد العديد من الصيغ التي ينشئ الخطيب علاقات تقابل بين معانيها ودلالاتها رغم تماثلها من جهة الشّكل الصّرفي: **فإذا المصدر يقابل المصدر**[الغدر# صدق النيّةِ] / [الحق # الباطل][١].

*** اسم الفاعل ضد اسم الفاعل** [المجتمعة أبدانهم # المختلفة أهواؤهم][٢].

*** اسم الزمان ضد اسم الزمان** [المراح # المغدى][٣].

*** التراكيب:**

تدخل ضمن هذا النوع من المقابلات كلّ التراكيب المستخدمة في النحو وعلوم البلاغة. فلقد جاءت التراكيب الخبرية في النص الخطابي ضد التراكيب الإنشائية فأنشأت مقابلات بيّنة فإذا الإثبات يناظر النفي كقوله : [والله لأنا أوّل من صدقه # فلا أكون أوّل من كذب عليه][٤].وجاء

---

١. الخطبة ٤.

٢. الخطبة ٢٩.

٣. الخطبة ٣٢.

٤. الخطبة ٣٧.

الانطلاق وأخرى على نقيضها تمثل الاستقرار. هكذا تقابلت الأماكن حسا ومعنًى، ولهذا التقابل صلة وثيقة بوضع الخطيب من جهة وبوضع المخاطب من جهة أخرى.

فالتقابل بين الطرفين أفضى إلى التقابل على مستوى الأمكنة كقوله : [عرفتني بالحجاز # وأنكرتني بالعراق][1] .

* الأزمنة :

لم تنفصل الأزمنة عن الأمكنة فكانت صورة منها في تعميق المقابلة السياقية إذ تنتشر في الخطبة أزمنة متعارضة فجاءت على نوعين: أزمنة انطلاق وأزمنة وصول.

١ـ أزمنة انطلاق: وذلك على منوال الأمكنة نظرا للصلة الوثيقة بين المكان والزمان في مسيرة الخطيب، بل إننا نجد في الخطبة تواترًا لأجزاء زمنية ما انفكت تميز الخطبة « [كالليل والنهار] ، [وأيام الحر وأيام القر] [2] .

٢ـ أزمنة وصول :

كما نجد أزمنة غير مقيدة وقد خضعت بدورها للتقابل فالخطيب يعرض

---

١. انظر ؛ الخطبة ٣١.

٢. انظر ؛ الخطبة ٢٧.

بل إنّ التقابل مسّ عناصر الجملة نفسها كقوله : [الذليل عندي عزيز حتى...][1] .

* الأمكنة :

لم تكن الأمكنة في الخطبة الحربية إلا صورة أخرى للتقابل / للتعارض فعمقت بدورها ظاهرة التقابل السياقي ، ورسخت معنى التضاد. فانصرفت إلى أمكنة مادية حسية وأخرى معنوية مجردة ، أو أمكنة تعرف من الخارج وأخرى تعرف من الداخل.

ومن أمثلة الأمكنة الحسية نجد المدن أساسًا: العراق، الحجاز ، الشام، البصرة، الكوفة ، الأنبار، اليمن.

وأشهر المواقع المعنوية : العقل والقلب بل إنّ الخطيب/ الإمام عليّا يمعن في إجراء التقابل فيجعل تلك الأمكنة حافلة بالتعارض.

فأماكن الداخل خضعت لمعنى الصفاء عند المتكلم وحملت معنى الغدر عند الآخر ، كما حملت هذه الأماكن معنى الحكمة عند الخطيب والجهل عند الآخر. فإذا القلب قلبان وإذا العقل عقلان.

والأماكن الخارجية بدورها حافظت على هذا المنحى فكانت أماكن تمثل

---

١. انظر ؛ الخطبة ٣٧.

لفظ استوى إلى جانب ضده ممّا يكثف من المقابلات السّياقيّة. فالتقابل مسّ أبنية الخطبة ودلالاتها.

* **جهة المعنى:** ويمكن أن نرصد التوتر من جهة المعنى في حقلين دلاليين متباعدين شديدي التباعد بحيث يحتفظ كلّ عنصر من زوجي المقابلة بخصائصه فلا يتماس بالآخر إلا بنفيه. فتظل ماهية كلّ طرف بارزة أشد البروز ومتمايزة أظهر التمايز. ومن هذه الحقول الدلالية المتوافرة في النص الخطابي الحربي:

١- الحق والباطل.

٢- الخطأ والصواب.

٣- الهداية والضلال.

ويمكن رد هذه الأزواج المتناظرة إلى حلقتين أساسيتين يختصرانها هما: المعرفة والدين.

ولعل شيوع هذا الزوج «المعرفة / الدين» يظل مرتبطًا بالانقسام الحاد الذي اجتاح الخطبة الحربية ووزعها إلى نصّين : نص تهيمن عليه ذات الخطيب فتتوافر فيه معاني الهداية والصواب والحق ، ونص تهيمن عليه ذات الآخر: المخاطب أو الغائب وتتوافر فيه معاني الباطل والخطأ

أحيانا وضع الإنسان زمن النبوة، دون تحديد لتفاصيل ذلك الزمن لأنّ ما يهمّه هو ما رافق ذلك الزمن من قيم ومبادئ، ويقارنها بما طرأ في زمنه هو من ردة وانحراف.[ولقد كنا أيام رسول الله...]١ .

ثانيا ـ معانيها ودلالتها

لقد جاءت المقابلات السياقية في الخطبة الحربية شديدة الاتصال بمقاصد الخطيب إذ عبرت عن وضعه النفسي والمادي وأجلت دواخله فاستبطنت وجدانه فانصرفت إلى أمرين : التوتر٢ والحركة٣.

أ- معنى التوتر

لعل المتأمل في الخطبة العلوية الحربية بوجه عام، وفي مواضع المقابلات السياقية منها على وجه الخصوص يتبين الحضور المكثف لمعنى التوتر باعتباره الشعور الألصق بشخصية المتكلم الخطيب الذي عكس توترا لمناحي الحياة ولاسيما في بعدها السياسي. لقد شق معنى التوتر الخطبة الحربية وداخلها من جهات كثيرة من أبرزها: جهة المبنى وجهة المعنى.

* **جهة المبنى**: تواتر المقابلات اللفظية ولاسيما العناصر المكونة لها، فكلّ

---

١. انظر ؛ الخطبة ٥٦.

٢. ونعني بالتوتر التآلف أو التنافر بين المتقابلين أثناء تلك الحركة.

٣. سنعني بالحركة نزعة المتقابلين إلى التباعد أو نزعتيهما إلى التقارب.

وأرحام النساء يندرجان ضمن علاقة السبب بالمسبب.

هكذا تهيمن الحركة على المقابلات السياقية وتتعاضد مع معنى التوتر فيشكلان معا (التوتر والحركة) أبعاد المقابلة السياقية في الخطبة الحربية.

والضلال[١].

ب ـ معنى الحركة

إنّ النص الخطابي بموجب شيوع أسلوب التقابل وانتشار معنى التوتر يولد حتمًا معنى آخر: هو معنى الحركة وهي حركة تتميز بالتواصل وتتصف بالتفاعل ، ولعل ذلك نشأ بموجب علاقة التبعية والتكامل بين الأزواج المتقابلة، تلك الأزواج التي حرص الخطيب على بناء نصه على وفقها. وتظل الحركة قائمة بين جملة من الأزواج ليست في الحقيقة متقابلة على الدوام بالمعنى البلاغي الصارم.

فالخطيب ينشئ على سبيل المثال معنى الحركة بين (المجتني الزراع) / (الطفل الأم) / (أصلاب الرجال أرحام النساء)[٢].

وهذه الأزواج يظلّ بعضها متصلا ببعض طردا و انعكاسًا كما أن بعضها منشد إلى بعض وفق حركة ذهاب وإياب. فالزرع والجني يؤسسان معنى التعاقي في الحركة، فكلّ زرع يعقبه جني. والطفل والأم يندرجان ضمن علاقة الأصل والفرع فالطفل لا محالة فرع من أمه. وأصلاب الرجال

---

١. انظر ؛ الخطبة ٥٨ و ٦٨.

٢. الخطبة ١٢.

لدى الخطيب أن يأتي «المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتمّ له، وأحرى بأن يكسبه نُبلاً، ويُظهر فيه مزيّة»[١].

فالكنايات في خطب علي بن أبي طالب بمظهرها الأبرز وهو التلويح حملت دلالات أصابت ذهن السامع/ المتلقي فور خروجها من فم المتكلم/ الخطيب، فلم تسمح بتأنّي الفهم ولا تعثّره، وهذا ما يؤدي إلى تحقيق الاقتناع الذي هو عقلي دائمًا وأساس الإذعان وغاية الحجاج، ويُعرّف الحجاج الاقتناعي بأنّه «حجاج يرمي إلى أن يُسلّم به كلّ ذي عقل»[٢].

٢- إنّ درس الصورة الكنائية في المدونة العلوية قد أفضى بنا إلى معرفة كنايات على مستوى من الجدة. من مثل قوله:

«مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ! وَاللهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، وَلاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ»[٣].

---

١. الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٣٥.

٢. انظر: مقال عبدالله صولة المعنون «الحجاج: أطُرُهُ ومنطلقاته وتقنّياته من خلال» مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة «لبرلمان وتيتيكاه»، الوارد في مصنّف أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إعداد فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمّادي صمّود، سلسلة آداب، كلية الآداب منوبة، ص٣٤٣.

٣. الخطبة ٥٩.

خاتمة الفصل الثالث

اقتصرنا في هذا الفصل على الصور القائمة على علاقات التداعي ، ولقد درسناها من زاويتين : التداعي التوافقي ، والتداعي التقابلي ، وانتهينا إلى النتائج التالية :

١- إن أهم خاصية من الخصائص التي تبيّناها في الخطاب الحربي حينما درسنا الصور القائمة على تداعي المدلولات في الحقيقة ، هي الكناية ، كان أبرز مظهرٍ لها هو التلويح الذي شكل ظاهرة أسلوبية تناولناها بالدراسة والتحليل فوجدنا أنّ التلويح عند علي بن أبي طالب في خطبه الحربية يقوم على درجتين ، وهي كنايات تناسبت والمقام الحربي الذي يتطلّب فضاءات قريبة تمكّن الخطيب من التأثير في جمهور المخاطبين من خلال كنايات لا يعسر عليهم فهمها ولا يصيبهم السّأم من سماعها ، والخطبة بعد ذلك هي نصٌّ شفويٌّ ذات مقصد آني لا يسمح بطول تداعي الأفكار وكأنّما شرطها أن تكون كلامًا مسترسلاً وفوريًّا ومفهومًا ، وشرط البلاغة

الاستعارة إقناعًا وتأثيرًا »[١] .

وتلك الاستعارات المجازية لا تكون إلا حاملة لمعنى واحد ، فلا تسمح بتداعي الأفكار بشكل مخلّ بمقاصد الإدراك والتأثير والإقناع. ولعل الأمر يعود إلى مادتها التمثيلية التي يسهل على المخاطبين والجمهور قبولها والتسليم بها ، وهذه المادة التمثيلية « ليست معلومة فحسب ، وإنما هي مادة انسلكت بواسطة الكلام في التقاليد الثقافية التي لأصحابه »[٢]، أو قُلْ استقرت في المخيال الجماعي فهي معلومة عند الجمهور ، وهي طاقة قوية للحجاج ، لذلك يلجأ إليها الخطيب لإحداث التأثير والإقناع في جمهور المخاطبين ، وهي بالفعل من أكثر ضروب الحجاج إقناعاً وتأثيرًا ؛ لأنّها مأخوذة ـ كذلك ـ من الفضاءات القريبة المعلومة عند الخطيب والمخاطبين، والتي تناسب مقامات الحرب والنزال.

وأما الصور القائمة على التداعي التقابلي فقد درسنا فيها أنواع المقابلات: المقابلة اللغوية، والمقابلة السياقية.وأما دلالات المقابلة فقد حللنا فيها الحركة، والتوتر.

---

١. انظر : مقال عبدالله صولة المعنون « الحجاج : أطُرُهُ ومنطلقاته وتقنّياته من خلال » مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة « لبرلمان وتيتيكاه » ، الوارد في مصنّف أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إعداد فريق البحث في البلاغة والحجاج ، إشراف حمّادي صمّود ، سلسلة آداب ، كلية الآداب منوبة ، ص٣٤٣.

٢. انظر : مقال عبدالله صوله ، م.ن. ، ص٣٤٣.

ولاحظنا الإمام عليّا كيف يتخطى الصورة الكنائية المفردة إلى اللوحات المتعددة المتنوعة ، والـتي تدعو المتقبل إلى التأمل في نوع العلاقة الجامعة بينهما ، سواءٌ كانت علاقة تقارب أو تنافر[١] .

فهذه الصورة التي كنى بها عن النطفة بالماء يعني (ماء النهر) ولعلها من ابتكارات علي بن أبي طالب.

وقد لاحظنا تفاوتًـا في صـور الكنايـة مـن حيـث درجـة حـضورها في الخطاب الحربي وغيابها، فالصدارة كانت للكناية عن صفة ثم تلتها الكنايـة عن موصوف أما الكناية عن نسبة فلم نجد لها حضورًا.

٣- استحضر على بن أبي طالب في خطبه الحربية بعض الصور القائمة على تداعي المدلولات في المجاز ، والتي شاع استعمالها بين النّاس حتى غاب عنهم أنّها من المجاز ، ومن هذه الصور قوله :

« فَلَمَّا رَأَى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الكَبْت ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلامُ مُلقِيا جِرَانَهُ »[٢] .

ولعل هذا ما أطلق عليه برلمان وتيتكاه تسمية الاستعارات النائمة أو العبارات ذات المعنى الاستعاري وهي في رأيهما «مـن أكثر ضروب

---

١. انظر البحث أعلاه ص ١٨٧ ـ ١٩٠ .

٢. الخطبة ٥٦.

الفصل الرّابع

مصادر الصّور

ويمكننا أن نخلص إلى النتائج الآتية:

أ ـ المقابلة اللغوية لا قيمة لها إلا داخل المقابلة المعنوية، إذ الخطاب ينعقد على صورة متعددة العناصر هي أشبه ما يكون باستعارة تمثيلية أو تشبيه تمثيلي أي أنّ الصورة منتزعة من متعدد و ليست مجرد لفظ معزول لأنّ الوظائف الحجاجية لا يؤديها اللفظ المعزول وإنّما تنهض بها صورة متكاملة لها منطق معلوم ومسار خاص ونهاية محتومة مقدرة من قبل المحاجج مسبقا. فالحجاج يخضع لسيرورة، واللفظ عنصر جزئي داخل ذلك المسار. والتداعي يمثل عمود الصورة مما يقلل من دور اللفظ.

ب ـ أن معجم الطباق ينقسم إلى قسمين: معجم ديني مستمد من القرآن والقصص الديني. ومعجم معرفي مستمد من العلم والمعارف البشرية في الغالب.

ج ـ يمكننا حصر الصور القائمة على التقابل في حقلي: الحق والباطل ، والصواب والخطأ.

د ـ أن لغة المقابلة اللفظية تعبيرية تأثيرية[1] ، فالتعبيرية محورها أنا المخاطب وتؤسس مفهومي البراءة والنمذجة، والتأثيرية محورها الآخر وتؤسس مفهومي الخطأ والضلال.

---

١. راجع في هذا الصد وظائف الخطاب لرومان جاكوبسن إذ « الوظائف الانفعالية والافتاعية والتعاطفية واللغوية الشارحة والمرجعية والشعرية »؛ نظرية التأويل، ترجمة: سعيد الغانمي، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣، ص٥٦.

الفصل الرّابع

مصادر الصّور

تمهيد

لقد تبيّن لنا بعد استقرائنا لمصادر التصوير في خطب المدونة العلوية الحربية أنّ شبه الجزيرة العربية ، والعراق هي البيئة البارزة التي تركت أثرها في خطبه الحربية ، وكان لعناصرها التوظيف الأكثر والأبلغ ، وهي ملهمة علي بن أبي طالب.

وتتوقف الغاية من هذا الفصل على البحث في المنظار الذي ينظر منه الإمام علي إلى الدنيا عموماً وإلى الحرب خصوصاً ، وكذلك على تحسّس خصائص المثل العليا في التصوير عنده.

مصادر الصور:

يتركز درس مصادر الصور على «الدال من حيث نوعه وبإرجاعه إلى

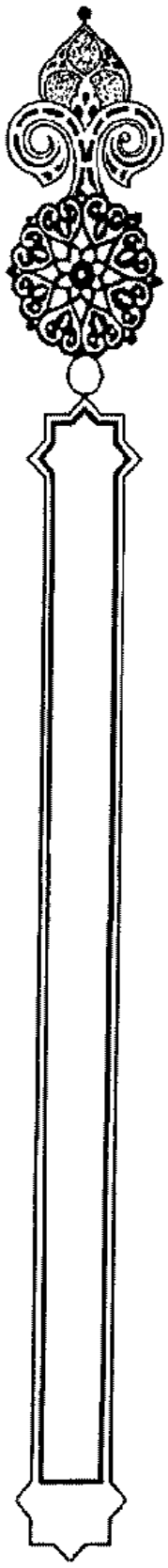

الفصل الرّابع

مصادر الصّور

تمهيد

مصادر الصور

المبحث الأول : المصادر التجريبية :

أ- المستوى الأوّل : عالم الإنسان.

ب- المستوى الثاني : عالم الحيوان.

جـ- المستوى الثالث : عالم الطبيعة.

المبحث الثاني : المصادر الثقافية :

أ- الجانب الأوّل : الدّين والأخلاق.

ب- الجانب الثاني : الأدب العربي.

جـ- الجانب الثالث : التاريخ.

خاتمة الفصل الرّابع

المبحث الأوّل: المصادر التجريبية

ونعني بها الإعراب عن معاناة علي بن أبي طالب ومعايشته للجند والحرب ، وكيف نقل كل ذلك إلى المتلقّي.

أ- المستوى الأوّل عالم الإنسان:

إنّ الإنسان هو أكبر مصادر التصوير عند علي في الخطاب الحربي ، ويمكن تقسيم الكلام في ذلك إلى قسمين : عالم الإنسان الخارجي، وعالم الإنسان الدّاخلي.

١ - القسم الأول : عالم الإنسان الخارجي

(١) - الصفات والأحوال :

كثيراً ما اعتمد علي بن أبي طالب هيئة الإنسان[١] في التّصوير.

---

١. ونعني بالهيئة ما عناه الطرابلسي « السّنّ التي يكون عليها فتقصر عليه وظيفة معيّنة ، أو الجنس الخاص الذي يخوّل له تصرفات خاصة ، أو العلاقة التي تكون له بغيره من الناس فتحتّم عليه سيرة محدودة... » ؛ محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص ١٨١.

الحقل الدلالي الاصطلاحي الذي يشترك في الانتماء إليه مع غيره من الدوال ذات الطبيعة الواحدة»[١].

ولقد تنوّعت مصادر المدونة العلوية الحربية في التصوير بيد أنهّا كانت منضبطة في محورين اثنين وفي ثناياهما مستويات مختلفة.

---

١. محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص١٦٩.

المجاهد الشجاع الذي لا يهاب الموت[١]، كما شبه الرّائح إلى الله بالظمآن الذي يرد الماء في قوله: «الرَّائِحُ إِلى الله كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ. الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي»[٢].

(٢) ـ أعضاء الإنسان :

لقد أَمَدَّتْ أعضاء الإنسانِ عليَّ بن أبي طالب بالصور المناسبة للمقام. فمن ذلك تشبيهه انفراج أعوانه عنه بانفراج الرأس عن البدن في قوله: «وايْمُ الله إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى ، واسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ»[٣].

أو تشبيه قلوب أصحابه بأنها مألوسة (أي المخلوطة بمس الجنون) : «فكأن قلوبكم مألوسة[٤] ، فأنتم لا تعقلون»[٥].

وصوّر في الخطبة نفسها دعوته إلى جهاد العدو ، بدوران الأعين من الموت عند أصحابه : «إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ ، دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ ،

---

١. انظر: الخطبة ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٥.

٢. الخطبة ١٢٢.

٣. الخطبة ٣٤.

٤. رجل مألوس : ذاهب العقل والبدن ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٦/ ٧.

٥. الخطبة ٣٤.

ومن ذلك تشبيه أهل العراق بالمرأة الحامل في قوله:

«أَمّا بَعْدُ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ؛ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ ، حَمَلَتْ فَلَمّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَمَاتَ قَيِّمُهَا ، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا ، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا»[١].

أو تشبيه الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم بالطبيب في قوله:

«طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ[٢]، يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ ، وآذَانٍ صُمٍّ ، وأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ»[٣].

ويدخل في الهيئة عندنا ما يكون للإنسان من وضعيات مختلفة في حياته ، كصورة الفارس العربي قبل الحرب وفى أثنائها ، فإنّه مجاهد في سبيل الله. وقد كان لصورة الفارس الشجاع حظّ ذو بال في صور علي بن أبي طالب. ففي وصيته لابنه محمّد التي جمع فيها «جميع آداب الحروب في كلماتٍ قصار، والتي أولها الإعراض عن الإدبار تشبيهاً بالجبال ، فإنّها لا تزول عن مكانها»[٤] فقوله: «تَزُولُ الجِبَالُ وَلاَ تَزُلْ»[٥] ، وخطبه الحربية تصوّر الفارس

---

١. الخطبة ٧٠.

٢. الميسَمُ: هو المكواة أو الشيء الذي يُوسَم به الدوابّ ، والجمع مواسِمُ ومياسِمُ؛ ابن المنظور ، لسان العرب ، ١٢/ ٦٣٦.

٣. الخطبة ١٠٧.

٤. البيهقي الأنصاري، معارج نهج البلاغة، تحقيق أسعد الطيب، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، لا.ت ١/ ٢٥١.

٥. الخطبة ١١.

الحروب التي خاضها ، كصورة الصم التي اتخذها لذوي الأسماع من أهل الكوفة[١] وكذلك البكم لذوي الكلام[٢] ، أو العمى لذوي الأبصار[٣] ، أو صورة الداء الذي وصفه بالدوي المؤلم الذي مَلَّتْ الأطباء منه ، والذي كان له أكبر الحظوظ في خطبه الحربية ، وأكثر ما كان يستخدمه في أصحابه وأعوانه وأنصاره المتقاعسين عن الحرب ، فقال في تشبيه أصحابه بالداء:

« أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي ، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ ضَلْعَهَا مَعَهَا ، اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ ، وَكَلَّتِ النَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ »[٤].

أو صورة طلحة الذي يركب الصعب ويستهين ، ويزعم أنه ذلول سهل، والزبير صاحب العريكة اللينة في قوله:

« لاَ تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ ، عَاقِصاً قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ ، وَلَكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً ، فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: « عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا »[٥].

---

١. الخطبة ٩٦.

٢. الخطبة ٩٦.

٣. الخطبة ٩٦.

٤. الخطبة ١٢٠.

٥. الخطبة ٣١.

كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ ، وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ »[١].

أو تلك الاستعارة اللطيفة والتشبيه الرائع لجمجمة محمّد بن علي بن أبى طالب بالآلة التي تُستَعار للانتفاع بها في ميادين الحروب ثم ترد: « أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ »[٢].

وتشبيه أصحاب محمّد الذين كانوا لطول سجودهم بين يدي الله كأنّ بين أعينهم رُكَبَ المعزى[٣] في قوله: « لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً ، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ ، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى ، مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ.. »[٤].

(٣) ـ أعراض الإنسان :

ومن أعراض الإنسان ما ألهم الإمام عليّا صوره المناسبة لمقامات

---

١. الخطبة ٣٤.

٢. الخطبة ١١.

٣. رُكَب: جمع ركبة موصل الساق من الرجل بالفخذ. وإنّما خصّ ركب المعزى ليبوستها واضطرابها من كثرة الحركة ، أي أنّهم لطول سجودهم يطول سهودهم ، وكأنّ بين أعينهم جسماً خشناً يدور فيها فيمنعهم عن النوم والاستراحة ؛ محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١/ ٢١٨.

٤. الخطبة ٩٦.

الخوف ، ولنأخذ هذا التشبيه التمثيلي على سبيل المثال :

« ... ثم خرج إليّ منكم جنيد ، متذائبٌ ، ضعيف ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ »[1].

لقد شُبهت علاقة الجنود بالإمام علي وهم خارجون إليه بعلاقتهم بالموت وهم يساقون إليه. فهي ـ بلا شك ـ علاقة خوف وتراجع.

ونذهب إلى أبعد من ذلك في علاقة المشابهة في هذه الصورة. فالصورة لها موضوع ومحمول ، فموضوعها (خروج الجند) ومحمولها (يساقون إلى الموت).

فالتأمل في طبيعة علاقة المشابهة بين الموضوع والمحمول تفضي إلى القضية التالية :

أجزاء القضية[2]

الطرف الأوّل : المحكوم عليه ، خرج (الموضوع).

الطرف الثاني : المحكوم به ، يساقون (المحمول).

---

١. الخطبة ٣٩.

٢. يقول المظفر : « إنّ كلّ قضية لها طرفان ونسبة ، وعليه ففي كل قضية ثلاثة أجزاء : الطرف الأوّل : المحكوم عليه ويسمى (موضوعا) ، والطرف الثاني : المحكوم به ويسمى (محمولاً) والنسبة: والدال عليها ويسمى (رابطةً) » ؛ المظفر ، المنطق ، ط٢ دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ١٩٨٥ ، ص١٣٣.

(٤) ـ الحياة والموت :

من مصادر علي بن أبي طالب في التصوير الحياة والموت ، وصور الموت كثيرة ، أما صور الحياة فهي قليلة.

وقد صوّر الإمام علي الموت وما اتصل به بالحرب والسلم بصورة محسوسة وتتسم بالطرافة ، فالموت مكروه عند الجميع، ولكنّه عند علي بن أبي طالب أحلى من العسل ، وهو آنس به من الطفل بثدي أمه ، كقوله :

«وَاللهِ لاَبْنُ أَبِي طَالِبِ انَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ»[١].

وقوله في موطن ثان :

«إِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لاَقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ»[٢].

وهذا تشبيه صوّر فيه الموت بحيوان مخوف والإمام لا يبالي بدخوله إليه ، أو بخروج الموت إليه :

«أَمَّا قَوْلُكُمْ : أَكُلُّ ذَلِكَ كَرَاهِيةُ الْمَوْتِ ؟ فَوَاللهِ لاَ أُبَالِي أَدَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ»[٣].

ولئن كان عليّ بن أبي طالب لا يخاف الموت ، فإن أصحابه يخافونه أشد

---

١. الخطبة ٥.

٢. الخطبة ١٧٨.

٣. الخطبة ٥٥.

الجند من الموت.

وعلى هذا النّحو، يتأكد لنا أنّ علاقة التشابه بين موضوعها ومحمولها ، قد أفادت ما تفيده الاستعارة من التمثيل من جانبين : إثبات المعاني في نفوس المخاطبين ، والتأثير في المتلقين.

وفي تشبيهه أهل العراق بالمرأة الحامل التي ما إنْ أتمّت أشهر حملها ، ألقت ولدها بغير الدافع الطبيعي هالكاً ، وقد مات زوجها ، وطال ذلّها بفقده ، حتى إذا هلكت من غير ولد ، ورثها الأباعد ، فهو يقول إنّ أصحابه لما شارفوا على استئصال أهل الشام ، وبدت لهم علامات الظفر بهم جنحوا إلى السلم ، إجابة لطلب التحكيم ، فكان مثلهم مثل المرأة الحامل :

«أَمّا بَعْدُ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ؛ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَمَاتَ قَيِّمُهَا ، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا ، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا »[1].

واستعار لفظ القسي والنبال لمرامي الأمراض وأسبابها التي هي نبال الموت وهي صورة الصيد المأخوذة من الفضاء التصويري البدوي / الرّعوي في قوله :

«رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ »[2].

---

١. الخطبة ٧٠.

٢. الخطبة ١٨٠.

النسبة : الدال عليها ، كأنما (رابطة).

∴ خرج ← يساق + ون

A ـ جنيد متذائب ضعيف ← C ـ يساق (ون).

B ـ إلى (إلى الإمام علي) ← D ـ إلى الموت.

ويمكننا أن نستنتج أن (A) هو (D) ، ولكن (B) ليس (D).

ورغم علاقة التشابه فإنّ بين (A) و (D) اختلافاً مرده إلى علاقتهما كلّ واحد بفعله ، فالفعلان (خرج) و (يساق) يتفقان في الدلالة على أن هناك حركة تنقل جسدية من مكان لآخر ، والفعل (خرج) فعل مبني للمعلوم يدل على أن (جنيد ، متذائب ، ضعيف) هو الفاعل فعلاً إراديّاً ، بينما فعل (يساق) مبني للمجهول ويدل بهذه الصيغة على أن علاقته بالمسند إليه قسريّة.

فالإمام علي يصف حالة الجند الذين استجابوا لندائه حينما دعاهم إلى الجهاد، وكانت الحالة تنم عن خوفٍ شديد ، فخروجهم لم يكن خروجاً إراديّاً وإنّما كان يدل على أنهم مدفوعون إليه دفعاً. ثم إن دعوة علي بن أبي طالب إلى الجهاد فيها احتمال الموت ، وبهذا يصبح الخروج استجابة للجهاد فالموت.

وهكذا يكون معنى (خرج) هو عينه معنى (يساقون) إذ في كليهما خوف

والرمح والسنان[١] ، والرّاية[٢] ، والنبال[٣]، والسهم[٤] ، ولكن أكثرها تواتراً على الإطلاق هو السيف.

ومن ذلك استعارته لفظ سيف العاجلة للحياة ، ولفظ سيف الآخرة للموت في قوله:

«وَايْمُ اللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ العَاجِلَةِ لاَ تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الآخِرَةِ»[٥].

وقد جمع الإمام علي بين السيف والدرع في الخطبة التالية :

«أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ ، فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى ، وَدِرْعُ اللهِ الْحَصِينَةُ ، وَجُنَّتُهُ الوَثِيقَةُ (...) فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ»[٦].

فقد شبه الجهاد بدرع الله الحصينة تشبيهاً بليغاً ، ثم حكى صور أعذارهم في التخلف عن أمره بالجهاد وهي تارة شدة الحر وتارة شدة القرّ ، وقد صورها بالجيشين العظيمين اللذين يطاردان أصحابه وهم يفرون

---

١. انظر مثلا : الخطبة ١٠٦ ، ١٢٢.

٢. انظر على سبيل المثال : الخطبة ١٢٢.

٣. أنظر على سبيل المثال : الخطبة ١٨٠.

٤. انظر مثلا : الخطبة ٢٩.

٥. الخطبة ١٢٢.

٦. الخطبة ٢٧.

(٥) ـ الآلات والأدوات

لقد كانت النقاط السابقة مخصوصةً لدراسة ما اتصل بالإنسان وتعلّق به مادياً أو معنوياً ، واتخذه الإمام علي صورا لموصوفات ، ولاحظنا ما تتوقف عليه هذه الصور المنتزعة ممّا ركّب الله في الإنسان أو علّق به.

ونصرف العناية في هذه النقطة من الدراسة إلى صنف ثان من الأشياء المخصوصة بالإنسان يشمل ما صنع من آلات وأدوات اتخذها في الحرب ، وكذلك الآلات والأدوات التي اختارها الإمام علي فيما تتصل بالحياة المنزلية.

وهذا التخطيط لا يعيننا كثيراً في معرفة مدى اتجاه الإمام علي إلى هذا الصنف من الآلات والأدوات. و لذا سوف نخضع الصور في هذه النقطة إلى مجموعتين نرتبهما اعتماداً على أهمية ميادين الحياة والحرب التي اتجه إليها علي بن أبي طالب.

ـ آلات الحرب

هناك نسبة كبيرة من أنواع الصور في خطب علي بن أبي طالب الحربية المتصلة بجو الحرب ، وقد تنوّعت أدوات الحرب المعتمدة ، فكان منها الدرع والقنا[1]

---

١. انظر مثلا : الخطبة ٣٣ ، ١٢٢ .

الحرب باستعارة الرمي بالسهم الموصوف لزيادة الشبه وهي عدم انبعاثهم عن أمره ، وتجاوزهم أوطانهم كالرمي بالسهم الذي لا فَوَقَ له ولا نصل فإنه لا يكاد يتجاور عن القوس مسافة ، وهي من لطائف ملاحظات المشابهة والاستعارة عنها »[1].

ـ أدوات البيت :

الملاحظ أن البيت الداخلي لم يوظفه الإمام علي كثيرا ، فلم نلاحظ إلا صور الرحى وقطبها[2] قد استهوته فصورها في ثلاثة سياقات حربية هي على النحو التالي :

ـ قال في تشبيه الخليفة بقطب الرَّحى حينما استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه :

« فَكُنْ قُطْباً ، واسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ ، انْتَفَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقطَارِهَا »[3].

فإضافة القطب إلى الرَّحى يعنّي بقاء الخليفة في مركزه الذي يحفظه

---

١. ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٢/ ٥٢ ـ ٥٣.

٢. الرحى : معروفة التي يطحن بها ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٤/ ٣١٢.

٣. الخطبة ١٤٤.

منهما، ثم أقسم أنهم من القتل والمجالدة بالسيف أفرّ.

وجملة ما اعتمد علي بن أبي طالب من أدوات الحرب وآلاتها يتصل بجو الحرب التي تقوم على تقابل الجيشين واحتكاكهما ، وأكثرها يصوّر حالة جنده المتخاذلين عن نصرته في الحرب بأدوات الحرب وآلاتها كما في قوله :

«الْمَغْرُورُ وَاللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ ، ومَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللهِ بِالسَّهْمِ الأَخْيَبِ، وَمَن رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ!»[1].

ويقول ابن ميثم البحراني : «وقد شبه نفسه وخصومه باللاعبين بالميسر ولاحظ شبه حصولهم في حقّه بخروج أحد السهام الخائبة التي لا غنم لها (...) ، فلأجل ملاحظة هذا الشبه استعار لهم لفظ السهم بصفة الأخيب ، واطلاق الفوز هنا مجاز في حصولهم له من باب إطلاق اسم أحد الضدّين على الآخر كتسمية السيئة جزاء. كذلك لاحظ المشابهة بين رجال الحرب وبين السهام في كون كل منهما عدّة للحرب ودفع العدوّ ولاحظها أيضا بين إرسالهم في الحرب وبين الرمي بالسهام ، فلأجل ذلك استعار أوصاف السهم من الأفوق والناصل ، واستعار لفظ الرمي لمقاتلته بهم ، ثمّ خصصهم بأردأ أوصاف السهم التي يبطل معها فائدته لمشابهتهم ذلك السهم في عدم الانتفاع بهم في الحرب ، وكأنّه أيضا خصّص بعثه لهم إلى

---

١. الخطبة ٢٩.

فهنا تعبير دقيق عمّا يجول في نفسه إزاء الموقف من الفتنة التي سيحدثها الأمويون ، وشرح أبعادها وتبيان خطورتها ، وإنّها انبثقت من مركزها الثابت (الشام) لتعم كل المعمورة بالظلم والدمار.

٢- القسم الثاني: عالم الإنسان الداخلي

ويتركز على عنصرين : القلب والصدر :

(١) – القلب

إنّ الصور التي تقوم على عالم الإنسان الداخلي تصف أعماق الأديب وما ينطبع فيها وكذلك نفوس الآخرين.

وصف الإمام عليّ القلب كثيراً في خطبه الحربية ، وأكثر ما تناول الوصف عنده قلبه هو ، ولم نجد الإمام عليًا وصف قلبه هو إلا في سياقات الغضب والغيظ الشديد ، ومن ذلك قوله يشبّه قلبه بالوعاء المملوء بالقيح:

«قَاتَلَكُمْ اللهُ ! لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً»[1].

أما وصفه القلب بإضافته إلى غيره فلم نره متقيّداً بنوعٍ خاصٍ من ألوان السياق ، ومن ذلك تشبيهه قلوب أصحابه بالمألوسة (المخلوطة بمس الجنون) :

---

١. الخطبة ٢٧.

كرمز للدولة الإسلامية ، لأنّه إن شخص عن المركز وقتل سينعكس ذلك على معنويات الجند ، ويقوي شكيمة الأعداء ضده ، وضد دولته ، وقتله لا لشخصه بل لموقعه كخليفة ورمز للدولة.

ـ وفي موطنٍ ثانٍ يشبه نفسه بقطب الرّحى التي تدور عليه وهو بمكانه :

«إِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى ، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي ، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا ، وَاضْطَرَبَ ثِفَالُهَا»[1].

وقد عنى بالرّحى هنا الدولة ، ومكانته فيها باعتباره القطب الذي ترتكز عليه في دورانها كقائم بشؤون الدولة ، ووجوده في العاصمة أمر مطلوب لمراقبة ومتابعة كل صغيرة وكبيرة فيها ، وإنجاز كلّ ما تحتاجه الدولة من مهام عسكرية واقتصادية واجتماعية... ، وليس من مهامه الخروج في كتائب صغيرة لرد الغارات الصغيرة التي يشنها معاوية على أطراف العراق.

ـ وأحيانا يتحدث عن القطب دون الرَّحى ، وذلك حينما يشبه فتنة بني أمية براية الضلال التي قامت على قطبها :

«رَايَةُ ضَلاَلٍ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا»[2].

---

١. الخطبة ١١٨.

٢. الخطبة ١٠٧.

ولئن كانت الشحنة الدينية عند علي بن أبي طالب في خطابه الحربي لا تقف عند حدود الدلالة بل تتعدّاه إلى شكل الخطاب وقالب الصورة اللغوي. فإننا نجد صدى للقرآن في المثل المطروح ودلالته كقوله تعالي :

« تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالذِّي يُغْشَى عَلَيهِ مِنْ المَوْتِ »[١] .

« وَجَآءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ »[٢] .

« يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ »[٣] .

فتضمينه لهذه المعاني يكشف عن ثقافته القرآنية واعتماده عليها في خطبه الحربية كما هي قد يكون لكونها حاملة لشحنات دينية في موسيقاها ودلالتها أو كما قد يكون لبلاغة الصورة منها وهذا ما نرجحه. فعلي بن أبي طالب عمد إلى آيات القرآن الكريم وما فيها من صور قوية الحجة ، و أخرجها من سياقها الذي نزلت فيه، و وظفها في النص الحربي، فالنص الحربي مبنى على مواضع قرآنية ولعل النص العلوي كلّه كذلك. وهو بهذا الفعل يقرّب خطابه من الخطاب القرآني في مادّته أو قُلْ هو يعيده بحذافيره في سياق غير سياقه الأصلي ، والإمام علي يمارس سلطة على المتلقي المسلم،

---

١. الأحزاب ٣٣/ ١٩.

٢. ق ٥٠/ ١٩.

٣. محمد ٤٧/ ٢٠.

«فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَة ، فَأَنْتُمْ لاَ تَعْقِلُونْ»[١].

وقد تنوعت صورة القلب المحسوسة عموماً من مثال إلى آخر ، فلم يحظ القلب بصورة من المحسوسات معينة ، مثال على ذلك تشبيهه إماثة قلوب أصحابه بإماثة الملح في الماء : «اللَّهُمْ مُثْ[٢] قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ»[٣].

ولئن وصف علي بن أبي طالب عالم الإنسان الداخلي كثيراً في خطابه الحربي ، إلاّ أنه لم يخرج عن حالة الاحتضار التي يكون عليها المخاطبون من أتباعه. نذكر منها قوله :

«إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم ، دارتْ أعينكم ، كأنكم من الموت في غمرةٍ ، ومن الذهول في سكرة»[٤].

وتوحي حالة الاحتضار عند أتباع علي باليأس الشديد من المخاطب وانتهاء الأمر ، فلا فائدة ترتجى منه. والمحتضر- كما هو معلوم- يتملّكه خوف شديد كالخوف الذي عليه أصحاب علي حينما يدعوهم إلى الجهاد ومقاومة العدو.

---

١. الخطبة ٣٤.

٢. الأماثة : من مث أي أذب من ماث الملح أذابه.

٣. الخطبة ٢٥.

٤. الخطبة ٣٤.

«اتَّـخَذُوا الشَّيْطَانَ لأَمْرِهِمْ مَلاَكاً ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً ، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ ، وَدَبَّ وَدَرجَ فِي جُحُورِهِمْ..»[1].

وربما قلّ حظ الإنسان ـ بصفاته وأحواله من جهة ، وآلاته وأدواته من جهة أخرى ـ من الاعتماد في التصوير في الخطب الحربية بالنسبة إلى عالم الحيوان الذي سيأتي الحديث عنه ، وذلك لأننا أخذنا بتعليل محمد الهادي الطرابلسي[2] فلم ندخل مظاهر التشخيص لأنها فـي باب المجاز العقلي أدخل ، لذلك قـلّ حظها مـن الورود.

بيد أنّ الإنسان يبقى من مصادر علي بن أبي طالب الرئيسة في التصوير ، ووظفه لتصوير الجنبتين السلوكية والنفسية. وهكذا، يتضح لنا أنّ عليّاً على الرغم من استخدامه مرجعيات من عالم الإنسان الداخلي والخارجي ، فإنّه حينما نسج صورته اضمحلت مواطن المعاني الإيجابية لتحل محلها جوانب سلبية وكشفت عن غضب الإمام علي وعتابه الشديد لأتباعه. وهذا يبرز أهمية المقام الحربي في إنجاز الكلام على نحو مخصوص وباختيار عناصر مخصوصة.

---

١. الخطبة ٧.

٢. وتعليل الطرابلسي هـو « فلأننا لم ندخل في ذلـك مظـاهر التـشخيص إذ رأيناهـا في بـاب المجـاز العقلي أدخل » ؛ محمد الهادي الطرابلسي ، **خصائص الأسلوب في الشوقيات** ، ص١٨٥.

فيسبغ على خطابه شرعية دينية تجعل المخاطبين يسلّمون بصوره تسليما لا ريب فيه، ويذعنون لكلامه إذعانا لا رجعة معه. فتعمل الصورة في نفوس المسلمين المخاطبين وقعاً خاصاً قوي الرنين من مجرد تركيبها القرآني اللغوي.

(٢) – الصدر

تنوّعت صور الصدر وهي من المحسوسات بتنوع أمثلته ، إلا أن وصفه الصدر لم يكن مطلقاً في الغالب بل ورد في سياق حربي مشحون يكشف عما تجيش به نفسه ، وذلك في المواقف التي يصل فيها الإمام علي إلى أقصى درجات الغيظ من النّاس المحيطين به ، قال مصوراً صدره بالوعاء المشحون غيظاً :

«وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً ، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً»[1].

وقد يجمع القلب والصدر كما في وصف الشيطان بالطير الذي بنى عشاً في قلوب أصحابه وصدورهم ، واستعار لفظ البيض والأفراخ ووجه المشابهة أن الطائر لما كان يلازم عشه فيبيض ويفرخ فيه أشبه الشيطان في إقامته في صدورهم وملازمته لهم :

---

١. الخطبة ٢٧.

والثور ، والماعز ، والخيول) والحيوانات الأليفة المختارة تظهر أنّه ينزع إلى تركيز صوره على هذا النوع من الحيوانات ، وبالتالي يمكن تعيين وجه اتجاه علي بن أبي طالب إلى هذا النوع من الحيوانات الأليفة وتركيزه على الجوانب الخَلْقيّة كالشكل الخاص أو الصوت ، أو الجوانب الخُلُقِيّة كالخوف والجبن ، أو الجوانب العرضية كالمرض.

فلا نكاد نجد غير صور الحيوانات الأليفة المشار إليها في تشابيهه واستعاراته ، والجدير بالملاحظة أن اعتماد الإمام علي عليها في الخطاب الحربي كبير جدًّا بالنسبة إلى جميع الحيوانات والزواحف والطيور وحتى الحيوانات المفترسة المختارة ، فإنّ ما يزيد على نصف صوره التي ترجع إلى الحيوانات الأليفة منتزعة من صورة الجمل أو الإبل أو الناقة أو الشاة أو الثور أو الماعز ، إلا أن حظ الشاة والغنم والثور والماعز إذا قورن بحظ الجمل والإبل والناقة قليل جداً ، وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول إنّ الجمل والناقة والإبل هي مصدر مهم لصور علي بن أبي طالب في خطابه الحربي ، ولها حضورٌ بارزٌ في المدونة العلوية الحربية.

وتتميز صورة الإبل والناقة والجمل في الخطاب الحربي بكونها مقصورة على الإنسان ، كما تتميّز بكونها مقصورة على نوع خاص من الرجال هم الأنصار والأصحاب (المقاتلون) ، فالصور ـ طبعا ـ ترد في السياق الحربي

بيد أنه ، لم يكن الإمام علي ليكتفي بتقبيح أصحابه المخاطبين وذلك باعتماد مرجعية الإنسان والتصرف في إخراج صورها وإظهار أحوالها فقط، وإنما كان ولا يزال بحاجة إلى إهانة من حوله من الأنصار على تثاقلهم وتقاعسهم وتحريك ما تبقى من كرامتهم وإبائهم حتى أنّه تجاوز مرجعية عالم الإنسان إلى مرجعية عالم الحيوان.

ب ـ المستوى الثاني : عالم الحيوان

عالم الحيوان هو المصدر الثاني الذي استقى منه علي بن أبي طالب صوره، والحيوان كائن متحرك ذو شعور ، تتنوّع مظاهر القوة والضعف فيه من جنس إلى آخر من أجناس الحيوانات وقد صنف الإنسان الحيوان أصنافاً مختلفة ، والذي يهمّنا منها ما وظف لإبراز هذه المظاهر ، واستخرج منه صوراً يقيس بها أنواع الناس ويضرب بها الأمثال في مضاربها.

فإذا أنعمنا النظر في ما اعتمده الإمام علي في مختلف الدوال في صور الخطب الحربية ، استطعنا أن نبيّن أربعة أجناس عامة من الحيوان اعتمدها علي بن أبي طالب وهي : الحيوانات الأليفة ، والطيور ، والزواحف ، والحيوانات المفترسة.

١- الحيوانات الأليفة

لقد استلهم علي صوره من الحيوانات الأليفة (الجمل ، والناقة ، والإبل،

وقوله في أهل الكوفة :

«يَا أَشْبَاهَ الإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا ، كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ ، تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ»[١].

وفي وصف فتنة بني أمية بالناب الضروس[٢] :

«وَايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّروسِ ، تَعْذِمُ بِفِيهَا ، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا ، وَتَزْبِنُ[٣] بِرِجْلِهَا ، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا»[٤].

ومن صوره الحربية تشبيه طلحة بالثور :

«لاَ تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ ، عَاقِصاً قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ»[٥].

فصورة الجمل والإبل والناقة في خطب علي بن أبي طالب الحربية هي صورة كلّها ذمّ وتقريع وتوبيخ لأصحابه المتقاعسين والقاعدين عن القتال مع كثرة الغارات النازلة عليهم من الشام.

ولا يساورنا أدنى شك في أن علياً إنّما ركّز على هذا الحيوان (الجمل)

---

١. الخطبة ٩٦.

٢. تزبن : الزَّبْنُ : دفع الشيء كالناقه تزبن ولدها عن ضرعها برجلها وتزبن الحالب ؛ انظر ابن منظور ، م.ن. ، مادّة (ز ، ب ، ن) ، ١٣/١٩٤.

٣. الناب الضروس : الضروس من النوق : السّيئة الخُلُق تعضُّ حالبها ؛ المنجد ، ص٤٤٩.

٤. الخطبة ٩٢.

٥. الخطبة ٣١.

الملحمي ؛ ولكنّها تخلو من جو الإقدام والشجاعة والبطولة المعروفة في الشعر والنثر العربي ، بل هي على العكس من ذلك فالجو الذي يكتنفها هو التقاعس والتخاذل والضعف الذي يصل إلى حدّ العجز ، ويجري كثيراً إخراج هذه الصور في خطب الإمام علي بن أبي طالب الحربية بلفظ الجمل ذاته[١] ؛ ولكنّ به علة أو قرحًا أو ورمًا...[٢] ، أو الإبل[٣] ، أو الناقة[٤] .

ومن الأمثلة البيانية في ذلك قوله مشبهاً أصحابه المتقاعسين عن الحرب والجهاد معه بصورة الجمل الأسرّ ، والنّضو الأدبر في قوله :

« دَعَوْتُكُمْ إِلى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ ، فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الأَسَرِّ[٥] ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ[٦] الأَدْبَرِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ ، مُتَذَائِبُ ضَعِيفٌ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ »[٧].

---

١. انظر مثلا : الخطبة ٣٩.

٢. انظر مثلا : الخطبة ٣٩.

٣. انظر مثلا : الخطبة ٣٤.

٤. انظر مثلا : الخطبة ٩٢.

٥. الجمل الأسرّ : هو « السَّرَر قرحٌ في مؤخرة كركرة البعير يكاد ينقلب إلى جوفه ولا يقتل ، سرّ البعير يسرُّ سرراً (...) وقيل : الأسرُّ الذي به الصّبُّ وهو ورمٌ يكون في جوف البعير » ؛ ابن منظور، لسان العرب ، ٤/ ٣٦٠.

٦. النضو : هي « الدابة التي هزلتها الأسفار وأذهبت لحملها » ؛ ابن منظور ، م.ن.، ١٥/ ٣٣٠.

٧. الخطبة ٣٩.

في كلتا الحالتين ، فيكون موقف الإمام علي من المسلمين إما تلبية طلبهم بالموافقة على البيعة أو رفضها والتخلي عنها.

والخطيب هنا في مقام سياسي يمارس سلطة الترغيب من خلال الصورة على جمهور متكالب عليه ، يطلب منه البيعة ، فإذا أصاب نفوس المخاطبين من المسلمين فقد ثارت عواطفهم نحوه فإنه يحقق بذلك الإذعان لا محالة.

كما أن النعت الذي قرنه الإمام علي بالإبل وهو شدة العطش ، وهي حالة تنم عن الحاجة الشديدة والملحة إلى الماء. فأما ارتواء وحياة وإما عطش وموت. ولئن كان يوم بيعة الإمام علي يوم الارتواء من ذلك العطش ، فإنّ الأيام السابقة له كانت أيام جفاف وعطش ، ولعل علي بن أبي طالب غير راضٍ عن حكم من سبقه. وما في تداكك المسلمين على بيعته غير طلب النجاة من الوضع السابق ، وحصول البيعة يعني حصول الارتواء والنجاة من الموت.

وهذه الصورة هي التي قربت الإمام عليّا إلى نفوس المسلمين بعد زمن من الاضطراب والفوضى في خلافة من سبقه ؛ وذلك لأنّها مست أثمن مقومات عيش العربي وهو الإبل والماء فَهُما وثيقا الصلة بحياة سكان شبه الجزيرة العربية.

وهكذا فإنّ الترغيب عن طريق الصورة نراه يثير عواطف المسلمين ،

لقربها من أنفسهم ولاتصالها بحياتهم ولمعرفتهم بأحوالها و ليحسن إبلاغ الصورة التي يحملها في ذهنه تجاه أتباعه المسلمين من جهة ، ومن جهة أخرى ليحقق في نفوسهم من الإذعان أو الاستفزاز ما يقضي شأوه ويسدد مرماه.

والحمل على الاذعان في خطب علي بن أبي طالب الحربية يرتكز على سياسة الترغيب والترهيب ، أما سياسة الترغيب فنجدها في قوله :

« تداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم وردها »[1].

يظهر لنا المسلمين في صورة الجمال العطشى ، والعلاقة التي تربط بين الوجهين (الإمام علي والمسلمين) تكشف عن علاقة راع برعيته وفيها وجهان :

الوجه الأوّل : حقيقي ، والوجه الثاني : مجازي. فأمّا الوجه الأوّل فيتعلق بالراعي وبحيواناته العطشى التي تحتاج إلى الماء حتى تستعيد عافيتها ، فلا بد من ريها أو تركها تموت عطشاً.

أما الوجه الثاني المجازي فطرفاه الإمام علي راعياً والمسلمون رعيةً ، وإنّ علاقة التشابه بين الراعي الحقيقي وعلي بن أبي طالب ، وبين الحيوانات الحقيقية والمسلمين تستوجب ضرورة تشابها في العلاقة بين الراعي والرعية

---

١. الخطبة ٢٢٦.

وخلاصة القول : أن الإمام عليًا رأى في المسلمين من أتباعه تثاقلاً في النهوض إلى عامل له بعين التمر[١] ، وقد بعث إليه مستنجداً بما به يقوى على مواجهة جيوش معاوية ، ممّا جعل عليًا يصورهم على النحو المذكور ، ووجه الشبه بينهم وبين الجمل الأسر والنضو الأدبر هو تثاقلهم ، فهم آثروا الهزيمة على النصر.

وهذا المثال يكشف عن وجهين : حقيقي ومجازي فأما الوجه الحقيقي فيتعلق بالراعي وبحيواناته المريضة ، والحيوانات المريضة عيية عن أداء الفعل والقيام بالعمل ، فلا يرى منها نفعاً فتترك أو تقتل.

وأما الوجه المجازي : فإن الطرفين اللذين يلعبان فيه هما : الإمام علي راعياً والمسلمون رعية. وإن علاقة التشابه بين الإمام علي والراعي الحقيقي وبين أتباعه المسلمين والحيوانات الحقيقية تستوجب بالضرورة تشابهاً في العلاقة بين الراعي والرعية في كلتا الحالتين فيكون موقف الإمام علي من أتباعه المسلمين (الجند) إما الترك والتخلي عنهم أو القتل.

وعلي بن أبي طالب من خلال الصورة في هذا المقام يمارس سلطة

---

١. عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا منها يُجْلَب القسب والتمر إلى سائر البلاد وهو بها كثير جدّاً ، وهي على طرف البرية وهي قديمة افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في ١٢ للهجرة ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣/ ٣٦٩.

ويحقق هدف الخطيب وهو بلا شك الإذعان الذي يرمي إليه علي بن أبي طالب فيما يرمي.

وأما سياسة الترهيب فنجدها في نص قوله :

«دعوتكم إلى نصر إخوانكم ، فجرجرتم جرجرة الجمل الأسرّ ، وتثاقلتم تثاقُل النضو الأدبر»[1] .

إنّ اللافت للنظر أنّ الإمام عليّا جعل الجمل في كلّ من الصورتين (الجمل الأسر ، النضو الأدبر) مشبّهاً به محيلاً على مشبه هو المخاطبون من أتباعه الأنصار. وقد ألحق الإمام بكل كلمة تنتمي إلى الحقل الدلالي «الجمل» صفة تحكمّت بشكل كبير في رسم الصورة ، وذلك باختيار مكوناتها اللغوية المناسبة لتلك الصفة.

وأما جرجرة الجمل فهي أن يحدث صوتاً بحنجرته ، وكثيرًا ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب. وأما النضو الأدبر فهو المهزول المجروح.

ومن هذا يتضح ما ذكرناه من تناسب بين ذكر النعت وبقية مكونات الصورة اللغوية ، فإذا كان الجمل أسر فهو عليل ، ولعلته علامات ظاهرة فيها الجرجرة. ومثله الجمل الهزيل والمجروح الذي يظهر سوء حاله في حركة جسمه ، وهي التثاقل.

---

١. الخطبة ٣٩.

لِلذِّئْبِ»[١].

وقد يعمد إلى التصوير بالماعز أو الفيل[٢]، لكن ذلك نادر.

٢ ـ الطيور

لا نكاد نجد غير صورة النعامة من بين الطيور في تشابيهه واستعارته، وقد ينزع إلى تركيز صورة الطير بلفظ الطير، اسم الجنس، وهذا يدل على اتجاهه إلى هذا النوع من الحيوان إنّما هو من حيث مميزه العام وهو الطيران في الجو.

ومن ذلك تشبيهه فتنة بني أمية التي سوف تستخلص المؤمن استخلاص الطير للحبَّة السمينة الممتلئة دون هزيل الحب:

«وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بِيْنِكُمُ اسْتِخْلاَصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ»[٣].

وقد يرسم الإمام علي صورة للمسجد وسط الصحراء، فيتعب تفكير المتلقي في إيجاد العلاقة الخفية بين المسجد والطير، ولعله من التشبيهات المبتكرة التي تدل على التجديد في التشبيه عنده.

---

١. الخطبة ١٢٥.

٢. انظر: الخطبة ١٨٢، ١٢٦.

٣. الخطبة ١٠٧.

الترهيب على جمهور السامعين من أتباعه المسلمين. فإذا أصاب نفوس مخاطبيه بالخوف والرعب أذعنوا. والإذعان- كما يرى برلمان وتيتيكاه- غاية الحجاج أو قُلْ غاية كلّ حجاج[١].

ولعل الإمام عليًّا لهذا السبب ركّز على (الجمل) أكثر من أنواع الحيوان الأخرى التي استحضرها ولم يكن لها من الصور نصيب الجمل من الظهور لتكون الأداة الحجاجية الأكثر نجاعة.

وقد حذر الإمام علي من الفرقة والشذوذ عن الجماعة في قتاله مع الخوارج ، فشبه المتفرد برأيه من النّاس للشيطان بالشاة المنفردة للذئب ، ووجه الشبه كون انفراده محلاً لتطرق الهلاك إليه باستغواء الشيطان له كما الشاة المنفردة في مظنة الهلاك لانفرادها ووحدتها للذئب ، في قوله :

« وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ

---

١. فبرلمان وتيتيكاه يقولان : « غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان فانجح الحجاج ما وُفّق في جعل حدّه الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (انجازه أو الإمساك عنه) ، أو هو وُفّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة » ؛ مقال عبدالله صوله « الحجاج : أطرُهُ ومنطلقاته وتقنياته من خلال » مصنف في الحجاج ـ الخطابة الجديدة « لبرلمان وتيتيكاه » ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص٢٩٩.

٣ـ الزواحف

لا نجد تنوّعاً كبيراً في الزواحف ، فمن مصادره في التصوير الضبة فلا نكاد نرى غير هذه الصورة في تشبيهاته واستعارته ، كقولهِ :

«أَكُلَّمَا أَطَالَ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ ، أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ ، وانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا»[١].

ويصف الجاحظ الضبّ بقوله: «لمّا عَلِم أَنَّهُ نَسَّاءٌ سيّءُ الهِداية لَمْ يَحفِر وِجَارَه إلاَّ عِندَ أكمة، أو صخْرةٍ ، أو شجرةٍ ؛ ليكونَ متى تباعَدَ من جُحره لطلب الطُّعم ، أو لبعض الخوف فالتفت ورآه أحسنَ الهِداية إلى جُحره»[٢].

وهذا الوصف يعطينا فكرة عمّا كانت العرب تراه من صفات الضب ، فهو عندهم ينسى كثيراً ، وهذا دليل البلادة وفتور الذهن ، كما أنّه سيء الهداية فهو غير ذكي ، وتراه إذا ما خاف ينجحر سريعًا ،ولهذا مثّل به عليّ لكل هذه الصفات.

وعلى هذا فالصورة توحي بتثاقل أتباع علي بن أبي طالب من المسلمين عن خوفهم من المواجهة. وهذا التشابه بين حال الضبّ وهو ينجحر خائفاً، وحال المسلمين في تخاذلهم وتقاعسهم وملازمتهم لبيوتهم وقت

---

١. الخطبة ٦٨.

٢. الجاحظ ، كتاب الحيوان ، تحقيق محمد عبدالسلام هارون ، ٦/ ٤٢.

«كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى قَرْيَتِكُمْ هَذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا المَاءُ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلاَ شُرَفُ المَسْجِدِ كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ»[١].

كما شبه المسجد بالنَّعامة الجاثمة في البحر:

«وايْمُ اللهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ»[٢].

ومرة أخرى شبه أقدام أصحاب الزنج بأقدام النّعام، ووجه شبهها بأقدام النّعام هو أن أقدامهم في الأغلب قصار عراض منتشرة الصدر ومفرقات الأصابع فهي من عرضها لا يتبين لها طول فأشبهت أقدام النعام في بعض تلك الأوصاف:

«يُثِيرُونَ الأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ»[٣].

و نلاحظ عموما أن صوره في الطيور مقصورة على الإنسان إلا صورة المسجد، وكان من مصادر إلهامه النعامة.

وقد يعمد إلى التصوير بالنّسور[٤]، لكن ذلك نادر جدّاً.

---

١. الخطبة ١٣.

٢. الخطبة ١٣.

٣. الخطبة ١٢٦.

٤. انظر: الخطبة ١٢٦.

بين صورة السّباع وصورة الذّئاب في نوعي النّاس : القوي الخبيث.

«وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً ، وَسَلاَطِيُنُه سِبَاعاً»[١].

فصورة السّبع في خطب علي بن أبي طالب الحربية هي صورة ذمّ واستنكار وكذلك صورة الذئب.

وقد صوّر الضبع[٢] مرتين في خطبه الحربية ، فمرة نفى عن نفسه أن يكون كالضبع ، فقد شبه نفسه بالشّجاع الذي لا يكون حاله كحال الضبع الجبان الذي يصل إليه الطالب ويختله الراصد ، فاقسم أنّه لا يكون كذلك فقال : «وَاللهِ لاَ أَكُون كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ[٣] حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا»[٤].

والأخرى ذمّ أصحابه ووبخهم لحالة الجبن والخوف التي هم عليها ، فكلما سمعوا بقرب جيوش الشام أغلق كلّ واحدٍ منهم بابه وفرّوا من القتال كراهية سماعهم للحرب ، وشبههم في ذلك الخوف والفرار بالضّبع حين ترى الصائد أو أمراً تخافه ، وقد خصّ الإناث هنا لأنها أولى من

---

١. الخطبة ١٠٧.

٢. الضبع و الضبع : ضرب من السباع أنثي ، انظر: ابن المنظور ، لسان العرب ، مادة (ض ، ب ، ع) ، ٨ / ٢١٧.

٣. اللّدم : هو صوت الحجر إذا وقع بالأرض ؛ المنجد ، ص٧١٨.

٤. الخطبة ٦.

الحرب عند الحاجة اليهم فيه من الإمعان في الإذلال والإهانة ما يسوّغ للإمام علي بن أبي طالب أن يردهم عمّا هم فيه.

وإنه من المؤكد أن اختيار مرجعّيتي الضّبّ والضّبع في الخطاب الحربي يدل على علم المخاطبين من أتباع الإمام علي بخصائص هذين الحيوانين التي ذكرناهما من الخوف وسرعة الاختباء وتبلدّ الذهن- فهما حيوانان حقيران من هذا الجانب ، ولذلك اختارهما الإمام علي بن أبي طالب.

فصورة الضّبع في الخطاب الحربي هي عينها صورة الضّبّة ؛ صورة الجبان الخائف.

٤ ـ الحيوانات المفترسة

ومن مصادر الإمام في التصوير الحيوانات المفترسة ، وهي قليلة جداً ، ففي خطبة يتيمة استعار وصف الصيال للدهر ملاحظة لشبهه بالسّبع ، ووجه الاستعارة كون الدهر مبدأ قوياً لتلك الشرور الواقعة فأشبه السّبع الضّاري العقور في شدة صياله.

«وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ»[1].

ولصورة الذئب خاصية وصف الإنسان دون غيره ، ويميّزها في الخطاب الحربي كذلك ورودها في السياق الحربي الملحمي ، فمن ذلك جمعه

---

١. الخطبة ١٠٧.

جـ ـ المستوى الثّالث : عالم الطبيعة

أما مصادر التصوير الأخرى كعالم الطبيعة ، فهي قليلة بالمقارنة مع عالمي الإنسان والحيوان في مجال التصوير ، وسنأخذ من مرجعية عالم الطبيعة صورتين ، إحداها تتوّجه إلى مخاطب بعينه هو عمر بن الخطاب ، والأخرى تتوّجه إلى جمهور المسلمين من أتباع الإمام علي.

أما الصورة الأولى فهي قوله :

« فَإِنَّكَ إِنْ شَخَّصْتَ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ انْتَفَضَتَ عَلَيْكَ الأَرْض مِنْ أَقْطَارِهَا وَأَطْرَافِهَا »[1] .

قال الإمام علي هذه الخطبة في زمن خلافة عمر بن الخطاب ، وإليه توجّه بالقول. فقد طلب عمر النّصح عندما أخبره سعد بن أبي وقّاص بتجمع جموع الفرس بنهاوند[2] التي ذهب لفتحها. وذكر عمر تخوّفه من قلّة عتاده.

---

١. الخطبة ١٤٤.

٢. نهاوند : « هي مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام (...) كانت واقعة نهاوند سنة ٢١هـ أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمير المسلمين النعمان بن مُقرِّن المزني وقال عمر إن أصيبت فالأمير حذيفة بن اليمان ثم جرير بن عبدالله ثم المغيرة بن شعبة ثم الأشعث بن قيس فَقُتِلَ النعمان وكان صحابيا فأخذ الراية حذيفة وكان الفتح على يده » ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٨/ ٤٠٩ ؛ وانظر واقعة نهاوند لسيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص٤٠.

الذكران بالمخافة.

ولصورة الضبع كذلك خاصيّة وصف الإنسان دون غيره ، ويميزها في خطب علي بن أبي طالب ورودها في سياق حربي ، فمن ذلك جمعه بين صورة الضبع والضبة في وصف نوعٍ من النّاس : الجبان الخوّاف في قوله :

« أَكُلَّمَا أَطَالَ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ ، أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ ، وانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا ، وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا »[1].

إن أثر عالمي الإنسان والحيوان كبير في خطب علي بن أبي طالب الحربية ، وعلى الرغم من تنوّع العناصر التي اعتمدها في التصوير ، فإنّ منزع الإمام عليّ واحد ، فهو في اتجاهه إلى عالم الإنسان ينزع إلى اقتباس الصور مما اتسم بالقوة والفروسية وهو قليل ، ومما اتسم بالضعف والتخاذل والتقاعس والقعود عن الحرب وهو كثير.

وفي اتجاهه إلى عالم الحيوان ينزع إلى اقتباس الصور مما اتسم بالضعف والمرض (كالجمل والإبل) ، ومما اتسم بالجبن والخوف (كالضبع والضبة) كثيراً ، ومما اتسم بالضرّ (كالناقة المسنة) قليلاً.

وقد تميزت الحيوانات التي اعتمدها في الجملة بانتمائها إلى البيئة الصحراوية البدوية وإلى الفضاء الرعوي.

---

١. الخطبة ٦٨.

لا يمكننا أن نفهم دلالات هذه الصورة العميقة إلا بالنظر الدقيق في المقام عامة ، وفي مضمون الخطبة ومقصد الإمام علي منها.

فالصورة تأتي في مقام التأنيب الذي قامت عليه الخطبة ، فقد قال عليٌّ خطبته هذه حينما استنفر أتباعه أياما لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي[1] ، ويرد عادية بني تميم ، بيد أنّه لم يجبه إلى ندائه أحد.

وهذه الصورة تحتوي على مقابلة طرفاها ضمير المتكلم في صيغة الجمع «نا» ، وهو يضم عليّاً وأصحابه حينما كانوا مع الرسول ، وضمير المخاطب في صيغة الجمع الدّال على جمهور المخاطبين لحظة إلقاء الخطبة ، وإنّ أتباع علي يأتون بأفعال وسلوك تضرّ بالدين.

وجملة القول : أنّ الإمام عليّا ومن معه في زمن الرسول اخضرّ بهم للإيمان عود وقام للدّين عمود ؛ وذلك لما تميّزوا به من الشجاعة ، وقوة

---

١ . لقد زعم الشارح البحراني في كتابه « شرح نهج البلاغة » أن هذه الخطبة قيلت يوم صفين حين أمر الناس بالصلح ، وليس الأمر كذلك فهذه الخطبة قيلت في قصة ابن الحضرمي ، و « أصل تلك القضيّة على ما رواه ملخّصاً في « البحار » من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي هو أنّ معاوية لمّا أصاب محمّد بن أبي بكر بمصر ، بعث عبدالله بن عامر الحضرمي إلى أهل البصرة ليدعوهم إلى نفسه وإلى الطلب بدم عثمان ، فلما أتاهم وقرأ عليهم كتاب معاوية اختلفوا ، فبعضهم ردّوا وأكثرهم قبلوا وأطاعوا » ؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تحقيق علي عاشور ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠٣ ، ٤/ ٢٧٨.

فجاء رأي علي بن أبي طالب بأن يلزم مكانه الذي هو فيه ، وأن يبعث إلى نهاوند بأشخاص يعيّنهم.

والصورة هي انتقاض الأرض على عمر بن الخطاب ، ومعنى انتقاض الأرض هو أن يهجم الأعداء على الرعية ، فالإمام علي يخوف عمر من الخروج إلى نهاوند ، وكلمة « الأرض » توحي بالاتساع واللانهاية ، فلا تدل على مصر معين من الأمصار ، وهذا يدل على ضرورة وجود عمر بين أهله في الحجاز ليضمن لهم الأمن والسلام من الأعداء.

كما لا يخفى أن فيها إذعانًا من الخليفة عمر نفسه لرأي الإمام علي ، واقتناعه الشديد بسداد رأيه. وليس أدّل على ذلك من تكرار عمر لصورة انتقاض الأرض نفسها بعد أن أنهى علي بنِ أبي طالب خطبته[1].

ولئن كانت الصورة الأولى موجّهة إلى مخاطب بعينه ، فإنّ الصورة الثانية توجهت إلى جمهور المسلمين متلقي الخطاب ، وهذا نصّها :

« ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للإيمان عود »[2].

---

١. إذ قال معلقاً وباتاً في أمره « أجل ، والله لئن شخصت من هذه البلدة لتنتقضن عليّ الأرض من أطرافها وأكنافها » ؛ محمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ط١ المكتبة العلمية ، بيروت ، د.ت، ١/ ٢٣٦.

٢. الخطبة ٥٦.

الرائح إلى الله بالظّمآن الذي يرد الماء : « الرَّائِحُ إِلى الله كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ »[١].

واستعار إفراط الحوض لجمعه الجند وتهيئة أسباب الحرب ، وقد حذف المضاف إليه ماتح في الحقيقة ، وتقديره أنّه ماتح مائه إذ الحوض لا يوصف بالمتح :

« وآيْمُ الله لأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ لاَ يُصْدِرُونَ عَنْهُ وَلاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ »[٢].

٢- مصادر الماء

ما النطفة فذكرت مرتين وكانت عنده صورة لماء نهر الفرات[٣] كما في قوله مكنياً بها عن صورة ماء النهر :

« مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ : وَالله لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ ، وَلاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ »[٤].

ومن هذا الباب مكنياً بالنطفة عن ماء نهر الفرات ، ولعله أول من جاء بهذه العبارة حتى أن الشريف الرضي قال : « ويعني بالنطفة ـ ماء الفرات ،

---

١. الخطبة ١٢٢.

٢. الخطبة ١٠.

٣. وقد عبّر الشريف الرضي (٤٠٦/ ١٠١٥) جامع كتاب نهج البلاغة في شرح الخطبة ٥٩ عن معنى النطفة بقوله « يعنّي بالنطفة ماء النهر وهو أفضح كناية عن الماء وإن كان كثيراً جمّاً »، ص٨٢.

٤. الخطبة ٥٩.

الإيمان والخوف الشديد على الدّين ، وهذا غير متوافر عند المخاطبين من أتباعه ؛ لأنهم لم يستجيبوا للإمام علي فيما دعا إليه.

ولئن كان علي بن أبي طالب وأصحابه فيما مضى أصل الخصوبة في الدين واستمراره حيّاً ، فإن جمهور السامعين والمخاطبين يكونون سبباً في القحط واليبس بل قد يموت الدين إذا ما تمادوا على حالهم.

وإنّ صورة الخصب في مناخ جافّ مثل شبه الجزيرة العربية هي بلا شك صورة محببة للنفوس خاصة أنّ هذه الصورة يسندها عليّ والرسول وأتباعهما. إذن فالإمام علي رمز الخصب ، وهذا يجعله محبباً للمسلمين خاصة وأنه يتوسل بالخطاب الدّيني ليصل إلى مآرب سياسية ، وهي حيلة من حيل التصوير ونافذة من نوافذ الحمل على الإذعان.

ولئن كان لصورتي انتقاض الأرض والخصب هذا الشأن في عالم الطبيعة في خطابات علي بن أبي طالب الحربية ، فإنّ هناك صورة لا تقل أهمية عنهما إن لم تكن أصلهما وهي صورة الماء ، وقد فصلنا القول فيها على محورين : صور الماء ، ومصادر الماء.

١ – صور الماء

وقد لفتت نظرنا صورةُ الماء في خطب علي بن أبي طالب ، فقد شبه

المبحث الثاني : المصادر الثقافية

هي ما اختاره الإمـام علي من صور وفّرها له نظره في المـعارف الإنسانية القديمة أو «هو ما لا يـدرك ذهن الإنسان حقيقته إلا إذا سمـت نفسه إلـى عـالم القيم الخـالدة بحكم مسـتوى في التكون مرموق وسـعة مـن الثقافـة بالغة»[1].

ونرى أن مصادر علي بن أبي طالب يجمعها ثلاثة جوانب : جانب الدين والأخلاق ، وجانب الأدب العربي ، وجانب التاريخ ، ومنها استمد الإمام علي حججه وجعلها مرجعيات الصورة.

---

١. محمّد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ١٨٦.

وهو من غريب العبارات وعجيبها»[١].

«وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّطْفَةَ إِلى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ، مُوطِنِينَ أَكْنَافَ دَجْلَةَ»[٢].

وقد يعمد إلى التصوير بالشّجر[٣]، لكن ذلك نادر.

---

١. انظر: محمد عبده، نهج البلاغة، ١/ ٤٨.

٢. الخطبة ٤٨.

٣. شبّه أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله بالشجر الذي يميد بالريح العاصف خوفاً من عقاب ربهم ورجاء ثوابه، الخطبة ٩٦.

«أَنَا مَدِينَةُ العِلْمِ وَعَلِيّ بَابُهَا»[١].

ونقسم الصور التي استقاها الإمام علي من جو الدين والأخلاق إلى قسمين : ندرس في الأوّل : الأحداث الدينية ، وفي الثاني المعاني الدينية الأخلاقية.

١ـ الأحداث الدينية

وظف علي بن أبي طالب الأحداث الدينية أو الحقائق الإسلامية في التصوير الفني.

فصورة اختيار الله للنّبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من شجرة الأنبياء :

«اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الأَنْبِيَاءِ ، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ ، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ ، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ ، وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ»[٢].

وهذه صورة بعثة النبي للعالمين ، وصورة العرب في الجاهلية :

---

١. انظر : ابن عساكر (٥٧٣هـ) ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، ط١ دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ١٩٧٥ ، ص٤٦٤ ؛ الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ) ، المستدرك على الصحيحين ، ط دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ٣/ ١٢٦ ؛ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (١٢٩٤هـ) ، ينابيع المودة لذوي القربى ، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني ، ١/ ٩٥.

٢. الخطبة ١٠٧.

أ- الجانب الأوّل : الدين والأخلاق

لقد وجد الإمام مُثُلَهُ العليا في تعاليم الإسلام الذي جاء به ابن عمه محمد (ص) ، وأمضى قسماً كبيراً من عمره متنقلا مع النبي في حروبه وغزواته ، وكان النبي يرفع له في كلّ يوم من علمه ويسقيه إياه[1] ، حتى أصبح علي بن أبي طالب باب مدينة علم النبي على حدّ تعبير الحديث المشهور عن النبي وهو :

---

١. وشاءت إرادة الله تعالى أن يكون علي بن أبي طالب في بيت رسول الله (ص) ، فتولى تربيته وتعليمه منذ نعومة أظفاره ، وكان يحبّه حباً عظيماً ، يضمه إلى صدره ، ويمسه عرفه ، ويلقمه الطعام، ويرعى حياته خطوة بخطوة ، وقد عبّر الإمام علي عن ذلك بقوله : « وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ بِالقَرَابَةِ القَرِيبَةِ وَالمَنْزِلَةِ الخَصِيصَةِ. وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي إِلَى فِرَاشِهِ وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيءَ ثُمَّ يُلَقِمُنِيهِ ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ (...) وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ » ؛ السيد عباس علي الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ط١ دار الهادي، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦.

لبصيرتي ما لبَّست على نفسي ، ولا لُبِّس عليَّ »[١].

وقد قال الإمام علي لأتباعه في بعض أيام صفين :

« إن الشيطان كامن في كسره قد قدّم للوثبة يداً وأخّر للنكوص رجلاً »[٢].

إنّ المتلفظين قد اتفقا في صورة الشيطان وصفته ، فقد بدا في الصورة الأولى على هيئة العدوّ القائد صاحب الحزب والخيل والرّجل ، وفي الصورة الثانية على هيئة المتربصّ بالآخر والمتأهّب للقتال.

وهاتان الصورتان من جنس الاستعارة ، ولكن السؤال الذي يرد في المقام هو ما المستعار ؟ وما المستعار له فيها ؟.

نرى أنه من الصعب في الصورتين المذكورتين تحديد الطّرفين تحديداً قطعيّاً[٣] ؛ وذلك لأننا نجهل المقصود بالشيطان في الخطاب الحربي.

ويمكن أن نفهم المراد من الشيطان من خلال معنيين :

---

١. الخطبة ١٠.

٢. الخطبة ٥٦.

٣. حتى أن شرّاح الخطبتين في كتاب نهج البلاغة مختلفون في لفظة (الشيطان) أهي في معاوية أم الشيطان الحقيقي خصوصا مع وجود الآية التي تصف أفعال الشيطان وهي قوله تعالى « واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا » سورة الإسراء (٦٤) ، فإنه تزداد الحيرة في تفسير هذه اللفظة ؛ انظر حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣/ ١٤٣.

« إِنّ اللهّ بَعَثَ مُحَمَّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَـذِيراً لِلْعَـالَمِينَ ، وَأَمِيْنـاً عَلَى التَّنْزِيلِ ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِيـنٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ ، مُتَنِّخُـونَ بَـيْنَ حِجَـارَةٍ خـشْنٍ ، وَحَيَّـاتٍ صـمٍّ ، تَـشْرَبُونَ الْكَـدِرَ ، وَتَـأْكُلُونَ الْجَـشِبَ ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ ، الأَصْنَامْ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ ، وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ »[1] .

وفي الصورة نفسها يصور بعثة النبي وليس أحد من العرب يقرأ كتابـاً ، ولا يدعي نبوة : « إِنّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِـنْ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً وَلاَ يَـدَّعِي نُبُـوَّةً ، فَـسَاقَ النَّـاسَ حَتَّـى بَـوَّأَهُمْ مَحَلَّـتَهُمْ ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ ، واطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ »[2] .

وممّا رجع إلى الدين الإسلامي صورة الجنة[3] ، وصورة الـشيطان ، وقـد ذكرت مرتين في صورتين شديدتي التقارب على الرغم من أنهما في خطبتـين مختلفتين.

فقد وردت الصورة الأولى في قوله :

« إن الشيطان قـد جمـع حزبـه ، واسـتجلب خيلـه ورجلـه ، وإنّ معـي

---

١. الخطبة ٢٦.

٢. الخطبة ٣٣.

٣. انظر : الخطبة ١٢٢.

الطريق الأوّل أو الثاني ، فإنّ عرضه في كلتا الحالين متّجه نحو تخويف قومه من العدوّ ، والمقام مقام خلاف وقتال ، وما التخويف إلا طريقة من الطرق التي يعمد إليها الخطيب لكي يتنبه أتباعه للأعداء ، ويأتون من الأفعال ما يجب كالتجنب والقتال.

أما صورة الجهاد[1] ، فقد شبه الجهاد بباب من أبواب الجنة في قوله :

« أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ »[2].

ومما اتصل بالإسلام أو قُلْ القصص القرآني أيضاً صورة موت النبي سليمان بن داود في قوله :

« وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً ، أَوْ إِلَى دَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلاً لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمِ (...) ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ »[3].

→

« يا أهل العراق ، إنّ الشيطان قد استبطنكم فخالط اللّحم والدَّم والعصب والمسامِعَ والأطراف والأعضاء والشغاف ، ثم أفضى إلى الأخاخ والاصماخ ، ثمّ ارتفع فعشَّشَ ، ثم باض وفرّخ ، فحشاكم نفاقاً وشقاقاً ، وأشعركم خلافاً. أخذتموهُ دليلاً تتبّعونه ، وقائداً تطيعونه ، ومُؤَامراً تستشيرونه. فكيف تنفعكم تجربة ؟ أو تعظكم وقعة ؟ أو يحجزكم إسلام ، أو ينفعكم بيان ؟ ... » ؛ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٢/ ١٣٨.

١. انظر : الخطبة ١٧٩.

٢. الخطبة ٢٧.

٣. الخطبة ١٨٠.

الأول : قد يكون المراد بـه ذلـك الكـائن المخلـوق مـن النـار والهـواء ، والمتمرد من الجان. فهو بهذا المعنـى كـائن موجـود ولكنـه مجـرّد لا يـدرك بالحواس. وقد حصل المجاز باستعارة أدوات الإنسان وأعمالـه للـشيطان. على هذا النحو تكون الاستعارة استعارة محسوس لمعقول.

الثاني : فقد يكون المراد بالشيطان أعداء عليّ ، فتكـون مفـردة الـشيطان صفة لمعاوية بن أبي سفيان إمعانا في إذلاله. وتغـدو هـي اسـتعارة معقـول لمحسوس.

وقد تحدث عبدالقاهر الجرجاني عـن ذينـك الـوجهين للاسـتعارة فـي أسراره. فقال : «واعلم أنّ هذا الضرب هو المنزلة التـي تبلـغ عنـدها غايـة شرفها ، ويتّسع لها كيف شاءت المجال في تفنّنها وتصرّفها ، وههنـا تَخْلـص لطيف روحاني فـلا يبـصرها إلا ذوو الأذهـان الـصافية والعقـول النافـذة والطبـاع الـسليمة والنفـوس المـستعدة لأن تعـي الحكمـة وتعـرف فـصل الخطاب»[1].

إذن هذان معنيان لفهم المراد من الشيطان[2] ، فسواءٌ قـصد الإمـام عـلي

---

١. الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص٨٧.

٢. ولكننا نجد معنى الشيطان واضحا جدّاً في خطبة الحجاج بعد دير الجماجم ، فهو يقصد الـشيطان الحقيقي فانظر إليه وهو يوجه ندائه إلى أهل العراق ويصف الشيطان بقوله :

←

وتقوم هذه الصورة على جملة من العلاقات ظاهرة تُؤلف في اجتماعها المنطق الذي تقوم عليه الصورة ، وهي على النحو التالي :

الحدث	←	النقب
الفاعل	←	الإمام علي
المفعول به	←	الباطل

النتيجة

خروج الحق من جنب الباطل.

وقد جعل الصبر شعاراً للنصر على وجه الاستعارة فقال :

« فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا ، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا ، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا وَعَلاَ سَنَاهَا ، واسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ ادْعَى إِلَى النَّصْرِ »[1].

الصبر هنا من المعاني الدينية ، فقد أمر الإمام عليّ أصحابه باتخاذه شعاراً على وجه الاستعارة.

وقد يتوسع في دقائق معاني الفضيلة ويجسمها بمشاهد من العالم المادي المعيش ، فهو يبالغ في ذمّ أصحابه أهل الكوفة على سبيل الكناية عن خيانتهم :

« فَلَو ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قُعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعُلاَقَتِهِ »[2].

---

١. الخطبة ٢٦.

٢. الخطبة ٢٥.

٢ـ المعاني الدينية الأخلاقية

لا نرمي من وراء المعاني الدينية الأخلاقية القيم ، فلسنا شاخصين إلى المدلول من حيث قيمته في ذاته ، وإنّما من حيث مصدر الحديث عنه.

وصور الحق أكثر ما تواتر من هذه المعاني ، ونمثل عليها بثلاثة شواهد :

الأول شَبَّه فيه الحق بالعمود في قوله :

« فَصَمْداً صَمْداً ، حَتَّى يَنْجَلِي لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ »[١] .

والثاني استعار لفظ الجماح لخروج أصحابه عن فضيلة العدل إلى رذيلة الإفراط ، وذلك لغلوهم في طلب الحق إلى حدّ الجور عن الصراط المستقيم.

« فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى ، وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلاَلِ وَالْعَمَى ، وَصَدِّهِمْ عَنْ الْحَقِّ ، وَجِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ »[٢] .

والثالث تخيل الباطل جداراً أو صخراً ، وأقسم أنه سينقبه ، ليظهر الحق من جنبه في قوله :

« فَلأَنْقُبَنَّ البَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ »[٣] .

---

١. الخطبة ٦٥.

٢. الخطبة ١٧٩.

٣. الخطبة ٣٣.

في تبديل أولئك الأنصار»[1] إزاء هذه الظاهرة يرى الدكتور طه حسين «موقف الإمام الذي لا يطاع، والذي يريد الحق فلا يبلغه، لا لضعف فيه ولا لقلة في أصحابه ولا لوهن في أداته، بل لأن أصحابه لا يريدون أن يطيعوه ولا ينصروه»[2]، مما جسدته التصويرات في الخطب الحربية.

---

١. العقاد، عبقرية الإمام، ص١٤٤.

٢. طه حسين، الفتنة الكبرى، ٢/ ١٧١.

وهذا تشبيه صوّر فيه إخواناً له فقدهم من الصحابة في سوح القتال ، يحبون القتال في سبيل الله كحبِّ النياق الحلوب لأولادها :

« أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الإِسْلاَمِ فَقَبِلُوهُ ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ، وَهِيجُوا إِلَى الْقِتَالِ فَوَلِهُوا وَلَهَ الِّلقَاحِ إِلَى أَوْلاَدِهَا »[1].

ومما يمكن اعتباره طريفا في اتجاه الإمام علي بن أبي طالب إلى الدين والأخلاق لاقتباس الصورة الفنية هو شغفه الواضح بروح الحق ، وتوقفه الطويل عنده[2] ، وعقده المقارنات بينه وبين معاوية لبيان صورة الحق[3].

وخلاصة القول أنّ الإمام عليًّا جسّم بصفة عامة معاني الفضيلة بما يعد من أسباب الحياة في أصحاب محمّد وأصحابه السّابقين[4] ، وربط معاني الرذيلة بما يعد من أسباب الموت في أصحابه من أهل البصرة والكوفة وعامة أهل العراق ، وذلك لأنّه ابتلي بأخلاق أنصارٍ أشد من بليته بأعدائه، كما يقول العقاد :

« ومن آيات الشهادة أن يبتلى بأنصاره أشد من بليته بأعدائه ، ولا حيلة

---

١. الخطبة ١٢٠.

٢. انظر : الخطبة بكاملها تتحدث عن الحق ٢١٤.

٣. انظر : الخطبة ٢٥ ، ٩٦ ، ١٧٩.....

٤. انظر : الخطبة ٩٦ والخطبة ١٢٠.

وإنّما حسبما تبيّن من حيث المواقف الشجاعة والحكيمة المشرفة التي وقفوها في الحياة، وعن صفات عظيمة عرفوا بها في حياتهم.

وهذه الصفات كانت في جميعهم صفات أخلاقية حميدة ، وصفة الشجاعة أبرز ما استهوى علي بن أبي طالب ، فهو الشجاع الذي ما هاب أحداً قط في أي معركة كما يخبرنا التاريخ بذلك « ويصيح الصيحة فتنخلع لها فلول الشجعان »[١].

وقد وجد في بيت فراس بن غنم[٢] من الشجاعة والنجدة والمبادرة إلى إجابة الداعي فضلا عن الاجتماع على دفع الضيم وهو ما جعل الإمام يتمنّى أن يكون له ألف فارس منهم بدلاً من أصحابه القاعدين عن القتال. (على بحر الوافر).

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ

فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ[٣]

قال الإمام علي مشبها نصيحته لأصحابه في التحكيم بنصيحة الشاعر

---

١. عباس محمود العقاد ، عبقرية الإمام ، ط نهضة مصر ، القاهرة ، د.ت. ، ص٨.

٢. فراس بن غَنْم بن ثعلبة ، من كنانة : جدٌّ جاهلي ، عُرِفَ بنوه بالشجاعة ، منهم ربيعة بن مكدم قال عليّ لأهل العراق ، وهم مئة ألف أو يزيدون : « لوددت أن لي منكم مئتي رجلٍ من بني فراس بن غنم ، ولا أبالي من لقيت بهم » ؛ الزركلي ، الأعلام ، ٥/ ١٣٩.

٣. الخطبة ٢٥.

ب ـ الجانب الثاني : الأدب العربي

لقد وفَّر الأدب العربي لعلي بن أبي طالب صور أعلام من الشعراء ، وصور أعلام لأصحاب ممّن يُضْرَبُ بهم المثل عند العرب.

١ـ الأعلام :

نتناول استخدام الإمام علي أعلام الشعراء ثم أعلام الأمثال ، ونعني بذلك من تمثل بشعرهم في خطبه الحربية.

(١)- أعلام من الشعراء

فالأعلام من الشعراء في خطب علي بن أبي طالب الحربية ثلاثة هم : فراس بن غنم ، ودريد بن الصمة ، وآخر لم نهتد لمعرفة اسمه. والتحقيق فيهم يبين أنّهم في عهد العربية الفصحى الذهبي أي في الجاهلية.

واختيار الإمام علي لهؤلاء الأعلام من بين مئات الأعلام من الشعراء في الأدب العربي لا من حيث إنّهم أبرز من يمثل شعر العرب في تلك الحقبة ،

(٢)- أعلام الأمثال

أمّا الأعلام الواردة في الأمثال المستخدمة في خطب عليّ بن أبي طالب الحربية فقد كانت تُظهر صورة العصيان التي صحبت أصحابه في فترات الحرب ، وعدم قبول النصيحة ، فشبه حاله وإياهم بحال أعلام الأمثال مع أصحابهم.

فمن الأمثال العربية التي شبه بها حاله مع أصحابه في موقعة صفِّين قوله:

« وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي ، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي ، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ »[١].

فالشاهد قوله : « لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ ». فهو في الأصل مثل عربي « لا يطاع لقصير أمر » ، وقد ضرب المثل في جذيمة الأبرش ووزيره قصير ، وكان مَلَكَ على شاطئ الفرات حينما لم يستمع لقصير بن سعد اللخمي وقصد الزباء ملكة الجزيرة ، إجابة لدعوتها إلى زواجه وكان قد قتل أباها مُسْبَقاً ، فقتلته ، فقال قصير « لا يطاع لقصير أمر » فذهبت مثلاً[٢] ، وهذا

---

١. الخطبة ٣٥.

٢. الميداني ، مجمع الأمثال ، ١/ ٤١٣ ـ ٤١٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١/ ٢٦٢ ـ ٢٧٠ ، المنجد ، ص ٢١٠.

أخي هوازن[1] : دريد بن الصمة لقومه إذ حذرهم هجوم القوم عليهم فلم يسمعوا له ، فهجم عليهم أعداؤهم صباحا ، فغلبوهم ، وقتلوا أخاه وحينئذ تبين قومه قيمة نصحه ولكن بعد فوات الأوان فقال : (على بحر الطويل)

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرِجِ اللِّوَى

فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلاَّ ضُحَى الْغَدِ[2]

تمثل الإمام علي على وجه الاستعارة في أمر الكوفة بعدما كثرت غارات معاوية عليها بقول الشاعر ، فاستعار لفظ (الإناء) للدنيا ولفظ (الوضر القليل) فيه للكوفة ، ووجه المشابهة ما يشترك فيه كلٌّ من الكوفة والوضر من الحقارة بالنسبة إلى ما استولى عليه الخصم من الدنيا وما اشتمل عليه الإناء من الطعام ، قوله (على بحر الطويل).

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي

عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا الإِنَاءِ قَلِيلِ[3].

---

١. أخو هوازن : هو دريد بن الصمة (ت٦٣٠هـ) : شاعر جاهلي وفارس من هوازن كان سيد بني جشم ، أدرك الإسلام ولم يُسْلِمْ ، قُتِلَ بعد وقعة حنين طلب الزواج من الخنساء الشاعرة وهو مسن فرفضته ؛ المنجد ، ص٢٤٣.

٢. الخطبة ٣٣.

٣. الخطبة ٢٥.

وقد لاحظنا في أعلام الأمثال شيئين :

ـ كثر اتجاه الإمام علي إلى تبيين صورة التقاعس والعصيان والتخاذل عن الجهاد عند أصحابه فقد شبه واقعه مع أتباعه بعد ليلة الهرير[1] بناقش الشوكة في موقعة صفين في قوله :

« أَرِيْدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي ، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وَهُوْ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا... »[2].

والشاهد (كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ وَهُوْ يَعْلَمُ أَنْ ضَلْعَهَا مَعَهَا) وأصل المثل (لا تنقش الشوكة بمثلها فإنّ ضلعها معها)[3] وهو مثل يضرب للرجل يخاصم آخر ويستعين عليه بمن هو من قرابته أو أهل مشاربه ، ونقش الشوكة إخراجها من العضو تدخل فيه.

---

١. كانت ليلة الجمعة ـ وهي ليلة الهرير ـ فكان جملة من قتل عليّ بكفه في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلاً أكثرهم في اليوم ، وذلك أنّه كان إذا قتل رجلاً كبّر إذا ضرب ، ولم يكن يضرب إلا قتل ، ذكر ذلك عنه من كان يليه في ضربه ولا يفارقه ولده وغيرهم ؛ انظر المسعودي ، مروج الذهب، ٢/ ٣٩٩ ؛ ابن الكثير ، البداية والنهاية ، ط المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، لا.ت.، ٧/ ٢٦٤ ؛ المنقري ، وقعة صفين ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، ط٢ ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي ، قُمْ ، ١٣٨٢ ، ص٤٧٧.

٢. الخطبة ١٢٠.

٣. الميداني ، مجمع الأمثال ، ٣/ ١٨٢.

النوع من الأمثال يسمى « الشّاهد المَثَلي exemple proverbial وتتمثل في تقريب حال معينة أو شخص محدد من حالة أو شخص معروف لأجل الحاقهما بمثلٍ ما »[1]. وكذلك الإمام علي مع أصحابه حينما يسدي نصحه لهم ولكن لا مجيب ، فجيء بالمثل هنا على سبيل الاستعارة التصريحية التي فيها تلميح واضح إلى الهلاك.

وكذلك تشبيه أصحابه في تفرقهم عنه أيدي سبأ[2] المتفرقة :

« أَتْلُو عَلَيْكُمْ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا ، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا ، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي ، حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا »[3].

---

١. فرانسوا مورو ، البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية ، ص٥٢.

٢. أيادي سبأ : « مثل يضرب للمتفرقين (...) وهو بلدة بلقيس ولقب ابن يشعب بن يعرب بن قحطان اسمه عبدشمس ، والأيادي (...) قال الرضي : وهو كناية عن الأبناء والأسرة لأنهم في التقوى والبطش لهم بمنزلة الأيدي (...) وهما اسمان جعلا اسماً واحداً مثل معدى كرب ضرب المثل بهم لأنهم لما غرق مكانهم وذهبت جنّاتهم تبدّدوا في البلاد » ؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة، ٧/ ٩٩ ؛ وورد في موسوعة أمثال العرب أنّ أصل هذا المثل : « أنّ سبأ ، وهم قومٌ كانوا يسكنون اليمن ، لمّا أُنذِروا بِسَيْلِ العَرِم ، خرجوا من بلادهم مشَتّتين في البلاد ، فقيل لكل جماعة تفَّرقوا هذا المثل »؛ إميل بديع يعقوب ، موسوعة أمثال العرب ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ٣/ ٤١٤.

٣. الخطبة ٩٦.

جـ . الجانب الثّالث : التّاريخ

إنّ من الوجوه التي استغلها الإمام علي في خطابه الحربي الذاكرة التاريخية ، إذ اعتمادها كمصدر في التّصوير واضح ، وقيمتها لا تقل عن قيمة الدين والأخلاق والأدب العربي.

ونقسم الصور التي استقاها علي بن أبي طالب من الذاكرة التاريخية إلى ثلاثة أقسام ندرس في الأوّل منها الصور المأخوذة من التاريخ القديم ، وفي الثاني تاريخ العرب في الجاهلية ، وفي الأخير التاريخ الإسلامي.

١ـ التاريخ القديم :

أما صوره المنتزعة من التاريخ القديم فتتميّز بقلتها بالنسبة إلى صوره من غير هذه الحقبة التاريخية ، وهي صور معالم وصور أعلام ، وهي متنوّعة فمنها ما انبنى على كشف وضعية معينة ، ومنها ما انبنى على عَلَمٍ كان له شأن عظيم.

ـ وكذلك نلاحظ كثرة تركيز علي بن أبي طالب على المثل القائل « لاَ يَكْذِبُ الرَائِدُ أَهْلَهُ »[1].

والرائد هو الذي يَقْدِمُ القوم ليكشف لهم أو ليرتاد مواضع الكلأ أو موضع حرز يلجئون إليه من عدو يطلبهم ، ويتعرف سهولة الوصول إليه من صعوبته ، ويأمر الهداة والدعاة الذين يتلقون عنه ، ويوصيهم بالصدق في النصيحة ، وقد استخرج منه الإمام علي صورة الصادق في نصحه وممّا قال في هذا المعنى :

« .. وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ ، وَأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ »[2].

---

١. الميداني ، مجمع الأمثال ، ٣/ ١٩٨.

٢. الخطبة ١٠٧.

٢ـ تاريخ العرب في الجاهلية

الصور التي استقاها علي بن أبي طالب من تاريخ العرب في الجاهلية كانت تصور أحوالهم السيئة وضعفهم وجهلهم ليبين فضل النبي وأهل بيته وفضل الإسلام عليهم.

فمنها تصويره العرب بالعصابة المعصوبة على الآثام قبل الإسلام بصورة قوية ، فقد شبه الإمام علي العرب بالعصابة المعصوبة على الآثام ، ثم حذف المشبه ، واختار العصابة لكون الشد والربط يعطي معنى فيه قوة ، واختار العصابة لكونها تشد الرأس مركز التفكير ، وهو الذي يدل الإنسان على طريق الشر والإثم ، أو يهديه إلى طريق الخير ، ولقد بينت الاستعارة العمق التاريخي للعرب والحال التي كانوا عليها قبل الإسلام «في أيام الجاهلية وما كانوا عليه يومئذٍ من الضنك والضيق ، ومن سوء الحال في أمر المعاش والمعاد (وهي) تذكرة بما منّ الله سبحانه به عليهم من بعث الرسول فيهم وتبديله سبحانه بوجوده الشريف سوء حالهم بحسن الحال في الدنيا والآخرة»[1].

«إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ ، وَأَمِيناً

---

١. حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ، ٣/ ٣١٤.

ومن الأوّل تشبيهه إبعاد جند الإمام علي من أهل الكوفة الظاعنين عنه إلى الخوارج بإبعاد ثمود[١] التي أبعدها الله ، فهو يدعو عليهم بالإبعاد كما أبعدت ثمود :

«بُعداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ..»[٢].

ومن الثاني استعار لفظ القسيّ والنبال لمرمى الأمراض وأسبابها التي هي نبال الموت في تصويره لموت أقوى سلطان في العالم ، وهو النبي سليمان بن داود لاشتمال حكمه على ملك الجن والإنس مع النبوة وعظيم الزلفة عند الله :

«وَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى البَقَاءِ سُلَّماً ، أَوْ إِلَى دَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلاً لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ ، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ»[٣].

---

١. ثمود : قبيلة عربيّة بائدة ذكرتها نصوص أشوريّة في عهد سرجون ٢ القرن ٨ ق.م. أثارها في الحجر بالسعودية قرب مدائن صالح ، المنجد ، ص١٩١.

٢. الخطبة ١٧٩.

٣. الخطبة ١٨٠.

انطلاقاً من النبي وسيرته والفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب.

وقد شبه الإمام عليّ عمر بن الخطاب بقطب الرّحى حينما استشاره في الشخوص بنفسه لملاقاة الفرس :

« فَكُنْ قُطْباً وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ ، وَأَصْلِهِمْ دُوْنَكَ نَارَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هذِهِ الأَرْضِ ، انْتَفَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا »[1].

وتشبيه الإسلام بالبيت ذي العمود ، وتشبيه الإيمان بالشجرة ذات الأغصان ، وتبين فضله وكيفية صنيعه هو وسائر الصحابة في الجهاد بين يدي رسول الله لغرض قيام الإسلام وظهور أمر الله ليتبين للسامعين من أصحابه تقصيرهم بالنسبة إلى ما كان أولئك عليه في جهادهم يومئذ ، فبدأ بذكر ما كانوا يكافحونه من الشدائد ، وأن أحدهم كان يقتل أباه وولده طلباً لرضا الله وذبًّا عن دينه ، ثم لا يزيده ذلك إلا تسليماً لقضائه ، ومضياً على واضح سبيله :

« وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا ، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلاَّ إِيمَاناً ، وَتَسْلِيماً ، وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَم (...) فَلَمَّا رَأَى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ

---

١. الخطبة ١٤٤.

عَلَى التَّنْزِيلِ ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَب عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ (...) الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ ، وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَة »[1].

وهذه الاستعارة في مقام التوبيخ للعرب وترقيق قلوبهم المتسمة بالغلظة والفظاظة ، ولا شك أنّ الإنذار أقوى في الترقيق والرّدع ؛ ولذلك اختاره الإمام علي كونه بشيراً والسبب الأقوى في الرّدع والالتفات إلى الله إنّما هو الإنذار والتخويف.

ومن ذلك تشبيهه وضع العرب قبل البعثة النبوية في ترديهم بوضع قريش في ترديها في فترة خلافته :

« إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً (...) وَإِنِّي لِصَاحِبُهُمْ بِالأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ »[2].

٣ـ التاريخ الإسلامي

ومصادر الإمام علي من التاريخ الإسلامي هي أحداث رواها التاريخ أو أعلام ، يرجع أغلبها من الناحية الزمنية إلى القرن الأوّل الهجري ،

---

١. الخطبة ٢٦.

٢. الخطبة ٣٣.

خاتمة الفصل الرّابع

هكذا خرجت خطب علي بن أبي طالب الحربية في محيط محكم تعكس صوره البيئة العربية البدوية الصحراوية بحيوانات اختارها ، وطيور ، وزواحف فأنزل أتباعه المتقاعسين عن الحرب فيها لما تمثله من ضعف وخلق سيء.

إنّه بصوره هذه يعرب عمّا بداخله من تذمّر من أصحابه ، وما يتمتّع به من روحانية عالية ، ويرتفع بالقارئ العربي إلى كيانه الإسلامي الرفيع.

وخلاصة القول إن أهم ما يميز الصور القائمة على التشابه و التداعي في خطب الإمام علي بن أبي طالب الحربية هو أنّها تمثل مسار الجدة المطلقة ، والعتق الخالص في النثر العربي القديم. وتكمن طرافة الخطب الحربية عند الإمام علي في اختياره لصور معينة من الحيوان كصورة الجمل والناقة والضبع والضب وغيرها في حالة الضعف وعلى المستوى السالب المطلق للأداء ، وهذا اختيار أوجبه علي بن أبي طالب على نفسه نظرًا للظروف التي

الإِسْلاَمُ مُلْقِياً جِرَانَهُ ، وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ ، وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلاَ أَخْضَرَّ لِلإِيْمَانِ عُودٌ»[1].

وتصويره فتنة بني أمية بالنّاب الضّروس (أي الناقة المسنة سيئة الخلق):

«أَلاَ إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أَمَيَّةَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ (...) وايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرُوسِ ، تَعْذِمُ بِفِيهَا ، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا ، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا ، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا»[2].

فاتجاه الإمام علي بن أبي طالب إلى الذاكرة التاريخية تركّز على ما كان له امتداد في عصره من حروب وفتن وقلاقل عاشها ، وتمثل في أثر مادي أو معنوي ، أو على ما كان له انعكاس ما على جوهر الإسلام في ماضيه وحاضره.

إنّ المصادر التجريبية التي قامت عليها صور علي بن أبي طالب في خطبه الحربية تفضي بنا إلى عالم مرئي ، والمصادر الثقافية إلى عالم ذهني ، الأولى تخبر عن شخصية محنكة شجاعة ، والثانية عن شخصية حكيمة مثقّفة عالمة. وكلا القسمين من المصادر ينبني على عاطفة غيورة على الإسلام محبّة للسلام.

---

١. الخطبة ٥٦.

٢. الخطبة ٩٢.

الناجمة عن الصورة الواحدة، وخصوصية صورة الخطيب علي بن أبي طالب المستفادة من النصوص الحربية، وخصوصية الصورة في الخطبة، فقد حملت مؤشرات كانت بمثابة المفاتيح المبثوثة هنا وهناك. وبالتنبّه إليها وتفهّمها كان تفهم الصورة والوقوف على دلالتها المختلفة.

ولئن كانت علاقات التشابه لا يمكن أن تفهم إلا بالتأمل الدقيق والتعرض الفطن إلى ما بين أجزائها من علاقات ظاهرة ومضمرة، فإن عملية التقصي في مصادر الصور وحدها هي التي تبرز تلك العلاقات متشابكة متداخلة في تراكبها وحركتها حيث يظهر شكل ويختفي آخر، وهي بهذه الحركة من الخفاء والتجلي تصبح الأجزاء متينة والصورة مكتملة.

والصورة بهذا المعنى عبارة عن نظام من العلاقات يحكم بعضها بعضاً بين ما هو ظاهر وخفي من الألفاظ والمعاني التي تحملها تلك المرجعيّات للصورة في مجاليها التجريبي والثقافي وكذلك الحسي والمجرد.

وخطب علي بن أبي طالب الحربية تحمل حقلاً من الصور كلما أعملنا فيه ذهننا اتسع، وقد أفضى بنا تحليل مصادر الصّور في نصوص الإمام علي الحربية إلى جملة من النتائج من أبرزها :

١- أنّ من المسلم به أن التصوير له صورتان اثنتان : صورة محسوسة

مرّ بها مع أتباعه المذكورين في ثنايا البحث من أهل العراق عامة ، وأهل البصرة والكوفة خاصة.

هذه صور علي بن أبي طالب حاولنا استجلاءها ، ورأيناه يعتمد الصورة القائمة على التشابه أكثر من الصور القائمة على التداعي ، ونعتقد أننا دللنا على وظيفتها الأساسية ، وعبّرنا عن حقيقتها الباطنية.

وتظل خطب علي بن أبي طالب الحربية قوية في ذلك إذا قيست بطبيعة الخطابة العربية ومميزاتها الخاصة ، ولها قيمة أدبية راقية ، ولها فوق ذلك قيمة تاريخية لا تنكر ، وقيمة أخلاقية في فن الحرب والحياة لا تجحد ، « فما استطاع أحدٌ قط أن يحصي عليه كلمة خالف فيها الحق الصراح في سلمه وحربه ، وبين صحبه أو بين أعدائه »[1].

ولقد سعينا في الفصل الرّابع من هذا العمل إلى بحث مصادر الصّور في خطب الإمام علي الحربية ، وحاولنا إبراز الصور وثرائها بأنواعها المختلفة وأشكالها ومرجعياتها المتعددة ، ولقد تجاوزنا مجرّد البحث في مرجعيّات تلك الصور معزولة عن سياقاتها في بعديها التجريبي والثقافي ، فلم نبحث صورة الجمل مثلاً فننظر فيما تعنيه هذه الصورة والمقام الدافع لجماع الخطبة. ولم نغضّ الطرف أبداً عن زمن الصورة ، وعن تعدد مستويات المعنى

---

١. عباس محمود القعاد ، عبقرية الإمام علي ، ص١٧.

حتى تصل سريعة إلى عقل المتلقي / الأصحاب / الجند / المخاطب عموماً ، فتؤثر فيه ، ولأنّ تعويض المجرد بالمجرد يتطلب مشقة في الفهم وكلفة على المتلقي في ادراك كنه المجرد البعيد عن الحاسة ، لذلك ظهرت صور عالم المحسوس للمحسوس وغابت صور عالم المجرد في خطب علي بن أبي طالب الحربية.

٢- أنّ الخطيب / الإمام عليّا في مقام سياسي يمارس سلطتي الترغيب والترهيب على جمهور السامعين من خلال الصورة. والصور المستخدمة في الخطاب الحربيّ العلوي ، غالباً ما تكون من القرآن الكريم وما فيه من صور قوية الحجّة ، فتراه يخرجها من سياقها الذي نزلت فيه ويجعلها مطية للحجاج في ظروف مغايرة.

ولعل الخطبة التاسعة والثلاثين من مدونتنا الحربية تساعدنا على تحليل هذه النقطة وتوضيحها : فهذه الخطبة ختمت بآية قرآنية هي : «دعوتكم إلى نصر إخوانكم ، فجرجرتم جرجرة الجمل الأسرّ ، وتثاقلتم تثاقل النضو الأدبر ، ثم خرج إليّ منكم جنيدٌ ، متذائب ضعيف ، «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ »[1] ، وقد قالها الإمام عليّ في ذم المتقاعدين والمتثاقلين عن القتال ، وذلك حينما بعث إليه عامله بعين التمر مالك بن كعب مستنجداً من جيوش معاوية القادمة من الشام بقيادة النعمان بن

---

١. الأنفال ٨/ ٦.

وأخرى مجردة ، وبناءً عليهما تتفاوت الصورتان من حيث السهولة والعمق. كما أن « انتقال الشاعر من نقطة إلى نقطة في نفس العالم كأن يصف محسوساً بمحسوس أو يصف مجردًا بمجرد نسميّه تعويضاً ؛ لأنّه في هذه الحالة لا يقوم بمجهود تصويري خلاّق بقدر ما يتولى تنبيه المتقبل إلى زوايا نظر جديدة طريفة ، تعوّض فيها الصورة الموصوف ، أما انتقال الشاعر من نقطة تنتمي إلى عالم إلى أخرى تنتمي إلى ثانٍ ، كأن يصف محسوساً بمجردٍ ومجرداً بمحسوس فنسميه تحويلاً ؛ لأنّ الشاعر إذ ذاك يولد من الموصوف صورة مختلفة يعمل الخيال كثيراً في بلورتها »[1].

ولم نجد في تصويرات الإمام علي تعويض المجرد بالمجرد إطلاقاً في خطابه الحربي ، على العكس من تصويره المحسوس بالمحسوس فإنّه كثير جدّاً على الرغم من أن قوام كلّ من العمليتين هو التعويض.

وهذا ليس بغريب في نظرنا بل لا نراه إلا مناسباً لحقيقة التبليغ. ذلك أن تحرك الباث في عالم المحسوس وسهولة وقوعه على عناصره وعدم كلفة المتلقي في إدراك المجسم القريب من الحاسة تفسّر وفرة الصور الحسية التي تصور المحسوس للمحسوس بمعنى آخر (التعويض عن المحسوس بالمحسوس). وهذا يناسب المقام الحربي الذي يتطلّب صوراً من هذا النوع

---

١. محمّد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص١٩٥.

إنّ تصويرات الإمام علي قريبة ، وتستمد روحها من تجربته الطويلة في الحرب وثقافته الدينية الواسعة[١] ، لا من انفعالات فطرية ، تتطلب مستوى

---

١. فقد عدنا إلى عدّة مراجع لمعرفة ثقافته الدينية العالمة ، نذكر منها عباس محمود العقاد : عبقرية الإمام ، ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، د.ت ، وخاصّة الفصل التاسع ثقافته ، ص١٢٢ ـ ١٣٧.

« وخلاصة ذلك كله ، أن ثقافة الإمام هي ثقافة العلم المفرد والقمة العالية بين الجماهير في كل مقام.. وإنّها هي ثقافة الفارس المجاهد في سبيل الله ، يداول بين العلم والسيف ، ويتشابه في الجهاد بأسه وتقواه.. لأنه بالبأس زاهد في الدنيا مقبل على الله ، وبالتقوى زاهد في الدنيا مقبل على الله.. فهو فارس يتلاقى في الشجاعة دينه ودنياه ، وهو عالم يتلاقى في الدين والدنيا بحثه ونجواه.. ».

ونذكر في هذا الخصوص محسن على المعلّم : العقائد من نهج البلاغة ، ط١ دارالهادي ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص٩ ـ ١٦ ، فقد تحدث عن الإعداد الإلهي التكويني لشخصية الإمام علي ، ومصادر علمه، وطرق التعرف على أبعاد شخصيته. وقد اعتمدنا اعتماداً كبيراً على مقدمة تحقيق الكتاب التالي: الزمخشري : الكشاف ، ط١ ، مكتبة العبيكان ، ١٩٩٨ ، ص٥٠ ، فعندما ذكر المحقق أشهر مفسّري القرآن من الصحابة قال : « وأمّا علي ـ كرم الله وجهه ـ فهو أكثرهم تفسيرا للقرآن ؛ وذلك لأنه لم يُشْغَلْ بالخلافة ، وإنّما كان متفرغاً للعلم حتى نهاية عصر عثمان. وكثرة مرافقته للرسول (ص) وسكناه معه ، وزواجه من ابنته فاطمة ، إلى جانب ما حباه الله من الفطرة السليمة.. كل ذلك أورثه العلم الغزير ، حتى قالت عائشة ، رضي الله عنها : « أما إنّه (الإمام علي) لأعلم النّاس بالسُّنَّةِ » في زمن كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ متوافرين.

وروي معمر ، عن وهب بن عبدالله ، عن أبي الطفيل ، قال : « شهدت عليّاً يخطب وهو يقول : سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم : أبليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل ».

←

بشير[١]. بينما سياق الآية ـ وهي مدنية ـ نزلت بعد وقعة بدر، «وهي تقص بعض أخبار بدر، وتذكر مسائل متفرقة تتعلق بالجهاد والغنائم والأنفال ونحوها، وأموراً أخرى تتعلّق بالهجرة، وبها تختتم السورة»[٢].

وهذا يعني أن الإمام عليّا يقرّب خطابه الحربي من الخطاب القرآني في مادّته حتى يقوي حججه، وما اعتماده على آيات القرآن كما هي إلا لكونها حاملة شحنة دينية في دلالتها ولكونها حاملة لبلاغة الصورة، وهو بهذه الصورة يمارس إحدى السلطتين المذكورتين على المسلم باعتبار أن الإمام عليا سائس، فيسبغ على خطابه شرعية دينية تجعل المتلقي يذعن لخطابه، وما الإذعان إلا لون من ألوان الحجاج أو معطىً من معطياته، والخطيب حينما يختار معطياته الحجاجية، فهو إنما يقوم بذلك الفعل ليخدم تأويلاً يقصد إليه قصداً دون سواه من التأويلات الممكنة، والتأويلات وحدها هي التي «تكشف عن نظام معتقداته المخصوص وعن رؤيته الخاصة للعالم»[٣].

---

١. انظر مثلا: ابن أبي الحديد المعتزلي (٦٥٦)، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٦٣ ـ ٤٦٧. لمزيد من المعرفة حول الغارة التي شنها معاوية على عين التمر التابعة للإمام علي.

٢. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٩/ ٥.

٣. انظر مقال عبدالله صوله «الحجاج: أطرُهُ ومنطلقاته وتقنياته من خلال» مصنف في الحجاج ـ الخطابة الجديدة «لبرلمان وتيتيكاه» ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص٣١٦.

الفصل الخامس

وظائف الصور

من الشعور والتكوين وأحياناً تتطلب استعداداً نفسياً مجرداً أو روحياً خاصاً ، والخطب الحربية لم تخل من العاطفة الناضجة.

→

وقيل لعطاء : أكان في أصحاب محمد أعلم من علي ؟

قال : لا ، والله لا أعلمه.

وقال ابن مسعود : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن ، وإن علي بن أبي طالب عنده من الظاهر والباطن ».

الفصل الخامس

وظائف الصُّور

تمهيد

نروم في هذا الفصل البحث في الوظائف التي تؤديها الصُّور في خطب الإمام علي الحربية ؛ فقد خصصنا الفصل السَّابق للتحقيق في طبيعة الصور الواصفة المستخدمة في المدونة العلوية الحربية ، وحاولنا إخضاعها لميادينها الكبرى طلباً لتعيين مصادرها وغايتنا في هذه المرحلة أن نكشف أبرز الوظائف التي تحملها تلك الصور في تلك الخطب.

فوظائف الخطابة هي «الدفاع عن الرأي ، وتنوير الرأي العام في أي أمر من الأمور ، والحض على الاقتناع بمبدأ من المبادئ، والتحريض على اكتساب الفضائل والكمالات واجتناب الرذائل والسيئات ، وإثارة شعور العامة وإيقاظ الوجدان والضمير فيهم. وبالاختصار وظيفتها إعداد

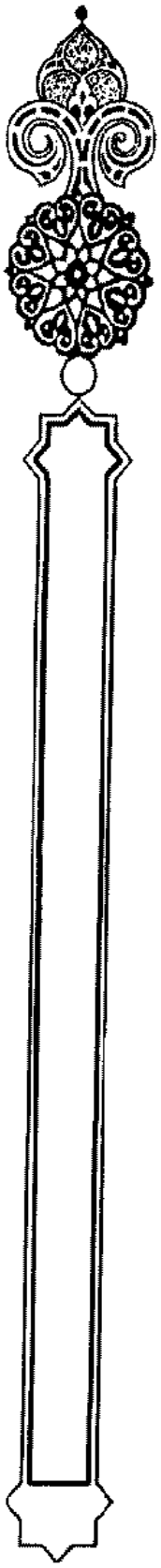

الفصل الخامس

وظائف الصّور

تمهيد

المحور الأوّل : التوبيخ

التوبيخ بالتشبيه

التوبيخ بالاستعارة

التوبيخ بالكناية

المحور الثاني : الاستشهاد

المحور الثالث : المثال

المحور الرّابع : الأنموذج

المحور الخامس : توظيف الحكمة

خاتمة الفصل الخامس

التعريف القائل «إنّ الحجاج خطاب إقناعي»[١] بمعنى أنّه خطاب يسعى إلى إحداث التأثير في المتلقي و حمله على تبني موقف ما أو القيام بعمل ما غير أنّ نسبة الحجاج إلى النص على سبيل الوصف لا تعني بالضرورة استقلال هذا النوع من القول بنص مسيّج بضوابط شكلية و معنوية تؤسس هويته إذ قد نجد الحجاج في النص الوصفي أو السردي أو الشعري أو غيرها من النصوص والأكثر من ذلك يذهب البعض إلى أنّ اللغة أصلا متورطة في الحجاج إذ كلّ قول مرشح نظريا للرد من قبل المتلقي و هو ردّ يتحول بدوره إلى مثير يحدث استجابة[٢].

إننا نكتفي هاهنا بحدّ الحجاج دون التوسع في مسائله الفرعية إذ القصد من إيراده هو ضبط الإطار المرجعي لبيان علاقة الصور الفنية في خطب الإمام علي بالوظيفة الحجاجية، فكيف إذن بنى الخطيب هذه الصور على نحو يجعلها تنهض بوظيفة حجاجية ؟

لقد أناط أغلب البلاغيين والنقاد القدامى وظيفة الصورة بـ « الإقناع بالفكرة »[٣]، وربطوا ذلك الإقناع بالقدرة على التحسين والتقبيح ؛ وذلك

---

١. أنظر تفصيل ذلك في «كورنيليا فون راد ـ صكوحي » الحجاج في المقام المدرسي، منشورات كلية الآداب منوبة، ٢٠٠٣، ص ١٥ و الصفحات التي تليها.

٢. هكذا يفهم الكلام في ضوء اللسانيات التوزيعية المتأثرة بالمدرسة السلوكية في علم النفس.

٣. جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، ص٣٢٨.

النفوس لتقبل ما يريد الخطيب أن تقتنع به »[١]. ولئن كانت الغاية منها هي « الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان »[٢] فإنّ ذلك يجعل الوظائف الحجاجية الوظائف الأهم في أي خطبة. ولما كان ذلك كذلك فإنّ خطب الإمام عليّ الحربية كغيرها من الخطب برزت فيها الوظيفة الحجاجية بروزا واضحا ومميزا ، وبهذا كان لابد من التركيز على هذه الوظيفة.

و نعني بالوظائف الحجاجية[٣] تلك الوظائف التي تحمل مجموعة من الوسائل التي تحقق من خلالها الخطبة أهدافها ، ونعني بالوسائل الأدوات اللغوية والأساليب والأبنية التي تشهد على أن النص حجاجي. و لكن ما مفهوم الحجاج الذي يمكن أن نستند إليه لتحليل هذه الوظائف ؟

بصرف النظر عن الاختلاف و التنوع الحاصلين في تحديد مفهوم الحجاج و ما يتبع ذلك من مسائل فرعية فإنه يمكن الاستئناس بذلك

---

١. محمد رضا المظفر، المنطق، ص٣٦٨.

٢. أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ٢٩.

٣. هناك من تعرض لوظائف الصورة في نهج البلاغة كقصي الشيخ عسكر إلا أنه لم يعرض للوظيفة الحجاجيّة التي نرى أنّها أهم الوظائف ؛ انظر قصي الشيخ عسكر ، التشبيه والاستعارة في نهج البلاغة ، ١٩٨٨.

تعقبه أو تصاحبه »[١].

ولما كانت الوظيفة الحجاجية هي أهم ركن في أغراض الخطابة ؛ فإننا سنقصر تناولنا لوظائف الصور على الوظائف الحجاجية في المدونة بغرض استكشاف آليات الإقناع وتوظيف الصورة في ذلك الغرض.

والصورة في خطب علي بن أبي طالب الحربية تحمل وظيفة حجاجية تتبعناها في المدونة العلوية خطبة خطبة وصورة صورة فلم نظفر إلا بالحجاج وقد أخذت الصورة الفنية أبعاداً وظيفية أخرى ضمن نطاق الحجاج وهي على النحو الآتي: التوبيخ، الاستشهاد ، والمثال ، والأنموذج وعكس الأنموذج ، وتوظيف الحكمة[٢].

---

١. جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب.، ص٣٢٨.

٢. إن ما استخدم من مصطلحات تخص وظائف الصورة حجاجيّاً لم نحدثه ولم نبتكره بل عوّلنا في ذلك على ما تُعُرِفَ قديمًا وخصوصاً لدى أرسطو في كتابه الخطابة ، ممّا وصلنا من آرائه في هذا الشّأن واتكأتُ في هذا التصنيف على ما ذهب إليه الأستاذ عبدالله صولة في مقاله الموسوم بـ« الحجاج : أُطُرُهُ ومنطلقاته وتقنياته من خلال « مصنف في الحجاج « الخطابة الجديدة » لبرلمان وتيتكاه الذي يمسح الصفحات من ص٢٩٧ إلى ص٣٥٠ ضمن المصنف الجماعي « أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم » الصادر في سلسلة الآداب عن جامعة الآداب والفنون بمنوبة بالمجلد ٣٩ بإشراف الأستاذ حمادي صمود طبعة ١٩٩٨ ولمزيد من التدقيق راجع الصفحات ص ص٣٣٢ – ص٣٤٢ ، وكانت تسمياتنا مطابقة لما نسب للعلم الأوّل أرسطو وما أقرّته البحوث ←

لأنّ الصورة الفنية في أي خطاب تقنع بالفكرة وتؤدي إلى التسليم بها، إلا أنهم مع ذلك لم يتوسعوا فيها بما فيه الكفاية.

ونكاد نجزم أنَّ المبحث الحجاجيّ الحديث في الغرب[1] لم يتجاوز ما توصل إليه قدامى العرب بخصوص وظيفة الصورة الفنية في الكلام باعتبار أنّها لإظهار المجرّد في شكل المحسوس، ولجعل الغائب شاهد، ولتقوية الشعور لدى المتلقي بحضور الأشياء من أجل إقناعه والتأثير فيه.

وعن مسألة القول بالتأثر يقول جابر عصفور: «تنبع أهمية الصورة من طريقتها الخاصة في تقديم المعنى، وتأثيرها في المتلقي، ولكن ما هي أبعاد ذلك التأثير؟ وهل ينحصر مداه في نوع من المتعة الذهنية الخاصة، فيعجب المتلقي ببراعة الشاعر في بناء صوره وتلطفه في الدلالة على معانيه فحسب؟ أم أن تأثير الصورة يتعدى حدود هذه المتعة الشكلية، فيثير انفعالات المتلقي إثارة خاصة، تدفعه إلى موقف أو سلوك بعينه؟ عن هذا المستوى نجد أنفسنا نتجاوز تأثير الصورة في ذاته، إلى تأمل طبيعة الاستجابة التي

---

١. انظر تفصيل ذلك في: عبدالله صوله: الحجاج في القرآن، ص٥٦١ وما بعدها. «إنّ الدّراسات الحجاجية الحديثة في الغرب (...) لا تكاد تضيف شيئاً إلى ما كان قاله القدماء عن وظيفة الصورة الفنية في الكلام (...) فكأنه ما ترك الأوّل للآخر شيئاً»، ويضيف عبدالله صوله حول ما تركه القدماء بخصوص وظيفة الصورة في القرآن: «فممّا تركه القدماء لنا في هذا الموضوع غير مفكر فيه تفكيراً منهجيّا منظّما تحليل الطرائق التي بها يحصل تأثير الصورة في المتلقي».

المحور الأول : التوبيخ[1]

نتناول في هذا الجانب ـ وفق ما يقتضيه البحث ـ (الصّورة الفنّيّة) إذ سنتناولها باعتبار أنّها منتجة للتوبيخ ، فما التوبيخ ؟ وهل كلّه يجري على درجةٍ واحدةٍ أو عمقٍ واحد ؟ وما معيار التفريق بين هذه الدرجات إذا كان التوبيخ مختلفاً ؟ نحن نعلم أنّ الصورة لها وجهان ؛ مادة وشكل ، ومعيارنا سيمرّ ضرورة من مادة تشكيلها وصياغتها والتي هي حتماً اللغة، فالصورة الفنّيّة كما هو معهودٌ تتشكل بقوالب مختلفة فهي ، إما تشبيه وإما استعارة وإما كناية وإما مجاز ، وهذه التراتبيّة المذكورة تحترم درجات العمق بدءًا من اليسر والسهولة وصولاً إلى الإيغال في الخيال والتخييل دون أن تكون شاذةً عمّا اتفقت عليه المخيلة الجماعية والمخيال الجمعي للحضارة المنتجة لهذه الصورة ، فلقد اتفقت الذائقة العربية على اعتبار هذا

---

١ . راجع في هذا الصدد بخصوص مصطلح التوبيخ نهاية المقالة الثانية من كتاب تلخيص الخطابة لابن رشد ص ٢٣٤ ـ ٢٤٨.

وأظهر ما تكون حجاجية الصورة في التمثيل ؛ الذي يعدّ من الخصائص الأسلوبية البارزة في خطب الإمام علي الحربية. فالأمثال كثيرة في المدونة العلوية. ولعل كثرتها هي التي دفعت بعض القدماء وحتى المحدثين إلى عقد كتب مفردة في أمثال نهج البلاغة[1] .

وتضطلع الصورة في الخطب الحربية التي بين أيدينا بمهمات حجاجية أو قل وظائف حجاجية مختلفة باختلاف مواقعها من جسد النص الحربي ثم باختلاف الأهداف الكامنة وراء الإتيان بها في الخطاب الحربي والاعتماد عليها ، ولقد عالجنا المواقع والأهداف فوجدناها في « المدونة العلوية » خمسة أصناف : التوبيخ و الاستشهاد و المثال و الأنموذج و توظيف الحكمة.

→

اللاحقة وصولاً للحظة برلمان وتيتكاه على أن أي تصنيف راهن أو مستقبلي قد يفيدنا ويكون عونا لغيرنا.

١. انظر مثلا : محمّد الغروي ، **الأمثال في نهج البلاغة** ، ط ١ ، قُمْ ، انتشارات فيروز آبادي ، ١٩٨١؛ وقد خصص إميل بديع يعقوب في كتابه **موسوعة أمثال العرب**، في الفصل الرابع من الجزء الأوّل الكتب التي تحدثت عن أمثال الإمام علي ، فذكر منها أمثال سيدنا علي لعمرو بن بحر الجاحظ (٤٥٥/ ٨٦٩) ، ومائة حكمة ومثل بالعربية والفارسية مع تفسير لرشيد الدين الوطواط (٥٣٧/ ١٧٧٠).... وغيرهما.

المقصود بالوصف ليس الظفر والفوز وإنما الخسران المبين ، وكأنّنا بالعلاقة في النّص الخطابي بين ما يُقَال وما يُفْهَم من قبيل التشبيه القائم بين المشبه (أهل العراق) والمشبه به (المرأة الحامل) فهو يتحدث عن المرأة الحامل لكنّه يصف ما كان حدث منها بعد تمام الحمل واكتماله وصفًا لا يهدف إلى تأكيد الإخبار وإنّما إلى التّوبيخ والإمعان في التقريع وذمّ أهل العراق على إضاعة فرصة النصر ، كالمرأة الحامل فبعد أن تمّت شهورها وأوشكت أن تضع مولودها أجهدت نفسها فسقط الجنين ميتاً.

ولئن كان الوصف بغاية التقريع والتوبيخ لأهل العراق عامة في الخطبة السابقة ، فإن الإمام علياً توجه هذه المرة في نصه لأهل الكوفة خاصة :

«يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ (...) يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رَعَاتُهَا ، كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ ، تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانَبٍ آخَرَ. وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَحَمِيَ الضِّرَابُ وَقَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا. وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي. وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقطًا »[1].

هذا الوصف سلبي لأهل الكوفة الذين تباطؤوا عن نصرة الحق ، إنّه وصف بغاية التّقريع والتّوبيخ بل يتعدى ذلك إلى الإقذاع الذي يصل إلى

---

١. الخطبة ٩٦.

التسلسل وحكّمته مع جهابذة البلاغة ، ولا نرى أن العصر الحاضر انحرف أو تزحزح عمّا اتُفق عليه سابقاً.

فكيف كانت الصورة الحاملة لوظيفة الحجاج المفرزة للتوبيخ في المدونة العلوية ؟ وهل ورد فيها كلّ أطياف التوبيخ السّالفة الذّكر ؟

١ـ التوبيخ بالتشبيه

يقول الإمام علي من خطبة له في ذمّ أهل العراق :

« أَمَّا بَعْدَ : يَا أَهْلَ العِرَاقِ ! فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ ، وَمَاتَ قَيِّمُهَا ، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا ، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا (...) »[1].

إنّ هذا الضرب من الصّور التّشبيهيّة هو إفراغ للموصوفين (أهل العراق) من كل ما هو إيجابي وإثبات لكلّ ما هو سلبي يعمد إليه الخطيب / الإمام علي ويخص به الأشخاص دون الواقعة (حرب صفين)[2] ، فيوهمنا الإمام علي في بادئ الأمر أنه يصف المرأة الحامل التي فازت بحمل من زوجها ، وأن أصحابه قد حققوا نصرًا وظفرًا على الأعداء في حين أن

---

١. الخطبة ٧٠.

٢. يريد الإمام علي القول أنّ أصحابه من أهل العراق لمّا شارفوا استئصال أهل الشّام في حرب صِفين وبدت لهم علامات النّصر والظّفر بأصحاب معاوية ، جنحوا إلى السّلم ، إجابة لطلاب التحكيم.

(١) التّوبيخ بالاستعارة التّمثيليّة :

يذهب الطرابلسي إلى أنّ الاستعارة التمثيلية هي «كلّ الصور التي تعدّدت فيها وجوه المستعار بصرف النظر عن قيامها على مثل أم لا»[١].

إنّ هذا التعريف شامل ينطبق على الصور الاستعارية التمثيلية القائمة على المثل وغيره في حدود الاستعارة التمثيلية، وسوف نعتمده في تحليلنا.

والإمام عليّ يعمد إلى التّوبيخ بالاستعارة التّمثيليّة في مقام التّوبيخ والتّقريع بكثرة بالغة. وإذا علمنا أنّ أتباعه أفسدوا عليه رأيه بالعصيان والخذلان على نحو ما يُفْهَم من نصوصه الحربيّة الواردة في المدونة وبالخصوص النّص السّابع والعشرون[٢]، فإنه لم يعد من الغريب أن نلمس ألوانا من التوبيخ بالاستعارة التّمثيليّة عنده.

فمن الاستعارات التمثيلية التي لم تقم على أمثال عربية معروفة، قوله:

«فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ، قُلْتُمْ: «هَذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ أَمْهِلْنَا يُسَبَّخ عَنَّا الْحَرُّ»، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ، قُلْتُمْ: «هَذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخ عَنَّا الْبَرْدُ» كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ

---

١. الطرابلسي، خصائص الاسلوب في «الشوقيات»، ص ١٦٨.

٢. إذ يقول فيها «... وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان». وحتى قال قولته الشهيرة في أتباعه والتي أصبحت مثلا فيما بعد «وَلكِنْ لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ» في الخطبة ٢٧.

حـدّ الهجاء ، فأهل الكوفة كالإبل تحقيراً لهم ، وقد حطّم الخطيب / الإمام علي كلّ فرصة لأهل الكوفة في النجاة ببعض من كرامتهم.

ونـكاد نجزم أنّ معظم صـور المدونة العلوية الحربية صـورٌ مـن هـذا النّوع فالخطيب يـأتي بالـصّورة الفنّيّـة الحاملـة لوظيفـة حجاجيّـة بغـرض التّقريع والتّوبيخ ، وقد طغت الصّور الحاملة للصفات السّالبة (التّقبيحيّـة) بشكل لافت ، ومـرد ذلـك ـ في رأينـا ـ إلى أنّ الغايـة مـن الـصورة فـي خطاب علي بن أبي طالب الحربي هـي إحداث التأثير الوجـداني في نفـوس المتلقين من جمهور المسلمين سواء أكانوا حضوراً كـ(أصحابه) أم غائبين كـ (طلحة والزبير وعائشة ومعاوية).

هذا شأن التّوبيخ بالتّشبيه ، على أننا اقتصرنا عـلى نمـوذجين دالـين دون إطالة.

٢ـ التّوبيخ بالاستعارة

التّوبيخ بالاستعارة متنوِّعٌ في «المدونة العلويّة» ، إذ يلجأ الإمـام عـلي في خطبه الحربية إلى التوبيخ بنوعين من الاستعارة هما :

التّوبيخ بالاستعارة التّمثيليّة ، والتّوبيخ بالاستعارة غير التّمثيليّة.

أَمَـرْتُـكُـمْ أَمْـرِي بِـمُـنْـعَـرِجِ اللِّـوَى

فَـلَـمْ تَسْتَـبِـيـنُوا النُّـصْـحَ إِلاَّ ضُـحَى الْـغَـدِ[1]

فلقد مثّل الإمام علي حاله وحالهم وقد رفض التحكيم وهم أصروا على قبوله ، فاضطر إلى أن يرضى به ، فجاءت نتيجته خدعة ، فما كـان مـنهم إلا أن ثاروا على الإمام ، فصارت حاله وحالهم مثل حـال الـشاعر دريـد بـن الصمه وقومه[2]. ولقد وبخهم الإمام علي على عدم الأخذ بالنـصيحة التـي أسداها إليهم ، ومن ثم تمكن معاوية وعمرو بن العاص منهم ، ولم يتبينـوا قيمة نصحه إلا بعد فوات الأوان كحالة الشّاعر مع قومه.

فالاستعارة التّمثيليّة من الأساليب التي يخرج الإمام علي بهـا مـن مجـرد التّقرير والإخبار إلى التّحريك والإيحاء ، فتكون الاستعارة أظهر لانحصار كلّ الضوء فيهـا خـصوصًا أنّ الأمثلـة الّتـي أدرجـت في بـاب الاسـتعارة التّمثيليّة أكثرها قامت على أمثال وأشعار عربية معروفة.

(٢) التّوبيخ بالاستعارة غير التّمثيليّة

يعمد علي بـن أبي طالـب في الخطبـة الحربيّـة إلى تـوبيخ أصـحابه وربـما

---

١. الخطبة ٣٥.

٢. راجع البحث في أعلاه في الفصل الثاني « الصور القائمة على التشابه » ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ »[١].

فالإمام علي يصوّر الحرّ والبرد بالجيش المداهم لأتباعه وهم يفرون منه ، وذلك لأنّ الفرار لا يكون إلا من شيء عظيم مخيف ، ولكنّ فرارهم من الحرب أكبر ، واستعار لها لفظة السّيف التي هي آلة الحروب ، فقد وبخهم على امتناعهم عن الجهاد بتكاسلهم وتخاذلهم وجبنهم.

ومنها ما قام على مثلٍ بعبارته المعروفة في كتب الأمثال ، مع شيء من التصرف في تركيبها ، كما في قوله:

« وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ »[٢].

فعبارة « لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ » استخدمها الخطيب من قولهم في الأمثال « لايطاع لقصيرٍ أمر » في كل أمر لا يطاع الناصح فيه، وينتهي بفشل، فلقد وبخهم الإمام على عدم الطاعة والاستماع إلى سديد رأيه ولطيف نصحه قبل التحكيم الذي انتهى بهزيمة اتباع علي في معركة صِفِّين.

ومن استعارات الخطيب التمثيلية ، ما قامت على صور يضرب بها المثل كما في قوله: « فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ :[الطويل]

---

١. الخطبة ٢٧.

٢. الخطبة ٣٥.

استعارات تصريحية ليس وراءها إلا التوبيخ الشديد ، فالصورة ترد حجاجية مكثفة ومركزة ممّا يؤدي إلى السيطرة على العقول حتّى تستخرج من المعاني عصارتها ، وتصل مع الخطيب إلى مراده.

٣ـ التوبيخ بالكناية

يقول الإمام علي بعد واقعة الجمل وهي خطبة في منتهى التقريع والتوبيخ لأهل البصرة : « كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ ، أَخْلاَقُكُمْ دِقَاقٌ ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ ، وَدِيْنُكُمْ نِفَاقٌ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ ، وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ. قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا (...) »[1].

إنّ مما يعمق دلالة الوصف السالب لأهل البصرة ، ويجعل فعل الخطيب يتعدى من السّلب إلى الإقذاع والهجاء ـ إن صحت العبارة ـ هو أنّهم كانوا جنداً لامرأة هي أم المؤمنين عائشة كما يتضح من سياقات الواقعة. فبإرجاع ألفاظ الخطبة إلى مراجعها ، يصبح ضمير المخاطبين يخص (أهل البصرة) و(المرأة) في النص هي عائشة و (البهيمة) هو الجمل التي كانت عائشة تركبه في المعركة التي سميت باسمه (معركة الجمل).

---

١. الخطبة ١٣.

انسحبت صور التوبيخ بالاستعارة إلى خاتمة الخطبة كقوله:

ـ «دَعَوتُكُمْ إِلَى نَصْرِ أُخْوَانِكُمْ، فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسَرِّ وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الأَدْبَرِ»[1].

ـ «أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ بَابَهُ، وَانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا، وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا»[2].

في هذه الصور ترد الاستعارة تصريحيه حاملة ألوانا من التوبيخات لجمهور المسلمين، فأداة التشبيه وردت مفعولا مطلقاً (جرجرة، تثاقل، انجحار)، أي مصدرا مشتقاً من الفعل الذي يتصدر موضوع الخطبة وهو أنّ الأمام استنفرهم لقتال معاوية فلامهم على تقصيرهم، وفي ما أتوه تعبيرا عن رفضهم للجهاد، وخوفهم ممّا قد يلحقهم منه من الأذى.

بيد أن بين المصدر والفعل فروقا ـ كما تعلم ـ لا من حيث الصيغة فحسب، بل من حيث الدلالة أيضا. فجرجرة المسلمين هي غير جرجرة الجمل، وتثاقلهم هو غير تثاقل النضو الأدبر، وانجحارهم هو غير انجحار الضبع في وجارها.

فأما معاني المصادر فعلى الحقيقة، وأما معاني الأفعال فعلى المجاز، وهي

---

١. الخطبة ٣٩.

٢. الخطبة ٦٨.

ضِمْنِهَا». ولما كان عمل أهل البصرة سالباً في كلٍّ من الزّمانين : الماضي والحاضر فقد وصف الخطيب مستقبلهم وجعله سالباً كذلك ، جراء ما صنعوا به ، إذ جعل مستقبل البصرة في صورة عذاب ينصب عليها ، فيغرقها الماء ، ولا يترك من بيوتاتها إلا قبة المسجد.

وقد صاحب الانتقال من حيز التّأنيب والذّم والتّقريع والتّوبيخ إلى حيز الوصف السالب إلى الإخبار إلى ما ستؤول إليه البّصرة من دمار وما ستعيشه من عذاب وغرق تغييراً في مستوى أداوات التعبير المستعملة ، ونعني الصورة التي حضرت في القسم الأوّل وغابت في القسم الثّاني ، وحضرت في القسم الثّالث حضوراً لافتاً للانتباه. إن هذا يدفعنا إلى القول إنّ الصورة أقرب إلى نفس الخطيب / الإمام علي وأوفى في تأدية المعنى بينه وبين جمهور المسلمين عبر عملية التّواصل. فهي كالمرآة تعكس مواقفه وأفكاره. وهنا عكست لنا مختلف الصورنفسية تتقد غضباً سواء كان على مستوى بنائها وترتيبها أوعلى مستوى دلالاتها.

ذكر الخطيب في بداية القسم الأوّل أربع صور فنية ليس لها من وظيفة سوى الحجاج الذي حمل ألواناً من التقريع والتوبيخ لأهل البصرة ، وتبرز الصور الكنائية تلبّس أولئك الموصوفين بالخصال الدنيئة في الدين والدنيا ، وانسلاخهم من الخصال الكريمة ، والمراتب الرفيعة ، والقيم النبيلة

والخطيب قد قسم الخطبة إلى ثلاثة أقسام ، راعى في القسم الأوّل الزمن الماضي ، وفي القسم الثّاني الزّمن الحاضر ، وفي القسم الثّالث الزّمن المستقبل ، وركب صوره في القسم الأوّل والأخير.

أما القسم الأوّل فهو الزّمن الماضي فقد عبّر عنه بقوله : «كُنْتُمْ جُنْدَ الْمْرَأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ» ، وهي مجموعة صور كنائية دالة على الذم والتقريع والتوبيخ لأهل البصرة وقد صدّرها الإمام علي بالفعل (كنتم) الدال على المضي وأردفه بأربعة أفعال دالة على المضيّ أيضاً وهي : (رَغَا ، أَجَبْتُمْ ، عُقِرَ ، هَرَبْتُمْ).

وأما القسم الثّاني فهو الزّمن الحاضر فهي تعبّر عن حاضر المتلقين المعيش ، وقد عبّر عنها الخطيب بقوله : (أَخْلاَقُكُمْ دِقَاقٌ ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِيْنُكُمْ نِفَاقٌ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ ، وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ (...) وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ) وهي جمل اسمية دالة على الدوام والثبات ، وقد خلا هذا الزمن الحاضر من الصور الفنية إلا أنّه لم يخل من الصفات السالبة والذميمة لأهل البصرة.

وأما القسم الثالث فهو الزمن المستقبل ، فقد أظهرت مستقبل المخاطبين ومستقبل مكانهم وعبر الخطيب عنها بقوله : «كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ ، قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي

إنّ حركة الصورة هنا ذات ثلاثة أحوال : حركة وكثافة وسرعة في أول الخطبة ، ثم سكون في وسطها وحركة في آخرها. ونشير أيضاً إلى أن عدداً من الخطب الحربية التي تضمنتها المدونة العلوية كانت خواتيمها صوراً[1]. وهي طريقة في الحجاج مهمة جداً لأن آخر ما يسمع في الخطاب يظل يرنُّ في مسامع جمهور المتلقين للخطاب ، فما بالك إذا كان آخر ما يسمع تصويراً ومجازاً ؟ يحصل إذ ذاك لدى السامع رنينٌ و تخييل معاً ، وفي اقترانهما يقوى التأثير.

إنّ هذه الطريقة في العرض تجعل الإمام علياً أقدر على التحكم في شدّ انتباه الجمهور من المسلمين ، لعل هذا من أكبر العوامل التي تحمل على الإذعان له وعلى التسليم بصحة ما يقول وتصديقه. فجانب كبير من التّأثير النّفسي يحصل بطريقة عرض الصور في الخطبة.

ولئن كان التوبيخ في المدونة العلوية أنواعاً حللناها آنفاً واختلافها هذا ليس بالضرورة دالاً على التّنوع دون التقاءٍ فلو أنعمنا النظر جيدا لوجدنا أنّ التّوبيخ بالتّشبيه يصبُّ في خانة رديفه بالاستعارة ، وكذا شأن الأخيرة تصبّ في بوتقة التوبيخ بالكناية وهذه تؤدي حتما إلى المجاز فالاختلافات

---

١. انظر على سبيل المثال : ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٠.

الشريفة. وهذا ما أراد علي إثباته من خلال صوره الأربع المتتالية التي يبينهم بها. وجعل الحديث مقيداً بحادثة هي (واقعة الجمل) بقوله (وأتباع البهيمة) ويقصد الجمل.

ثم يعود في نهاية الخطبة بصورة فنية يذكر فيها مستقبل البصرة التي تصاب بالعذاب والغرق[1].

ونلاحظ إذن مدى التوافق بين حال الخطيب النفسية وكيفية بنائه الخطبة وتوزيع الصور فيها. فقد تميزت بشيء من الاستقرار وهو يوبخهم على ما كان منهم في حرب الجمل ، والحال أنّه يمهد بذلك التوبيخ لإفراغ الموصوفين من أهل البصرة من كلّ ما هو إيجابي ولإثبات كلّ ما هو وسلبي، فالتوبيخ والتقريع يحتل القسم الثاني كاملاً. وقد اتسم بنفس تصاعدي حادٍّ يظهر جلياً في طريقته في عرض الصور ، فالقسم الأوّل حمل أربع صور كنائية كبرى ذمّ فيها أهل البصرة وبيّن خفّة أديانهم وذلك برياسة المرأة عليهم ، وسقوط مروءتهم وشهامتهم ، وجهلهم ، وفشلهم ، وهروبهم من المعركة ، أما القسم الأخير فجاء بصورة واحدة بيّن بها ما ستكون عليه المدينة مستقبلاً إذ يحل عليها العذاب فتغرق فلا يبقى إلا قبة مأذنة المسجد.

---

١. انظر الخطبة ١٦٢ ففيها تفصيل لما سيحدث في البصرة بصورة فنية رائعة.

المحور الثّاني : الاستشهاد

الاستشهاد يجيء في النص العلوي على أساس أنّ القاعدة قد سبقته إلى الذهن والمراد منه مزيد من ترسيخها بأدلة[1] واقعية غالباً ما تكون معلومة المصادر كأن تكون من الوقائع المشهورة أو من الشعر أو من الأمثال العربية المعروفة.

والاستشهاد بالقرآن الكريم كثير في المدونة العلوية ولاسيما بالصورة. يقول الإمام علي في ذمّ المتقاعدين عن القتال « مُنِيتُ بِمَنْ لاَ يُطِيعُ إِذَا أَمَرتُ، وَلاَ يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ (...) دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ ، فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الجَمَلِ الأَسَرِّ ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الأَدْبَرِ ، ثُمَّ خَرَجَ

---

١. يرى صالح بن رمضان في الرسائل الأدبيّة ، ص٤٨٤ أنّ « الشاهد الأدبي ذو الوظيفة الإقناعيّة يمثل نوعاً من أنواع الأدلّة في الحجاج » وهذا رأيٌ سديد وذلك لأنّ استخدام الشاهد استخداماً صريحاً ، سواء كان بتضمينه ونسبته إلى قائله ، أو بتحويره وتنبيه القارئ إلى مصدره ، نظراً لما بين الخطيب والمخاطب من ثقافة وقيم مشتركة ، يمثل الشاهد جزءاً منها .فالخطيب يرمي باستعمال الشاهد إلى إشراك جمهور المسلمين المخاطبين في الرأي نفسه الذي يعبّر عنه.

بين أقسام علم البيان لم تكن إلا اختلافات إجرائية طفيفة ، فمقدرة الإمام علي على حياكة القول وصناعته جعلت سداء الخطاب واحدا وكانت الصورة (خلالة) تدك اللفظ وتحشده فيستوي ولا يرعوي ويكون جاهزا ليقنع سامعه ومتلقيه بأنّه ضرب واحدٌ وإن اختلفت ألوانه.

القعود والتثاقل. وعلى هذا الأساس تبرز أهمية حجاجية الصورة في الخطاب الحربي عند علي بن أبي طالب ، فالنعت الملحق بالجمل في الصورتين المتقدمتين في دلالته من جهة وفي استدعائه لأفعال تحيل إلى حالة معينة لأولئك المنعوتين من أصحابه من جهة ثانية ، إذ تكمن في أنّها كانت بالفعل مظهراً من جملة مظاهر اختيار المعطيات وجعلها ملائمة للحجاج ، على اعتبار أنّ « المقصد الحجاجي من إطلاق الصفة تحديد نوع الموقف الذي ينبغي أن يحكم به عليه »[1].

والخطيب / الإمام علي حينما يختار معطياته الحجاجية في الصورة الحربية، إنما يكشف عن نظام معتقداته وعن رؤيته الخاصة للمتلقين في تلك الحقبة ، فقد دعاهم إلى الانتصار بالقيام إلى الجهاد ، لكنهم تثاقلوا فقعدوا ، وآثروا الهزيمة ، فالإمام علي يظهر في صورة السائس الداعي إلى النصر. ويظهر في الطرف الآخر صورة المتلقين صورة الجمال المريضة المتعبة المتثاقلة التي عجزت عن الفعل والعمل أو تخاذلت فيه. وإنّ علاقة التّشابه في الصورتين بين الإمام علي وأصحابه المسلمين تبرز علاقة الراعي / الإمام علي برعيته / جمهور المسلمين تلك العلاقة التي تجعلنا نقر بأنّ

---

١. انظر : مقال عبدالله صوله ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص٣١٦.

إِلَيَّ مِنكُمْ جُنَيْدٌ ، مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلى المَوتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ »[1]

وردت هذه الصور التشبيهية الثلاث في الخطبة التاسعة والثلاثين وهي خطبة قيلت إثر استنجاد عامل للإمام علي بعين التّمر ، وقد رأى الإمام فيهم من التّثاقل والسّلبية ما جعله يصورهم على ذلك النحو ، فأمامنا في هذه الخطبة ثلاث صور حجاجية مختومة بشاهد قرآني وهو قوله :

الصَّورة الأولى ← « فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الجَمَلِ الأَسَرِّ ».

الصَّورة الثانية ← « وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الأَدْبَرِ ».

الصَّورة الثالثة ← « ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ ، مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ».

ووجه الشبه بين أصحاب علي وبين الجمل الأسرّ والنضو الأدبر هو تثاقلهم فأما جرجرة الجمل فهي أن يحدث صوتاً بحنجرته ، ولعل ذلك يحدث عندما تكون الجمال متعبة أو وقت الإعياء، وأما الجمل الأسرّ فهو المصاب بالسرر وهو وجع في الكركرة. وأما النضو الأدبر فهو المهزول المجروح. وهذه النعوت تتناسب ومكونات الصورة اللغوية فإذا كان الجمل أسر فهو عليل ، وهذه العلة لها علامات منها الجرجرة ، وكذلك الجمل المجروح الهزيل الذي يظهر سوء حاله في أثناء حركة جسمه وهي

---

١. الخطبة ٣٩.

سياقها الذي نزلت فيه وجعلها مطيته للحجاج في ظروف مغايرة.

فلماذا يعتمد الخطيب الصورة القرآنية في خطابه ، ويزرعها زراعة الشاهد في الخطبة ؟

يمكننا أن نجيب عن هذا التساؤل من زاويتين : إحداهما أنّ اعتماد الخطيب على الصور القرآنية قد يكون لبلاغة الصورة ، وثانيهما لكون تلك الصور حاملة لشحنات دينية في دلالتها وفي موسيقاها. فالإمام علي إذ يقرب خطابه الحربي من الخطاب القرآني في مادته أو هو يعيده بحذافيره في سياق غير سياقه الأصلي إنّما يمارس سلطة على المتلقي المسلم بالصورة ، فيسبغ على خطابه شرعية دينية تقوي حججه وتجعل ذاك المتقبل يذعن لخطابه ويسلم بصوره تسليماً لا ريب فيه.

وإننا لنذهب أبعد من ذلك فقد يرمي الخطيب باستعمال الشاهد القرآني إلى إشراك المخاطب في الرأي نفسه الذي يعبّر عنه ، وذلك نظراً إلى ما بينهما من ثقافة دينية وقيم إسلامية مشتركة يمثل الشاهد جزءاً مهماً منها.

ومن الشواهد الشعرية قول الإمام علي مخاطباً أصحابه عندما علم بتثاقلهم عن الجهاد في قتال الخوارج : «اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء» أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارسٍ من بني فراس بن غنم :

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ

الخطيب في مقام سياسي يمارس سلطة الترهيب على السامعين من المسلمين من خلال الصورة التشبيهية ، فإن أصاب مخاطبيه بالخوف والرّعب أذعنوا، وما الإذعان إلا وجه من وجوه الحجاج على حدّ عبارة برلمان وتيتكاه ، وتتمثل هذه الغاية في أن « يجعل العقول (الحجاج) تذعن لما يطرح عليها أو يزيد من درجة ذلك الإذعان. فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب »[1].

وقد حاول الإمام علي تقوية حججه إلى جانب الصورة المرتسمة في الأذهان وهي صورة الجمال المريضة التي لا حول لها ولا قوة المتعبة المتثاقلة التي عجزت عن أداء أي فعل أو تخاذلت وتثاقلت ـ يشحنها بشحنة دينية عبر الاستشهاد الذي جاء في خاتمة النّص فقد قال : « كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ »[2].

وهذه الشحنة الدينية لا تقف عند حدود الدلالة بل تتعداها إلى شكل الخطاب وقالب الصورة اللغوية ، ومعنى ذلك أنّ علي بن أبي طالب عمد إلى آيات القرآن الكريم وما فيها من صور قوية الحجة ، فأخرجها من

---

١. انظر : المقال نفسه ، ص٢٩٩.

٢. انظر تفضيل الصورة في خاتمة الفصل الرابع ص ٣٠١ ـ ٣٠٨.

المحور الثّالث : المثال

لقد أهمل الباحثون «القيمة الحجاجية الاقناعية للمثال فركزوا على ما هو زخرف بلاغي وأهملوا ما هو إقناع ومحاجة»[1]. فالقيمة الحجاجية في المثال لم يسلط عليها البحث بما فيه الكفاية حتى يتم الكشف عن فاعليتها وتأثيرها في هذا المجال من الخطابة العربية بشكل عام، والخطابة العلوية الحربية بشكل خاص.

ومن المظاهر التي يكون التمثيل فيها يزداد قوةً وفاعليةً في إطار المحاجة قوله لأهل العراق : «أَمَا بَعْدَ : يَا أَهْلَ العِرَاقِ ! فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ ، وَمَاتَ قَيِّمُهَا ، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا ، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا (...)»[2].

---

١. صالح بن رمضان ، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر الفني ، المطبعة الرسمية ، تونس ٢٠٠١.

٢. الخطبة ٧٠.

فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ[1]

ومن ثمَّ يمكننا القول إن الشاهد في الصورة ذات البعد الحجاجي موظفٌ توظيفاً للإقناع والاستمالة.

---

١. الخطبة ٢٥.

للعقلاء كما أنّ الإملاص أمرٌ غير طبيعي وخارج عن العادة وموت القيِّم وطول التأيم يشبه بقاءهم بلا صاحب ، الجاري مجرى موته عنهم وطول ضعفهم وتمادي ذلتهم. كما أنّ موت قيّم المرأة مستلزم لطول ضعفها و تمادي عجزها. ونظرًا لتقصير أهل العراق في أمر الجهاد، فقد تسلط عدوهم على بلادهم ، وصار بمثابة الوارث لها. كما أن المرأة الموصوفة بسبب إملاصها وموت زوجها لايبقى لها وارث قريب نسبيّ أو سببي من القريبين فيرثها البعيد عنها.

وتتمثل القوة الحجاجية لهذا التمثيل فيما يرمي إليه علي بن أبي طالب من تصوير لأهل العراق بالمرأة الحامل. إذ جاء من أجل تحقيق ذلك بعلاقة واقعية رأى فيها الخطيب أن تشبيه أهل العراق بالمرأة الحامل تصدق عليهم وتبدو فيهم أشد وضوحًا من أي علاقة أخرى. وهو ما يفسر لجوء الإمام علي إلى التخييل والحياد عن الحقيقة فلو اقتنع الخطيب أو بدا له أنّ إيراد الحقيقة أكثر إقناعًا من المجيء بهذا التمثيل لحضرت الحقيقة وغاب التمثيل.

بيد أن التمثيل في هذا الموقع بدا أكثر نجاعة من حيث أداؤه الحجاجي الإقناعي ، ويبقى ديدن العلاقة القائمة بين التمثيل وواقع أهل العراق في

نلاحظ طغيان الضمير في هذا النص التمثيلي ،إذ برز ضميرٌ واحد هو (هي) ويمكن رسم الخطاطة التالية للتوضيح :

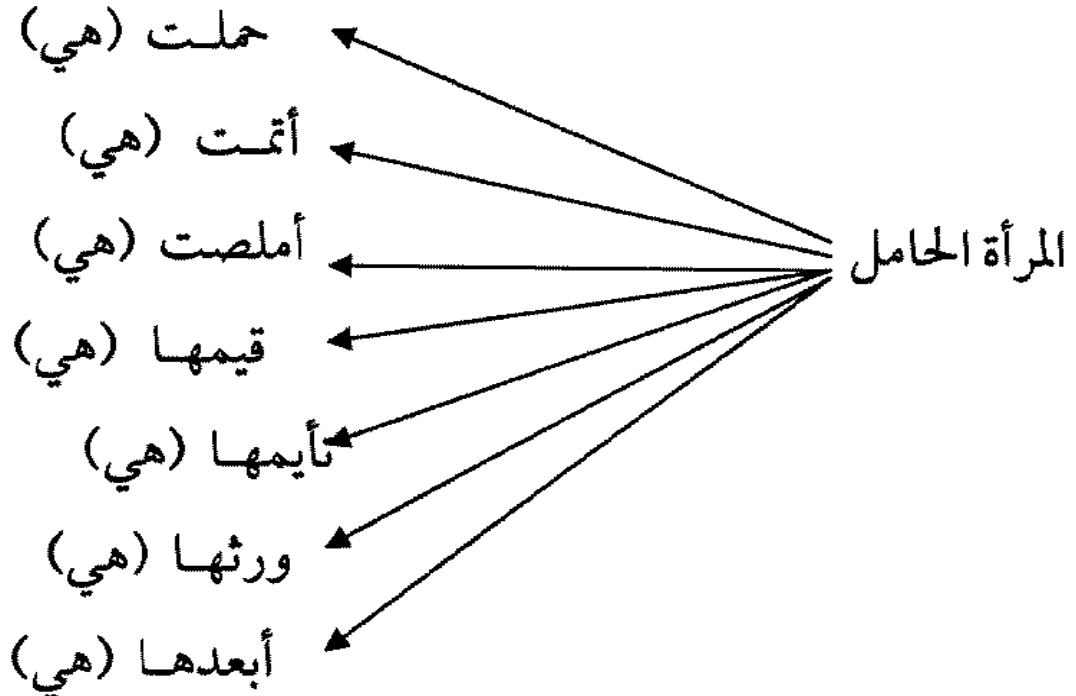

يتضح من الخطاطة السابقة سيادة الضمير العائد إلى المرأة الحامل ، وهو(هي)، وتوالت الضمائر الراجعة إلى المرأة الحامل (قيِّمها، تأيُّمها، أبعدُها) وقد شبه متلقي خطابه بالمرأة الموصوفة بالأوصاف الخمسة التي هي وجه الشبه بينها وبينهم ، فحملها يشبه تهيؤهم للحرب واستعدادهم لها ، وإتمام الحمل يشبه مشارفتهم لاستئصال أهل الشام والظفر بالخصم ، والإملاص يشبه إجابتهم إلى التحكيم وجنوحهم إلى السلم ورجوعهم عن العدو بعد قرب الظفر وظهور إمارات الفتح ، فإنّ ذلك رجوع غير طبيعي وغير معتاد

نستشعر مقدار الإبهار الذي أنشأه الإمام علي بصورته هذه ، وسلطان الحجاج الذي توافر من خلالها ليكون السامع أعلم وأكثر دراية بالواقع تلميحاً وتخييلاً لا تصريحاً وإيضاحاً.

وقد يجتمع الاستشهاد والمثال في خطبة واحدة ليحضر الشاهد والقاعدة، ويمتزج الخاص بالعام تمازجًا يقوم أساسًا على مبدأ الدعم وتكثيف الدلالة. يقول علي بن أبي طالب من خطبته التي قالها بعد التحكيم :

« أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ ، تُورِثُ الْحَسْرَةَ ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي ، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي ، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرِ أَمْرٌ ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ ، وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ : [بحر الطويل]

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى

فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلاَّ ضُحَى الْغَدِ [١]

إذن المثال يختزل تجربة الواقع الذي يعيشه الخطيب في شكلٍ مخصوص يستدعي للأذهان حكاية أو قُلْ واقعة ما غائبة تتميز دلالتها بدرجة عالية

---

١. الخطبة ٣٥.

حرب صفين هو البحث في طبيعة العلاقة والسعي إلى تحقيق تماثل العلاقتين التخييلية والواقعية. علاقة علي بن أبي طالب بأهل العراق، وعلاقة المرأة الحامل بحملها، وعلاقة أهل العراق بالمرأة الحامل. وينصرف الإمام علي عن العلاقة في هذا التمثيل إلى تحديد تبعاتها تحديدًا نهض بأدائه أسلوب الوصف السالب لذلك الحمل، فكان غايته أساسًا التوبيخ والتقريع : توبيخ أهل العراق وتقريعهم على تقصيرهم في أمر الجهاد، وجنوحهم إلى السلم إجابة لطلاب التحكيم، وتضييع فرصة النصر.

وتظل فاعلية المثال رهينة بحسن موضعه في الخطاب العربي، يقول الجرجاني: «واعلم أن ممّا اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبَّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفًا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبّةً وشغفًا فإن كان مدحًا كان أبهى وأفخم (...) وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر..»[1].

ومما تقدم من حسن بناء للصورة بالتمثيل وبمليح الوشي والتزيين

---

١. عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص١٤٥ ـ ١٤٧.

المحور الرّابع : الأنموذج[1]

إنّ النصوص العلوية الحربية تحمل ثنائية الأنموذج وعكس الأنموذج في الصور الفنية التي تكون الحجة واضحة فيها ، ويمكن ملاحظة ذلك في هذا النص مثلاً : أصحاب محمَّد / أصحاب علي. فأصحاب محمَّد هم الأنموذج الذي تنادي الخطب الحربية باتباعه وينظر لرسوخه في الدين وقوة إيمانه. وأصحاب علي هم الأنموذج الذي تنبذه النصوص العلوية الحربية وتحذر من عاقبته ، وتُكره النّاس فيه فيكرس بذلك في المجتمع ثنائية جديدة هي ثنائية الحق والباطل ، فأصحاب محمّد أصحاب الحق وأصحاب علي أصحاب الباطل ، وخرجت من هذه الثنائية ثنائية الاستقرار والفتنة ، وقد خرج أصحاب محمّد إلى صورة الأنموذج وأصحاب علي إلى صورة عكس الأنموذج ومن ذلك قوله يوم صفين :

---

١. وردت في المدونة العلوية الكثير من الخطب التي حملت صوراً لقضية الأنموذج منها الخطبة : ٥٦، ٩٦، ١٠٧، ١٢٠، ١٨٠، ...إلخ.

من المرونة التي تؤهلها لاستيعاب التجارب السابقة واللاحقة في آن وهو ما يجعله قادرًا على تأسيس القاعدة ؛ فيكون بذلك المثال المطروح في الخطبة السابقة[1] حالة خاصة وقع اعتمادها لتأسيس واقع الخطيب المعيش، فالحالة الخاصة التي يعيشها الخطيب قد ارتفعت كثافة دلالتها إلى مستوى القاعدة ، فمن خلال المثال السابق نرى أن القاعدة المستفادة من هذا القول (عدم استماع النصيحة) وهو قول قد رشحه الشعر لقائله أولاً ثم بلاغة المعنى المقصود ثانيًا لأن ينتشر ويرتفع من مجرد قولٍ معتادٍ إلى شكلٍ نظري تمتد دلالته على سائر التجارب المماثلة. وقد اضطلع هذا المثال بتحديد صنف العلاقة التي تجمع الخطيب بجمهور المخاطبين ، وهي علاقة تقوم أساسًا على عدم معصية الناصح الشفيق والعالم المجرَّب فإنّها تورث الحسرة، وتعقب الندامة على حدّ عبارة علي بن أبي طالب.

فالمثال إذن هو بمثابة المعيار الذي ترتفع الأشياء أو تسقط بالقياس إليه ويبقى السقوط والارتفاع رهينَ العلاقة التي تجمع مستعمل القاعدة بمخاطبه أولاً ثم طبيعة الفعل الذي يأتيه المخاطب ثانياً.

---

١. انظر إلى الخطبة ٣٥ في الصفحة السابقة.

الرسول اخضرّ للإيمان عود وقام للدين عمود ؛ وذلك لما تميّزوا به من الشجاعة والإقدام وقوة البأس والإيمان والخوف على الدّين. و هذه الأشياء لا تتوافر عند المخاطبين ـ كما نفهم من الصورة ــ لأنّهم لم يستجيبوا للإمام علي فيما دعا إليه ، فالمقام هنا مقام تأنيب أساسًا. بيد أن الهدف من وراء هذه الصورة ليس إلاّ المقارنة بين حال أولئك وحال أتباعه الذين خذلوه ولم يقوموا بواجب نصرته ؛ فكان موقفهم موقف الضد من أصحاب الرسول ، وقد توصّل الخطيب إلى توبيخ متلقي الخطاب من خلال مقارنتهم بأصحاب الرسول ؛ ذلك أن أولئك الأصحاب بذلوا ما في وسعهم فنصرهم الله ، أما أصحاب علي فلم يبذلوا في سبيل نصرة إمامهم شيئًا ؛ لذلك لن يحصدوا إلاّ الخسران المبين ، والعاقبة الوخيمة. فإذا كان علي وأصحاب محمّد فيما مضى أصل الخصوبة والنماء في الدين واستمراره حيًّا فهم الأنموذج فإنّ أصحاب علي ـ مخاطبيه لحظة التلفظ بالخطبة ـ سيكونون عكس الأنموذج المطروح ، فقد يموت الدين بسبب اليبوسة والقحط إذا ما استمروا في تقاعسهم وتخاذلهم عن نصرة الحق، بحسب منطوق الصورة التي تطرح الأنموذج وعكسه في آن واحد ، وما الهدف من

«وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلاَّ إِيمَاناً، وَتَسْلِيماً، وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَم، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الأَلَمِ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ العَدُوِّ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا، وَالآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا، يَتَصَاوَلاَنِ تَصَاوُلَ الفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا، أَيُّنَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلاَمُ مُلْقِياً جِرَانَهُ، وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ، وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلاَ اخْضَرَّ لِلإِيمَانِ عُودٌ، وَأَيْمُ الله لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَمًا»[1].

الصورة الفنية الواردة في الخطبة السابقة تحتوي على مقابلة طرفاها ضمير المتكلم في صيغة الجمع «نا» (كنّا، آباءنا، أبناءنا، إخواننا، أعمامنا، يزيدنا، عدونا، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا) وهو يضم الإمام عليّاً وأصحابه حينما كانوا مع الرسول، وضمير المخاطب في صيغة الجمع الدال على جمهور المسلمين المخاطبين لحظة إلقاء الخطبة. (أتيتم، لتحتلبنها، ولتتبعنّها)، فجمهور المخاطبين يأتون من السلوك والأفعال ما لا يجدي نفعًا بل يضرّ بالدّين.

ونخلص من كلّ هذا أنّه بعلي بن أبي طالب وأصحاب محمّد زمن

---

١. الخطبة ٥٦.

مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ ، كأَنّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى ، مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ إِذَا ذُكِرَ اللهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ ، وَمَادُوا كَمَا يَميدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ العَاصِفِ ، خَوْفاً مِنَ العِقَابِ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ»[1].

لقد بدأت الصورة الفنية التي تعمل بوظيفة حجاجية ، وبغرض طرح الأنموذج وعكسه فوصفت حال أصحابه أولاً ثم عرضت الخطبة الأنموذج المثالي لصحابة رسول الله. فقد ذم أصحابه ووبخهم على تثاقلهم عن جهاد معاوية وأصحابه ، الذي كان في أطوع جندٍ وأصلحه فأهل الشام يضرب بهم المثل في الطاعة والمتابعة وكان عليٌّ في أعصى جندٍ وأخسه[2] (أهل العراق).

---

١. الخطبة ٩٦.

٢. انظر : الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ص٤٣٩.

طرح الأنموذج وعكسه إلاّ المبالغة في التوبيخ والتقريع.

ولئن كانت الخطبة السابقة مبنية على طرح الأنموذج وعكس الأنموذج ، فإنّ الخطبة التالية تطرح عكس الأنموذج والأنموذج أي هناك تقديم وتأخير في الطرح ، فالإمام علي يوبخ أصحابه على التباطؤ عن نصرة الحق فيقول و قد اكتظت الخطبة بالصور : « وَلَئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ (...) أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ ، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ ؟ أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا ، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا ، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي ، حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا ، تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ ، وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ، عَجَزَ الْمُقَوِّمُ وَأَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ. (...) يَا أَشْبَاهَ الإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا ، كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ ، تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَحَمِيَ الضِّرَابُ ، وَقَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا. وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي. وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطًا. (...) لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ ، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثًا غُبْرًا ، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ

هي الحكمة ، والحكمة ـ كما جاء في الموروث الدِّيني ـ ضالة المؤمن ، كما أنّها من أكثر الأساليب قدرة على الاضطلاع بالمهمة هذه ؛ وذلك نظرًا لقدرتها على احتواء الماضي والحاضر في آنٍ واحد.

فلما خُوِّف الإمام علي من الغيلة[1] قال في نهاية خطبته : « لا يَطِيشُ السَّهْمُ وَلا يَبْرأُ الكَلْمُ »[2].

فخاتمة هذه الخطبة تحمل هذه الصّورة الفنّيّة التي تصوِّر المنية تطلق سهامًا لا تخطئ ، وأن جرحها لا يمكن برؤه أو تطبيبه ، وهذه الاستعارة المكنية للمنية تؤكِّد يقين الإمام علي في الموت وتبرز من جانبٍ آخر شجاعته وعدم خوفه من الغيلة التي حُذِّرَ منها.

وهو بما أوتي من مقدرة لغوية مكنته من صياغة نصه على نحو مُوَقَّعٍ ممّا يجعل المتلقي في حال من الافتتان بمقدرة الخطيب أولاً ثم بهذا الإطار الطقوسي الخاص الذي حرص الخطيب على تأسيسه ، فهو يؤثث فضاءه الخطبي بأسلوب السجع (السهم / الكلم) الذي يجعل المتلقي في حالة افتتان تقوده إلى حال من الوثوق والاستلاب تمنعه من تفنيد ما يقال أو

---

١. الغيلة : « في كلام العرب هي إيصال الشر والقتل إليه من حيث لا يعلم ولا يشعر » ؛ ابن منظور، لسان العرب ، ١١/ ٥١٢.

٢. الخطبة ٦١.

المحور الخامس : توظيف الحكمة[1]

ترد الحكمة في نصوص علي بن أبي طالب الحربية في القسم النهائي أو قُلْ خاتمة الخطبة غالبًا ؛ وذلك نظرًا لاختصاص هذا القسم من الخطبة بإثارة الانفعالات واستغلال ما أسماه أرسطو بـ (الباتوس)[2].

حيث تمثل خاتمة الخطبة المجال الفني المضطلع بتوجيه انفعالات الجمهور وترويضهم بقصد إلقاء الحجة عبر خارطة جديدة للصورة الفنّيّة

---

١. الحكمة : هي خلاصة تجربة بشرية من حيث المعاني والمضامين ، وتصاغ صياغة مخصوصة تعتمد على الإيجاز. أو كما يقول مبروك المناعي « هي نطق اللسان بحقائق العقل ومواقف الوجدان (...) نثراً في النثر وشعراً في الشّعر » ؛ مبروك المناعي ، أبو الطيب المتنبي : قلق الشعر ونشيد الدهر ، ط٢ ، دار اليمامة ، تونس ١٩٩١ ، ص١٤٤.

٢. وهو« ما ينبغي أن يثيره الخطيب في الجمهور من مشاعر وأحاسيس وانفعالات تحقق اقتناعه وتسليمه بمحتوى الخطاب » ؛ انظر : مقال محمّد على القارصي ، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، سلسلة آداب ، منشورات كلية الآداب منوبة ١٩٩٨ ، ص٣٩٨.

ينبه جمهور المتلقين إلى أن ما سيقال من قبيل التجربة التي يشترك فيها الحاضر مع الماضي كما أن أصل التجربة في الماضي قد تكون مؤلمة ومخيفة ممّا يجعل الحاضر أكثر خوفا وألما ، وهو خوف يدفع جمهور المسلمين إلى الإنصات إلى ما يقال ومن ذلك قوله في شأن الحكمين وذمّ أهل الشّام : « جُفَاةٌ طَغَامٌ ، وَعَبِيدٌ أَقْزَامٌ ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ ، لَيْسُوا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ، وَلاَ مِنْ الَّذِينَ تَبَوَّأوا الدار »[1].

ففي بداية الخطبة جاء الإمام علي بصورة كنائية هي (عبيد أقزام) عن رديء الأخلاق التي يصف بها أهل الشام ، وأردفها بصورة كنائية أخرى هي (تلقطوا من كل شوب) وهي كناية عن كونهم أخلاطاً ليسوا من صراحة النسب في شيء ، فلا هم من المهاجرين ولا من الأنصار ولا حتى من الذين تبوّأوا الدار (أي نزلوا المدينة).

ومن هذا الباب قوله مشبهاً القران بالخطّ المستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بدّ له من ترجمان : « إِنَا لَمْ نُحَكِّم الرِّجَالَ وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ ، وَهَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ ، لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانٍ ، وَلاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تُرْجُمَانٍ ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ. وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا

---

١. الخطبة ٢٣٥.

مناقشته بل التسليم لكلّ ما يقال عبر العلاقات الإيقاعية التي يضعها الخطيب في حكمه والتي تكون بمثابة العلاقات الواقعية القائمة بين عناصر الموضوع المتحدث فيه فيسري إيقاع الحكمة في أذهان المتلقين من جمهور المسلمين.

والحكمة في خطابة علي الحربية ليست هدفاً مقصوداً لذاته تستقلُّ به الخطبة الحربية أو تقال لأجله ، وإنما هي فقرات قصيرة في الغالب وأسطر خطابية ترد في شكل لُمع وإضاءات متناثرة مبثوثة في خطابته هنا وهناك تكوّن إذا جمعناها وصّنفناها وحللناها جملة من المواقف والعبر والحقائق جديرة بكلِّ اهتمام لا لنفاذ الرؤية منها فحسب وإنّما لجودة العبارة الخطابية وحسن الأداء وجمال الصورة الفّنيّة فيها وهذا ما يهمنا.

فالحكمة ترد عند علي بن أبي طالب في خطابه الحربي في المفاصل الكبرى من الخطبة : ترد في البداية ، وترد في الوسط ، وترد في النهاية. وهي تميل إلى الإيجاز والتكثيف البالغ إذا كانت في بداية الخطبة أو خاتمتها ، وتنزع إلى الطول النسبي إذا كانت في وسطها.

و الصّورة الفّنيّة حملت الوظيفة الحجاجية بروح الحكمة في بداية الخطبة، وكانت بحق نوعاً من الخطرة القويّة الموقظة للعقل والجسم. و قد وردت في شكل إيحائي مركز جدا ينبئ بمجتوى الخطبة برمتها، و هذا من شأنه أن

«يَـا أَشْـبَاهَ الرِّجَـالِ وَلاَ رِجَـالَ ! حُلُـومُ الأَطْفَـالِ ، وَعُقُـولُ رَبَّـاتِ الْحِجَالِ»[1].

وقوله لأصحابه في ساحة حرب الجمل مشبها الموت بالطالب الحثيث الذي لايفوته المقيم ولا يُعجِزُه الهارب : «إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ ، لاَ يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ ، وَلاَ يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ ، إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْـلُ ، وَالَّـذِي نَفْـسُ ابْـنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَـةٍ عَـلَى الْفِـرَاشِ فِي غَـيْرِ طَاعَةِ اللهِ»[2].

بعد دراستنا لوظائف الصور الحجاجية في خطـب الإمـام عـلي الحربيـة التي كان غرض توظيف الحكمة بارزًا فيها يمكننا استجلاء ما أبدعه الإمام علي في هذا الجانب حيث وظفها توظيفًا محكمًا وسندت الحكمة قوله فكانت له عمادًا إلى درجة أن القول المؤطر قـد تحـول بمـر الـزمن وبحكـم اقترانـه بالقول البليغ (الحكمة) إلى حكمة لا تخفى اليوم على الباحث إلى درجـة أن جلّ مدونته العلوية الحربية تقريبًا إن لم تكن قوالـب حكمـة صريحـة فهـي تضيق بالنفس الحكمي الطاغي عليها.

وتوظيف الحكمة في الـصّورة الفنّيّـة في المفاصـل الكـبرى مـن الخطبـة

---

١. الخطبة ٢٧.

٢. الخطبة ١٢٢.

الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّي عَنْ كِتَابِ اللهِ. وَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ تَعَالَى : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ فَرَدُّهُ إِلَى اللهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللهِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَنَحْنُ أَوْلاَهُمْ بِهِ »[1].

وفي كنايته عن النَّهر بالنُّطفة قوله :

« مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ ! وَاللهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ ، وَلاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ »[2].

أما الصّورة الفنّيّة التي حملت الوظيفة الحجاجية بغرض الحكمة في وسط الخطبة الحربية ، فلقد كانت تأكيداً وبناءً وصوغاً عقليّاً لمعطيات الحس والوجدان.

فمن أمثلة الصور الفنية الحاملة للحِكَمِ التي يفضي إليها الخطاب العلوي في وسط خطبته قوله في الحث على الجهاد وذم المتقاعدين من أصحابه فقد شبههم بأشباه الرجال وبحلوم الأطفال وبعقول ربات الحجال (النساء) :

---

١. الخطبة ١٢٣.

٢. الخطبة ٥٩.

المدونة ،وقد توصل إليها الإمام بعدة صور وهي : الاستشهاد والمثال والأنموذج وتوظيف الحكمة، ففي الاستشهاد توبيخ وتقريع، وفي ضرب المثال توبيخ وتقريع ، وفي الأنموذج وعكس الأنموذج توبيخ وتقريع، وفي توظيف الحكمة توبيخ.

ولا غرابة أن يكثر التوبيخ بالصورة في خطب الإمام علي ، وذلك لأن الإمام علياً كان في أعصى جندٍ وأخسه على حدّ عبارة الثعالبي السالفة الذكر ؛ ولأنّ أتباعه من أهل العراق قوم ركنوا إلى الحياة وتقاعسوا وتخاذلوا عن نصرة إمامهم وقائدهم فكان من الطبيعي أن يستثير الإمام همم أصحابه ويبين لهم الحالة التي هم عليها والمصير الذي ينتظرهم.

ولم نجد ضعفًا في صوره الفنية على الإطلاق من حيث جِدّتها وطرائق عرضها ، و تشكلاتها والوظائف التي أدّتها في خطابه الحربي ، فقد كان الإمام ـ بحق ـ الأستاذ القدوة الذي يخلق النماذج التعبيرية خلقًا مراعيًا هيئات التراكيب التي تقتضيها تلك المشاعر والأحاسيس حتى أنّ هذه الصور الحربية أصبحت من مخزون الحضارة العربية و تراث الإنسانية، وتأثر بها غير واحدٍ من الأدباء والشعراء على مرّ العصور والأيام، حتى أن الإمام عُرف بهذه الصور التوبيخية الإبداعية التي قالها في

الحربية في كلّ ما مرّ يفرزها الموقف الحربي القوي ، وتسهم هي إسهاماً مبدعاً في إنتاج النّص الحربي فيرتقي الكلام من عاديته المتاحة لجميع البشر إلى فنيته المتفرّدة ، رغم أن الحكمة « جنس فرعي يخدم خطّة القول »[1] .

وبهذا البحث نختم وظائف الصّور المستخلصة من علاقتي التشابه والتداعي ، التي ميزت المدونة العلوية ، وطبعتها بخصائص فنية معينة. وقد لاحظنا أن الوظائف الحجاجية من أبرز الوظائف وأكثرها انتشارا في المدونة. ولا نحسب أنّ الإمام عليًا قد لهج بذكر الصور التّوبيخية في نصوصه الحربية عبثاً أو انهال عليها عفواً. وإنّما لهج بما لهج به لكثرة ما رآه من تخاذل في الجند وتقاعس في الأصحاب عن القتال والجهاد معه ، فراح يوبخهم شرّ توبيخ، ولأنّه يحب لهم العيش الكريم عبر الجهاد في سبيل الله ، وهم لا يريدون أن يخرجوا معه ، فكانت الصورة التوبيخية طريقه إلى ذلك.

وإذا رجعنا إلى الوظائف الحجاجية الخمس التي أفرزتها صور علي بن أبي طالب والتي تقاسمت المدونة العلوية الحربية ، وهي (التوبيخ ، والاستشهاد ، والمثال ، والأنموذج ، وتوظيف الحكمة) وجدناها تنضوي كلّها تحت وظيفة حجاجية واحدة وهي التوبيخ إذ هي الوظيفة الأبرز في

---

١ . صالح بن رمضان ، الرسائل الأدبية ، ص ٥٧٠ .

الاقناعية تصلح الصورة شعرًا ، ولأيها تصلح نثرًا مع الانتباه الشديد للفرق بين التعبيرين الشعري والنثري في الخطابة « وهو أن التعبير الشعري في الخطابة يوحي إيحاءً غامضًا ويؤثر بالوهم والعاطفة بينما يعمد التعبير النثري إلى التوضيح والإقناع بالإفهام والمنطق »[1].

وقد طبعت الصّورة الحجاجيّة الحاملة لغرض الحكمة التي جاءت في بداية الخطبة ووسطها وخاتمتها في خطابة علي الحربية ـ علاوة على ذلك ـ بطابع الإسلام الأصيل ، فقد سجلت حضورًا مكثفًا كأسلوب من الأساليب أو كخطةٍ من خطط الخطيب / الإمام علي ، ولعل ابن أبي طالب قد جاء بالصورة الفنية هذه ، وبالشّكل التّركيبي والمضموني والإيقاعي الخاص لها ، ليصنع الحكمة العلوية الخاصة فيمرر ما أراده من أفكار وأقوال عبر هذه القناة الأسلوبية البالغة التأثير.

---

١. إيليا حاوي ، فن الخطابة ، منشورات الشرق الجديد ، بيروت ١٩٦١ ، ص٧٠.

أتباعـه وأصـبحت وقفًـا عليـه[1]. فالإبـداع كـما يكـون في خلـق « هيئـات التراكيـب » أو قـل في خلـق « نـماذج التعبـير » ، يكـون في خلـق « **الـصور الأدبية** »[2].

فالإبداع والتجديد والاختراع ، كلّ أولئك عصب الأدب ـ كـما يقـال ـ بل فيما نعتقد أنّه جوهر الفن ، وبه يقع التفاضل ويكون الامتياز.

ولئن كانت نصوص علي بن أبي طالب الحربية قد مرّت في حركتها نحـو الإقناع بقنوات كثيرة ، فإن القناة الأبرز هي قناة الصورة ، فقد كانت هـذه القناة أقصر السـبل إلى بلوغ الغايـة المرسـومة لـما اكتـسبته مـن جـذور قرآنيـة ومصادر شعرية وأمثال نثرية معلومـة ، فلقـد بـالغ الإمـام عـلي في انتقائها وتحديد مواضع الإتيـان بهـا مـستندًا في ذلـك إلى معرفتـه الواسـعة بالحياة والحرب والجمهور المخاطب وما به يتأثر ولـه ينفعـل ولأي المواقـع

---

١. انظر: حلمي مرزوق في كتابه **النقد الأدبي في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ط٢. د.ن ، ٢٠٠٤ ص١١٨« ولقد أدرك العرب خطر هذا الخلـق الأدبي فـانتهوا بالمزيـة كلهـا إليـه ، وجعلـوه المعيار الذي لا معيار وراءه في الفضل والامتيـاز ، فكـان الأديـب إذا وقـع فـيهم عـلى نظـم جديـد للكلام، أو صورة غير مسبوقة من صور التشبيه أو الكناية أو الاستعارة والمجاز عُرف بهـا وعُرفـت به، واختصوه بها ونسبوها إليه ، فأصبحت (كالماركة المسجلة) أو حق الاختـراع في هـذا العـصر إذا أخذها أديب غيره ، رموه بالسّرق ، واتهموه في أدبه وموهبته ».

٢. المرجع نفسه ص١٢١.

ولئن كان الإمام علي يهدف إلى تحريك جمهور المتلقين ودفعهم نحو تأدية فعل الجهاد والدفاع عن النفس ، فإنّه كان ينتظر أن يستجيب له أتباعه تلقائياً. فالمتلقي حينما يجهد نفسه من أجل استنباط المعنى أو تصوره يكون تأثيره بالصورة أقوى ، وتنبع ردة فعله من ذاته للتعبير عن شعوره بالذل ، أو عن شعوره بالرهبة والرغبة في تلافيهما بالفعل المناسب ، أو لتعبر عن إحساس بالرغبة يتولد منه السعي إلى إتمام العمل لينقلب المنشود موجودا بالفعل. وهذه هي غاية كلّ حجاج.

وجماع القول إنّ الصورة الحاملة على العمل النابع من رغبة فيه ومن اقتناع به. تصبح بديلاً عن الفعل في صيغته الأمريّة فمن شدة حرص الإمام علي على تحريك جمهور المسلمين نحو الفعل المتوجه إليه متوسلاً بالصورة يفيده بألا يقول (الأمر) أو يصدر الأوامر والنواهي وبأن يتأكّد من تحققّه فيما بعد ، الأمر الذي يثبت الوظيفة الأخرى للصورة أو قُلْ الوظيفة اللاقولية ـ إن صح التعبير ـ للصورة.

وقد أفضت بنا دراسة وظائف الصور في خطب الإمام علي الحربية إلى جملة من النتائج هي :

١ ـ أنّ معظم الصور في الخطاب الحربي تحمل وظيفة حجاجية، وقد تنوّعت أغراضها ومراميها فمن التوبيخ إلى الاستشهاد إلى المثال إلى

خاتمة الفصل الخامس

لقد اكتملت بدراسة وظائف الصور خصائص الصورة الفنية في خطب الإمام علي الحربية. فالصورة عند ابن أبي طالب كفيلة بتحقيق التأثير أو قل أنواعاً من التأثير في متلقي الخطاب المباشر من المسلمين إن بشكلها البياني كما في (الصور القائمة على التّشابه أو التّداعي) أو بمصادرها ومرجعياتها كما في (مصادر الصور) أو حتّى بطريقة عرضها ضمن نص الخطبة الحربية.

وتحصل أنواع التأثير في المتلقي المباشر توبيخاً ،وترهيباً، وترغيباً، وتأنيباً بتضافر قوتين: قوة الخطيب الصّانع للصورة ، وقوة المخاطب المفكك لتلك الصورة ، فتراه ينظر إلى العلاقة بين مكوناتها ، ويستعين بالجلي فيها لكشف الخفي ، ويربط بين مقالها ومقامها. وهذا كلّه من شأنه أن يجعل المتلقي طرفاً فاعلاً في عملية التواصل ، ومنتجاً لمعنى في الحدود التي رسمها الخطيب.

الأداء الأكثر نجاعةً من حيث أداؤه الحجاجي الإقناعي. فالعلاقة بينه وبين الواقع الحربي أدى إلى تماثل بين العلاقتين التخيلية والواقعية كعلاقة الإمام علي بأهل العراق فكانت غايته أساساً التوبيخ والتقريع في جل التمثيلات التي جاء بها في خطبه الحربية نظراً لقعود أتباعه عن القتال بعد أن استنفرهم فلامهم على تقصيرهم. فالتمثيل تظل فاعليته رهينةً بحسن مواضعته في الخطاب الحربي ،وبسلطان الحجاج الذي جاء به الإمام حتى يكون المتلقي أعلم وأكثر درايةً بالواقع تلميحاً وتخيلاً لا تصريحاً وإيضاحاً. ويظل المثال بمثابة المعيار الذي ترتفع الأشياء أو تسقط بالقياس إليه ، وما الارتفاع والسقوط إلا رهين علاقة تجمع مستعمل المثال / القاعدة بمخاطبه ، وقد كان الإمام علي واعياً إلى تمثيلاته التي طابقت الواقع الذي عاشه ، ولعل ذلك هو الذي أدى إلى تقديم على بن أبي طالب وشهرته في البلاغة وفن القول ؛ فهو يخلق نماذج من الصور في عمليات التمثيل كقوله (مصارعهم دون النطفة، ملكتني عيناي، يا أشباه الرجال، يا أشباه الإبل، يا أهل العراق ! فإنّما أنتم كالمرأة الحامل ، تكشون كشيش الضباب...) صورةً لم تكن العرب قالتها ولا سمعت بها ، حتّى جاءهم بها الإمام علي فاقتدوا به وحذوا حذوه ، وهذا هو الإبداع ، فـ (الإبداع كما يكون في خلق هيئات التراكيب أو قُلْ خلق نماذج التعبير يكون في خلق

الأنموذج إلى توظيف الحكمة.

٢ ـ كثرة ورود الصور الحجاجية الحاملة لغرض الوصف بغاية التقريع والتوبيخ ومردّ ذلك ـ في رأينا ـ إلى أن الغاية من الصورة في ما تناولنا من خطب حربية هي إحداث التأثير الوجداني الذي يهيئ لرد فعل عملي مقصود من قبل جمهور المسلمين المتلقين للخطاب ، وليست تُثير الذائقة الأدبية ولا تقصد إلى الإمتاع بشيء. ولهذا كثر التقريع والتوبيخ للجمهور والجند المتقاعسين عن الجهاد وجاءت معظم الصور تقبيحية ، تظهر الوصف السالب ، وكان مرجع الصورة إمّا إلى متلقٍّ حاضر كـ (أصحابه)، و إما إلى متلقٍّ غائب كـ (طلحة ، والزبير، وعائشة ، ومعاوية).

٣ ـ أخذت الصور الفنية موقع الاستشهاد في العديد من الخطب الحربية ـ كما رأينا ـ، ويوردها الخطيب / الإمام علي لمزيد من الترسيخ بأدلة واقعية غالبًا ما تكون معلومة المصادر كأن تكون من الشعر أو من الأمثال العربية المعروفة والآيات القرآنية.

٤ ـ أدّت حجاجية الصورة الفنية في نصوص علي بن أبي طالب الحربية الحاملة لغرض المثال دوراً بارزاً في عملية الإقناع والمحاجة، فقد كان التمثيل في المدونة العلوية هو الشكل البياني القادر على إثبات المعاني عبر تأثير الصورة في عاطفة السامع أوفي عقله مما يجعله يذعن أو يقتنع ، بل هو

يكاد يكون إشارة أو ملاحظة عابرة غير أنّ ذلك لايعكس فقرها أو ضعفها، وإنّما تعكس هدف الخطيب من الخطبة وتعكس جوهر مقاصده وأهدافه. إنّ الحكمة على قلة امتدادها في الخطبة تظل بمثابة النواة التي تستقطب دلالات الخطبة وتوزعها في آن واحد. إننا أحيانا نكاد نوجز الخطبة في الحكمة الواردة فيها.

هـ ـ لقد وضع الإمام علي الحكمة في خاتمة الخطبة غالباً لأنّه يؤمن أن جمهور المسلمين جمهور مستمع للخطبة وينشدون لخواتيمها أكثر من أي جزء منها ، فتظل الخطبة برمتها خادمة لخاتمتها وموصلة إليها ، دون سقوط في التكرار ، ولكن جمهور المسلمين من أهل العراق كانوا ينفرون من حكمه لأنّهم لا يريدون الحرب وأهوالها ويتفرقون من مواعظه حينما كان يتلوها عليهم وهذا ما نعرفه من نصوصه الحربية التي قالها فيهم : « أَتْلُو عَلَيْكُمْ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا ، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا »[1]. وحتى كتب التاريخ فهذا الثعلبي في **ثمارالقلوب** يروي أن عليّاً كان في أعصى جندٍ وأخسه. يعني أهل العراق[2].

---

١. الخطبة ٩٦.

٢. انظر : الثعلبي ، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ، في الباب السادس والأربعين « فيما يضاف إلى البلدان وينسب من الأعراض ص٤٣٩. « أهل الشام مخصوصون بطاعة السلطان من بين جميع ←

الصورة الأدبية)[1].

٥ ـ أنّ إدراج الصورة الحجاجية الحاملة لغرض الحكمة في الخطاب الحربي جزء من خطة الخطيب، ومكون من مكونات بنيتها، وهي ليست للتحسين والتجميل فحسب؛ وإنّما هي للإقناع والتأثير، وإنّ ورودها في خاتمة الخطبة غالباً يعطي أبعاداً كثيرة منها:

أ ـ التعبير عن عجز الخطيب عن الاستمرار بالحجة إذ أنّه استوفى جميع الحجج والأدلة.

ب ـ أنّ الحكمة تسدّ عجز اللغة وتسعف الخطيب بإمكانات حجاجية كبرة باعتبار أنّ الحكمة تحقق إذعان المتلقي، إذ لاشيء أقهر للعقل والوجدان منها.

جـ ـ الحكمة تضفي على الخطبة شعرية تظهر في كثافة الإيقاع المولد للنغم والموسيقى ويتأتى ذلك من بنية الحكمة اللغوية إذ غالبا ما يحتضنها أسلوب السجع فتنفذ بموجب هذا البعد الغنائي إلى وجدان المتقبل وتستقر في مشاعره وأحاسيسه بعد أن استقرت في عقله. وهي تعبر عن خطة الخطيب في التأثير في جمهوره ومتلقي الخطابه.

د ـ إنّ الشريط الكلامي المخصص للحكمة يرد عادة قصيرًا ومختصرًا

---

١. حلمي مرزوق، النقد الأدبي في القرنين الخامس والسادس الهجريين، ص١٢١.

الخاتمة العامة

٦ ـ أدّى موقع الصورة دورًا مهمًا في توجيه تقبل الجمهور لما يسمع ، فقد كان بحق جهاز التحكم في ذلك التوجيه إذ إنّ الصورة الحجاجية الحاملة لغرض التوبيخ أو الاستشهاد أو المثال أو الأنموذج أو الحكمة كانت الموقع الأكثر ظهورًا في المدونة الحربية وخاصة في خاتمة الخطبة ، ومرد ذلك إلى أن الخطيب كان يهدف إلى جعل الصورة تحدث رنينًا وتأثيرًا بالغين في المتلقي ممّا يؤدي إلى الإذعان والتسليم لمطلب الخطيب ، وبذلك يتحقق الهدف من الصورة والخطبة عمومًا.

→

البلدان ، وبهم يضرب المثل في الطاعة والمتابعة ، وإنّما وَرِيتْ زناد معاوية بهم ، وكثيراً ما كان يقول: أُعِنْت عليّ بأربع : كنت رجلاً كتوماً ، وكان ظُهَرةَ ، وكنت في أطوع جندٍ وأصلحه ـ يعني أهل الشام ـ وكان في أعصى جندٍ وأخسه ـ يعني أهل العراق ـ ».

أنها خطب منبرية ، بل باعتبارها خطابة علوية أي هي (جميع أشكال المشافهة البلاغية) ، فخطابة علي بن أبي طالب من النثر الشفوي البليغ ، فيها من الخطب وغيرها.

٢- استنباط أبرز المضامين التي تحملها المدونة العلوية الحربية ، وهي على النحو التالي :

ـ قيمة السلم.

ـ أخلاق الحرب.

ـ التعاليم الحربية.

ـ تصوير عمليات القتال والحالة النفسية عند الجند والخصم.

ـ قائد غير مطاع.

وقد جمعنا كلّ هذه المضامين تحت عنوان واحد أسميناه «أدب الحرب في المدونة العلوية».

٣- تحديد مفهوم الصورة إذ إن جمهورًا كبيرًا من الدارسين المحدثين يميلون إلى تعريف الصورة البلاغية بأنّها عدول أو انزياح عن الدرجة الصفر[1] ، والمقصود بالدرجة الصفر هو أن يأتي الكلام على الأصل اللغوي

---

١. انظر : القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان لأوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر ، ترجمة منذر عياشي ، ص٨٠٤ـ٨٠٨ « الصورة بوصفها انزياحًا » ؛ وراجع عبدالسلام المسدي ، الأسلوبية ←

الخاتمة العامّة

اشتغلنا في هذا البحث بنصوص المدونة العلوية الحربية وجعلناها المنطلق لفهم خصائص الصورة الفنية من زاوية أسلوبية ، وقد وصلنا إلى نتائج عدّة. نحاول إجمالها في العناصر التالية :

١ - تحديد مفهوم الخطبة الحربية ، وتخليصه مما قد يدخل فيه ممّا ليس منه، وقد حددناها عندما قلنا إن كلمة خطب التي استخدمناها في العنوان « أسلوب علي بن أبي طالب في خطبه الحربية » فيها شيء من التجوّز إذ ليست المدونة المختارة ضمن نطاق الحرب كلّها خطبًا بالمعنى المنبري للخطبة إذ فيها مجاوبات ومحاورات ووصايا.. فهي مجموعة من الأجناس الخطبية ضمن الخطب المعروفة. وإنّ جمّاع النصوص والشّراح منذ بداية القرن الثاني أي منذ بداية التدوين حتى عصر استكمال النص على يد الشريف الرضي (ت٤٠٦ هـ) عندما جمعوا الخطب لم يجمعوها على اعتبار

فاعلاً في عملية التواصل ، ومنتجا للمعنى في الحدود التي رسمها الخطيب.

٥ ـ قادنا مسار البحث و التحليل في الصور القائمة على التقابل إلى أنّ معجمها الفني ينقسم إلى قسمين : معجم ديني مستمد من القرآن و القصص الديني، ومعجم معرفي مستمد من العلم و التجربة البشرية في الغالب، بينما لغتها تعبيرية تأثيرية، فالتعبيرية مدارها أنا المخاطب و تؤسس مفهومي البراءة و النمذجة، أمّا التأثيرية فمدارها الآخر و تؤسس مفهومي الخطأ و الضلال.

٦- التنبيه على وضعين للصورة وهما : الصورة بمفردها ، والصورة في نظام. ولعل هذا مما قد أهملته بعض الدراسات التي اتجهت نحو تحليل الصورة ، فالباحث يكتفي بجمع الصور مع التحليل اليسير فيقف عند حدود الصورة في ذاتها وهي مفردة. ولكن هذا البحث تجاوز ذلك ليبحث الصورة في نظام الخطبة.

فالصورة في وضعها الأوّل لها جانبان : أمّا الأوّل فقد انقسمت الصورة فيه بالتيسير على مستوى المادة اللغوية من حيث المعجم ، ومن حيث معاني الألفاظ الأصلية للصورة داخل أشكال بيانية مختلفة.

فالصورة ببعديها المادي والشكلي لا تفتح مجالاً للتخييل إلا بقدر حاجتها إليها ، فيعمد الخطيب / الإمام علي إلى نفاذها مباشرة في أسماع

والنحوي ، فهو يعني الكتابة غير الأدبية التي تقوم على النظم الشكلي دون الفني أو كما يقول عبدالقاهر الجرجاني : « الكلام المتروك على ظاهره »[1] . كما قادنا مسار التحليل إلى توسيع مفهوم الصورة بحيث لم تعد منحصرة في البعد البياني المرئي المعتاد، و إنّما تجاوزته إلى البعد الحركي من خلال الصور القائمة على التقابل.

٤ - الكشف عن آثار الصورة الفنية في خطب علي بن أبي طالب الحربية فقد حققت أنواعًا من التأثير في المتقبل المباشر إن بشكلها البياني أو بمرجعياتها أو بدلالاتها أو بطريقة عرضها ضمن نطاق نص الخطبة الحربية. وسواء أكان هذا التأثير تأنيبًا أم ترغيبًا أم ترهيبًا ، فإنّه يحصل بتضافر طرفين : طرف ١ الخطيب يضع الصورة ، وطرف ٢ المخاطب تناول الصورة ففككها ونظر في العلاقة بين مكوناتها ، واستعان بالظاهر منها لكشف المضمر ، وربط بين المقال والمقام. وبهذا يصبح المتقبل طرفا

→

والأسلوب ، ص٩٤ ـ ١٠٢ ، حول هذا المفهوم العدول والانزياح والدرجة الصفر ؛ وراجع عبدالله صوله ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، فقد بنى كتابه كلّه على فكرة العدول « إنّ الجامع بين مستويات المعجم والتركيب والصورة قيامها إجمالاً على العدول » ص٦٨٥ ، وفي نهاية الخاتمة نقول : « ولقد مثّل أسلوب العدول في القرآن بجميع أنواعه ، وعلى أصعدة الكلمة والتركيب والصورة الوسيلة التي حقّق بها القرآن هذه المرامي الخطابيّة » ص٧٠٢.

١ . عبدالقاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص١٤٤ .

إنّ تفسير الظاهرة استنادا إلى الاحتمال الأول ينزع عن الخطبة كلّ بعد فني وكلّ قيمة جمالية ووظيفة حجاجية بل و يجعل كل طاقاتها الجمالية محض صدفة وهو ما يدحضه التاريخ و الأدب.

فالإكثار من إيراد الصور داخل النص الخطابي الواحد يتطلّب من المتلقي تركيزًا كاملاً وحضورًا ذهنيًا متينًا لكي يتمكن من إجراء عمليات ذهنية تصعب أو تسهل بحسب ظروف المقام والتلفظ ، فيتوصل المتلقي إلى الفهم الصحيح الذي يؤثر في نفسه ، ويحمله على الإذعان وعلى الاقتناع ، فكثرة الصور من غير توظيفٍ لها في النص تجلب الملل وتلحق بالنفوس الكلل ، خاصة إذا كان العمل ذهنيًا ، والمقام مقام حرب ونزال ، فإنه دون أدنى شك يولد فتورًا بين الباث والمتقبل على مستوى التلقي ، فلا يكون للمتلقي حافز على مقابلة القول بالفعل ، فتؤثر كثرة الصور عليه وبالتالي على ردود فعله.

وعلى الرغم من هذا الاقتضاب في الصورة الذي تشهده خطب علي بن أبي طالب الحربية ، فقد كانت الصورة جهاز التحكم في توجيه تقبل الجمهور لما يَسمع ، وذلك من خلال التأثير الذي تتركه فيهم ومن خلال موقعها من الخطبة كلّها وهي أهم نتيجة للبحث في تقدير الباحث.

٧- بيان أهمية صورة الجمل في خطب علي بن أبي طالب

المتلقين من أتباعه ، فتضرب أذهانهم وتحفزهم على العمل التلقائي. وهذا التيسير جانب أوّل من جوانب تحقيق الحجاج تضطلع به الصورة.

أما الجانب الثاني ، فيتمثل في نوعية تلك الصورة من حيث فكرتا التحسين والتقبيح فيها. فقد وردت الصور التقبيحية بشكل كبير ولافت في الخطب الحربية ، ومرد هذا الأمر ـ كما ناقشناه في فصول البحث ـ إلى الغاية من الصورة ، وهي إحداث التأثير الوجداني الذي يهيئ لرد فعل عملي مقصود ، وليست تقصد للإمتاع أو لتثير الذائقة الأدبية بشيء. فالمقام مقام حرب والخطب حربية. وهي لهذا السبب كانت إحدى ثلاث وجهات : فإمّا نصح ، أو استنفار للجهاد ، أو لوم وتقريع وذمّ. وبما أن الوجهتين الثانية والثالثة غلبتا على الخطب ، فقد جاءت معظم الصور تقبيحية ، ومرجعها إمّا إلى المتلقي الحاضر (قومه) ، وإما إلى المتلقي الغائب (معاوية ، طلحة ، الزبير ، عائشة).

أمّا الصورة في نظام ، فقد تميّزت بأمرين : الأوّل الاقتضاب في مستوى حضورها كميا في الخطبة الحربية الواحدة ، فلم تكن الصور مكثّفة في الخطبة الحربية ، ممّا يدعونا إلى التساؤل : أيكون ذلك تقصيرا من الخطيب / علي بن أبي طالب و ضيقا في فضائه التّصويري ومعجمه البياني أم الأمر ليس إلا خطّة اعتمدها الإمام علي من أجل تأجيج الحجاج في الخطاب الحربي ؟

لعلها لم تخرج عن حالة الاحتضار. والمحتضر إنسان يتملّكه خوف شديد كالخوف الذي يتملك أنصار علي من المسلمين حينما يدعوهم إلى جهاد أهل الشام. وإنّ جميع ما ذكره ابن أبي طالب في خطابه الحربي من الصور متعلقًا بالمحسوس الحيّ ورد مقترنًا بعلل. وهي بإحالتها على أنصار الإمام علي وقد تخاذلوا وتثاقلوا وتقاعسوا وانجحروا انجحار الضبّ في جحره والضّبع في وجاره، تعدُّ الوسيلة التصويرية الأنجع لجعل العلاقة بين المشبه والمشبه به على درجة كبيرة من التقارب بحيث تقوّي الحجاج وتبعث على الاقتناع وتحمل على الإذعان.

١٠- التأكيد على منزلة الكناية في بناء الصورة الفنية في خطب علي بن أبي طالب الحربية بيد أنّ مظاهرها لم تتنوّع، فقد انحصرت الكناية على مظهر واحدٍ ألا وهو التلويح والذي شكل ظاهرة أسلوبية، وهو تلويح في الأعم الأغلب يقوم على درجتين. وهذه الكنايات ناسبت المقام الحربي الذي يتطلب هذا النوع من الكنايات القائم على درجتين. وتوجد كنايات طريفة جدًّا، ولعلها من ابتكارات علي بن أبي طالب.

١١- بيان أهمية إنتاج الصور وتوزيعها في النص الحربي، فإن قسمًا كبيرًا من براعة الإمام علي في السيطرة على جمهوره مفردًا أو جمعًا يتعلّق بإنتاج الصور وتوزيعها. فاستخدام الجيد من الصور، وإتقان حياكتها، ومن ثم

الحربية ، المنتزعة من عالم الحيوان وقد جاءت بنصيب وافر في الخطاب الحربي ، وهي الصورة الأكثر ذمًّا وتقريعًا وتوبيخًا لأصحابه المتقاعسين عن القتال مع كثرة الغارات النازلة عليهم من معاوية. وقد ركّز عليها الإمام علي ؛ ولأنّها وثيقة الصلة بحياتهم وحتى يحسن إبلاغ الصورة التي يحملها في نفوسهم من الإذعان والاستفزاز ما يبلغ به شأوه ويحقق مرماه. والإذعان كما يرى برلمان وتيتيكاه غاية كلّ حجاج.

٨- التأكيد على أنّ خطابة علي بن أبي طالب الحربية مبنية على مواضعات قرآنية ، فالإمام يقرّب خطابه الحربي من الخطاب القرآني في مادته ، حتى يقوّي حججه ، وما اعتماده الواضح على آيات القرآن وصوره وإيراد نصها إلا لكونها حاملة شحنة دينية في دلالتها ولكونها حاملة لبلاغة الصورة.

وهو بهذه الصورة يمارس إحدى السلطتين (الترغيب والترهيب) على المتلقي باعتبار أنّ الإمام عليًا سائسٌ. فيسبغ على خطابه شرعية دينية تجعل المتلقي يذعن لخطابه. وهذا هو الأمر الذي حدا بكبار ناثري العربية وشعرائها في القديم والحديث إلى الأخذ بنصيبٍ وافرٍ من خطبه وسائر كلامه ، بل حفظه عن ظهر قلب.

٩- التنبيه على أنّ صور علي بن أبي طالب التي جاءت في عالم الإنسان

أمّا الجانب الثاني فيتمثل في فتح الآفاق أمام البحث في تراثنا العربي الذي نعتقد أن النظر فيه بأدوات منهجيّة ومعرفية جديدة كفيلٌ بأنّ يكشفَ جوانب طريفة تستحق الاستكشاف ، وما علينا إلا أنّ نعرف كيف نقرأ الصورة الفنية قراءةً لا تقتصر على استخراج أنواعها المجازية واجتثاثها من سياقاتها التي جاءت فيها اجتثاثاً يجعلها وسائل عقيمة لا تنتج شيئاً جديداً.

ورجاؤنا أنّ يكون ما قدّمناه مثيرًا لاستفهامات يمكن أن تكوّن أفاقًا لدراسات أخرى تُعنى بمادة علي بن أبي طالب الخطابية التي نعدّها ثريّة وقابلة للبحث ، باعتبارِ أن النص « مفتوحٌ على كلِّ من يعرف القراءة والحضور الزمني الدائم للمعنى هو الذي يفتحه على قرّاء مجهولين ، ومن هنا فإن تاريخية القراءة هي النظير المقابل لهذا الحضور الزمني الدائم ، إذاً ما دام النص يفلت من مؤلفه ومن سياقه ، فإنه يفلت أيضاً من متلقيه الأصلي، وهكذا يهب نفسه قرّاءً جدداً باستمرار »[١].

والحمد لله ربّ العالمين

---

١. بول ريكور ، نظرية التأويل : الخطاب وفائض المعنى ، ترجمة سعيد الغانمي ، ط١ ، الدار البيضاء، المغرب ، ٢٠٠٣ ، ص ١٤٦.

توزيعها في الخطبة على نحو مدروس يجعلها ألصق بالمتلّقي وأشد وقعًا عليه، وهذا ما يجعله مقوّمًا من مقوّمات النص الخطابيّ بل من أهم العوامل المساعدة على تحقيق الغاية وهي الإقناع والتأثير.

١٢- بيّنا في هذا البحث ، أنّ معظم الصور الفنية في خطب الإمام علي الحربيّة تحمل وظيفة حجاجية، وقد تنوّعت أغراضها ومراميها فمن التوبيخ إلى الاستشهاد إلى المثال إلى الأنموذج إلى توظيف الحكمة.

١٣- انتهينا في هذا البحث إلى أنّ موقع الصورة أدى دورًا مهمًا في توجيه تقبل الجمهور لما يسمع ، فقد كان بحق جهاز التحكم في ذلك التوجيه إذ إنّ الصورة الحجاجية الحاملة لغرض التوبيخ أو الاستشهاد أو المثال أو الأنموذج أو الحكمة كانت الموقع الأكثر ظهورًا في المدونة الحربية وخاصة في خاتمة الخطبة ؛ ومرد ذلك إلى أنّ الخطيب كان يهدف إلى جعل الصورة تحدث رنينًا وتأثيرًا بالغين في المتلقي ممّا يؤدي إلى الإذعان والتسليم لمطلب الخطيب ، وبذلك يتحقق الهدف من الصورة والخطبة عمومًا.

وبعد ، فإن أهمية هذا العمل تتجسد في جانبين : فهو في بعده الخاص يبرز أهم النتائج التي توصلنا إليها في دراسة الصور الفنية في الخطب الحربية ، واستخلاص علاقاتها ، ومصادرها ووظائفها واستشفاف بلاغتها، وحجاجيتها من حيث هي ممارسة اجرائية على نصوص نثرية.

قائمة المصادر والمراجع

هـ)، **نهج البلاغة**، شرح محمّد عبده، وخرّج مصادره حسين الأعلمي، ط ١، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، الجزءان الأوّل والثّاني (في المختار من خطب علي بن أبي طالب)، ١٩٩٣.

٢ـ المصادر العامة

(كتب الأدب والموسوعات والشّروح والمختارات والتّفاسير والمعاجم)

ـ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمّد (ت ٦٣٠ هـ)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣، ١٩٨٧.

ـ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان**، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط ١، دار إحيا التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧.

ـ ابن عساكر، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧٣ هـ)، **تاريخ دمشق**، تحقيق محمّد باقر المحمودي، ط ١، دار التّعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٥.

ـ ابن قتيبه، أبو محمّد عبد الله بن مسلم الدّينَورَي (ت ٢٧٦ هـ)، **عُيُونُ الأخبار**، شرح وتعليق يوسف علي طويل، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦.

قائمة المصادر والمراجع

أ ـ أمهات الكتب

ـ القرآن الكريم ، منقحاً على الرّسم العثماني ، ط. دار الصفوة ، بيروت ، د. ت.

ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١ هـ) ، **لسان العرب** ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٥ جزءًا ، ١٩٩٠ .

ـ أحمد الشنتناوي وآخرون ، **دائرة المعارف الإسلامية** ، مراجعة محمّد مهدي علاّم ، ط. دار الفكر ، المجلد ٨ ، د. ت.

ـ محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، وضع فهارسه حسين الأعلمي ، ط ١ ، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٩ .

ب ـ المصادر

١ـ المصدر المعتمد في البحث (المدونة)

ـ الشّريف الرّضي ،أبو الحسن محمد بن الحسين بن الطاهر (ت٤٠٦

ـ الرَّيشهري (مُحمّد) ، **موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في كتاب والسنة والتاريخ** ، بمساعدة مُحمّد كاظم الطباطبائي ، ومحمود الطباطبائي ، ط١ ، دار الحديث للطباعة والنشر ، قم ، ٢٠٠٠.

ـ الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) ، **الكشّاف عن حقائق غَوامِض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض ، ط ١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، جـ ١ ، ١٩٩٨.

ـ الشّهْرَسْتاني ، أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أحمد (ت٥٤٨هـ)،**موسوعة الملل والنحل** ، ط ١ ، مؤسسة ناصر للثقافة،١٩٨١.

ـ الطباطبائي ، محمّد حسين ، **الميزان في تفسير القرآن** ، ط ١ ، مؤسسة الأعملي للمطبوعات ، بيروت ، ج ٩ ، ١٩٩٧.

ـ العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ) ، **كتاب الصناعتين** ، تحقيق مفيد قميحة ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٩.

ـ القالي ، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم بن عَيذُون (ت ٣٥٦ هـ) ، **الأمالي** ، تحقيق صلاح بن فتحي هلل وسيّد بن عباس الجليمي ، ط ١ ،

ـــ ،
الشِّعْرُ والشعراء ، تحقق مفيد قميحة ومحمد أمين الضنّاوي ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠.

ـ ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ) ، **البداية والنهاية** ، ط المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، المجلد الأوّل ، د.ت.

ـ التهانوي ، محمّد علي ، **موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعُلوم** ، مراجعة رفيق العجم ، علي دحروج وآخرون ، ط١ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٦.

ـ الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل (ت ٤٢٩ هـ) ، **ثمار القلوب** ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٣.

ـ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) ، **الحيوان** ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، ط دار الجيل ، بيروت ١٩٩٦.

ـ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ ، **البيان والتبيين** ، تحقيق زكريا عميرات ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠.

ـ الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله بن محمّد بن محمّد (ت ٤٠٥ هـ) ، **المستدرك على الصحيحين** ، ط دار الفكر ، بيروت ، ج ٣ ، ١٩٨٠.

٣- المصادر

ـ أرسطو ، **الخطابة** ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ط٢ دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦ .

ـ ابن الأثير ، أبو الفتح ضياء الدّين نصر الله بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم (ت ٦٣٧ هـ) ، **المثل السّائر** ، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد ، ط المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٠ .

ـ ابن جنّي ، أبو الفتح علي ابن أبي بكر بن أحمد بن علي بن يحيي (ت ٣٩٢ هـ) ، **الخصائص** ، تحقيق محمّد علي النّجار ، ط ٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

ـ ابن رشد ، **تلخيص الخطابة** ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، ط دار القلم ، بيروت ، د.ت.

ـ ابن رشيق القيرواني ، أبو علي الحسن (ت ٤٥٦ هـ) ، **العمدة** ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، ط ١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠١ .

ـ البابراني ، أكمل الدين محمّد بن محمود بن أحمد (ت ٧٨٦ هـ) ، **شرح التلخيص** ، تحقيق محمّد مصطفى رمضان صوفية ، ط ١ ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ١٩٨٣ .

ـ التفتازاني ، مسعود بن عبد الله الشّيخ سعد الدين ، (ت ٧٧١ هـ) ،

المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠١ .

ـ القندوزي الحنفي ، سليمان بن إبراهيم (ت ١٢٩٤ هـ) ، **ينابيع المودة لذوي القربى** ، تحقيق سيّد علي جمال أشرف الحسيني ، جـ ١ ، ٢ ، د.ت.

ـ المبّرد ، أبو العبّاس بن محمّد بن يزيد (٢٨٥ هـ) ، **الكامل في اللغة والأدب** ، كتب هوامشه نعيم زرزور و تغاريد بيضون ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ .

ـ المسعودي ، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ (ت ٣٤٦ هـ) ، **مروج الذّهب** ، شرحه وقدّم له مفيد محمّد قميحة ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦ .

ـ المنقري ، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ) ، **وقعة صِفّين** ، تحقيق عبد السّلام هارون ، ط ٣ ، منشورات مكتبة النجفي ، قم ، ١٩٦٢ .

ـ الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمّد بن إبراهيم (ت ٥١٨ هـ) ، **مجمع الأمثال** ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد ، ط المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٢ .

ـ ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) **معجم البلدان** ، تقديم محمّد عبد الرحمن المرعشلي ، ط دار أحياء التراث العربي ومؤسّسة التّاريخ العربي ، بيروت ، د.ت.

الطِّراز مراجعة وضبط وتدقيق محمّد عبد السّلام شاهين ، ط١ دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ١٩٩٥ .

ـ الفارابي، **الخطابة** ، تحقيق ج. لانقهاد (J.langhade وم. قريناشي Grignaschi) ، ط دار المشرق ، بيروت ،١٩٧١ .

ـ القزويني ، جلال الدين أبو عبد الله محمّد ، (ت ٧٣٩ هـ) ، **الإيضاح** ، تحقيق رحاب عكّاوي ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، ٢٠٠٠ .

ـ صليبا (جميل) ، **المعجم الفلسفي** ، ط دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصرية ، بيروت ، القاهرة ، د.ت.

جـ ـ المراجع

١ - المراجع العربية

ـ ابن رمضان (صالح) ، **الرسائل الأدبية** ، ط منشورات كلية الآداب بمنوبة ، تونس ،٢٠٠١ .

ـ ابن أبى الحديد المعتزلي ، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنيّ (ت ٦٥٦ هـ) ، **شرح نهج البلاغة** ، قدّم له وعلّق عليه حسين الأعلمي ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، ١٩٩٥ .

ـ أبو حاقة (أحمد) ، **البلاغة والتحليل الأدبي** ، ط ٢ ، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٩٣ .

شرح مختصر المعاني، رتبّة وعلّق عليه عبد المتعال الصعيدي، ط٣، مطبعة غدير، قُم، د.ت.

ـ الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد (ت ٤٧١ هـ)، **أسرار البلاغة**، تحقيق محمّد رشيد رضا وأسامة صلاح الدين منيمنة، ط ١، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٢.

ـ ـــــــــ، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمّد رشيد رضا، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨.

ـ الجرجاني، ركن الدين محمّد بن علي بن محمّد (ت ٧٢٩ هـ)، **الإشارات والتنبيهات**، تحقيق سليمان دنيا، د. ط، مؤسسة النعمان، بيروت، ١٩٩٢.

ـ الرازي، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسين بن علي فخر الدين، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، تحقيق بكري شيخ أمين، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٨٥.

ـ السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمّد بن علي (ت ٦٢٦ هـ)، **مفتاح العُلوم**، ضبطه وشرحه نعيم زرزور، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.

ـ العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم (ت ٧٤٥ هـ)، **كتاب**

ـ الجارم (علي) ، أمين (مصطفى) ، **البلاغة الواضحة** ، ط دار المعارف، القاهرة ودار المعارف ، لبنان ، ١٩٧٩ .

ـ الجربي (عبير شرف الدين) ، **الدراسات العربية في الصورة الفنية : عرض وتقيم** ، بحث لنيل شهادة الدراسات المعمقة مرقونة ، كلية الآداب ، منوبة ، ٢٠٠٢ .

ـ الحوفي (أحمد محمّد) ، **بلاغة الإمام علي** ، ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .

ـ الخوئي (ميرزا حبيب الله الهاشمي) ، **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة** ، تحقيق علي عاشور ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٣ .

ـ الداية (فايز) ، **جماليات الأسلوب** ، ط٢ دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٦ .

ـ الزّركلي (خير الدين) ، **الأعلام** ، ط١٤ ، دار العلم الملايين ، بيروت، شباط / فبراير ١٩٩٩ .

ـ الزنّاد (الأزهر) ، **دروس في البلاغة العربية** ، ط١ ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ـ الدار البيضاء ـ بيروت العربية ، و (محمّد علي الحامي) للنشر ـ صفاقس ـ تونس ، ١٩٩٢ .

ـ ـــــــــ ، **نسيج النص** ،ط١ المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ـ

ـ الأخضر (فاطمة) ، **خصائص الأسلوب في أدب المسعدي** ، ط١ ماي، مطبعة حنّبعل للطباعة والنشر ، ٢٠٠٢.

ـ أمين (إيمان محمد) ، **دارسة أسلوبية للشعر بدر الشاكر السياب** ، اطروحة دكتوراه مرقونة ، كلية الآداب الجامعة الأردنية ، ١٩٩٧.

ـ الأميني (عبدالحسين أحمد النجفي) ، **الغدير** ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٤.

ـ البحراني ، كمال الدّين ميثم بن علي بن ميثم (ت ٦٧٩ هـ) ، **شرح نهج البلاغة**، ط١ ، دار الثقلين للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٩.

ـ _____ ، **أصول البلاغة**، ط١ ، مكتبة العزيزي ، قم ، ١٩٩٠.

ـ البصير(كامل حسن)،**بناء الصور الفنية في البيان العربي** ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٧.

ـ البطل (علي) ، **الصورة في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري**، ط ٣ ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٣.

ـ البيهقي ، علي بن زيد الأنصاري (ت ٥٦٥ هـ) ، **معارج نهج البلاغة**، تحقيق أسعد الطيب ، ط١ ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، قُم، ٢٠٠١.

مرقونة ، كلية الآداب ، منوبة ، ١٩٩٠

ـ الغروي (محمد) ، **الأمثال في نهج البلاغة** ، ط١ ، انتشارات فيروز آبادي، قم ،١٩٨١.

ـ العقاد (عباس محمود) ، **عبقرية الإمام** ، ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ت.

ـ العمري (محمّد) ، **البلاغة العربية : أصولها وامتداداتها** ، ط أفريقيا الشرق ، بيروت ، ١٩٩٩.

ـ القرويني (محمّد كاظم) ، **الإمام علي من المهد إلى اللحد** ، ط١٥ ، دار القارئ ، بيروت ، ٢٠٠٠.

ـ المبارك (ناصر حميد الشيخ إبراهيم) ، **الظّاهر اللغويّ في الثّقافة العربية: دراسة في المنهج الدلاليّ عند العرب** ، ط١ ، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٤.

ـ المبخوت (شكري) ، **عمل النفي وخصائصه في اللغة العربية** ، اطروحة دكتوراه مرقونة ، كلية الآداب ، منوبة ، ٢٠٠١.

ـ المراغي (أحمد مصطفى) ، **علوم البلاغة** ، ط دار القلم ، بيروت ، د.ت.

ـ المسدي (عبدالسلام) ، **الأسلوبية والأسلُوب** ، ط الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس ، ١٩٧٧.

الدار البيضاء ـ بيروت ،١٩٩٣ .

ـ ساعي (أحمد بسام)**الصورة بين البلاغة والنَّقد** ،ط١ المنار للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ،١٩٨٤ .

ـــ الشايب (أحمد)،**الأسلوب** ،ط٢ مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة،١٩٤٥ .

صالح (سالم عبدالرب) ، **الخصائص الأسلوبية للمثل في كتاب « مجمع الأمثال» للميداني** ، رسالة ماجستير ، مرقونة ، كلية التربية ، عدن ، ١٩٩٩ .

ـ الصدر (محمّد باقر) ، **الإمام علي سيرة وجهاد** ، ط١ ، دار المرتضى ، بيروت ، ٢٠٠٣ .

ـ الطرابلسي (محمّد الهادي) ، **خصائص الأسلوب في الشوقيات** ، ط منشورات الجامعة التّونسية ، ١٩٨١ .

ـ العاملي (حسين جمعة) ، **الخطابة : تاريخها ، قواعدها ، آدابها** ، ط مطبعة وزنكوغراف الفكر ، بيروت ، ١٩٨٣ .

ـ عتيق (عبد العزيز)، **علم المعاني والبيان والبديع** ، ط دار النهضة العربية ، د.ت.

ـ العريض (عبد الجليل) ، **فكر علي بن أبي طالب** ،أطروحة دكتوراه

ـ الموسوي (محسن) ، **دولة الإمام علي** ، ط١ ، دار البيان العربي ، بيروت، ١٩٩٣.

ـ الناجح (عز الدين) ، **العوامل الحجاجية في اللغة العربية** ، بحث لنيل شهادة الدراسات المعمقة مرقونة ، كلية الآداب ، منوبة ، ٢٠٠٤.

ـ النص (إحسان) ، **الخطابة في عصرها الذهبي** ، ط دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣.

ـ النويري (محمد) ، **علم الكلام و النظرية البلاغية عند العرب** ، ط١ جانفي ، دار محمّد على الحامي للنشر والتوزيع ـ صفاقس ، وكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ٩ فريل ـ تونس ، ٢٠٠١.

ـ الهاشمي (أحمد) ، **جواهر البلاغة** ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت.

ـ اليافي (نعيم) ،**تطور الصورة الفنية في الشعر العربي** ، ط اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،بلاتا ، د.ت.

ـ اسماعيل (عز الدين) ، **التفسير النفسي للأدب** ، ط٤ دار العودة ، بيروت ،١٩٨٨.

ـ امبيريك (أحمد بن محمّد) ، **صورة بخيل الجاحظ الفنيّة من خلال خصائص الأسلوب في كتاب البخلاء** ، ط دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، والدار التونسية للنشر ، ١٩٨٦.

ـ _____ ، **قراءات** ، ط ٤ سعاد الصباح ، الكويت ، ١٩٩٣.

المسدي (عبدالسلام) ، الطرابلسي (محمّد الهادي) ، **الشّرط في القرآن** ، ط الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس ، ١٩٨٥.

ـ مطلوب (أحمد) **معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها** ، ط٢ مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٦.

ـ المظفر (محمّد رضا) ، **المنطق** ، ط٢ ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٥.

ـ المعلم (محسن علي) ، **العقائد من نهج البلاغة** ، ط ١ ، دار الهادي ، بيروت ، ١٩٩٩.

ـ المهاجري (عبدالحميد) ، **الإمام علي سيرته الذاتية وفكره الحضاري**، ط١ ، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٩٩٢.

ـ المناعي (مبروك) ، **أبو الطيب المتنبي : قلق الشعر ونشيد الدهر** ، ط٢ دار اليمامة ، تونس ١٩٩١.

ـ الموسوي (عباس علي) ، **نهج البلاغة من كلام الإمام علي : شرح جديد الأكبر عدد من المفردات اللغوية** ، ط١ ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٢.

ـ رزق (خليل) ، **شعر عبدالوهاب البياتي : في دراسة أسلوبية (١٩٤٥ –١٩٧٩)** ، ط١ ، مؤسسة الأشرف للتجارة والطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٥.

ـ سليمان (فتح الله أحمد) ، **الأسلوبية : مدخل نظري ودراسة تطبيقية**، ط مطبعة الدار الفنية للنشر والتوزيع ، د.ت.

ـ شاكر (كمال) ، **علي إمام لكل العصور** ، ط١ ، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠٠٣.

ـ سويف (مصطفى) ، **الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة** ، ط دار المعارف ،القاهرة ،١٩٥١.

ـ صفوت (أحمد زكي) ، **جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة** ، ط١ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د.ت.

ـ صوله (عبدالله) ، **الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية** ، ط جامعة منوبة ، كلية الآداب منوبة ، تونس ، ٢٠٠١.

ـ ضيف (شوقي) ، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي** ، ط١١ ، دار المعارف ، ١٩٨٧.

ـ طه حسين ، **الفتنة الكبرى علي وبنوه** ، ط٧ دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩.

ـ بروكلمان (كارل) ، **تاريخ الأدب العربي** ، نقله إلى العربية عبدالحليم النّجار ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

ـ بلاشير ، **تاريخ الأدب العربي** ، تعريب إبراهيم الكيلاني ، ط دار الفكر دمشق ، ودار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩٨ .

ـ دهمان (أحمد علي) ، **الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني : منهجاً وتطبيقا** ، ط١ دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٦ .

ـ جاسم (عزيز السيد) ، **علي بن أبي طالب سلطة الحق** ، ط٢ ، سينا للنشر ، القاهرة ومؤسسة الإنتشار العربي ، بيروت ، ١٩٩٧ .

ـ جرداق (جُورج) ، **الإمام علي صوت العدالة الإنسانية** ، ط منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٠ .

ـ جمعة (حسين) ، **قضايا الإبداع الفني** ، ط١ دار الأدب ، بيروت ١٩٨٣ .

ـ حاوي ، ايليا ، **فن الخطابة** ، ط منشورات الشرق الجديد ، بيروت ، ١٩٦١ .

ـ خفاجي (محمّد عبد المنعم) ، وشرف (عبد العزيز) ، **نحو بلاغة جديدة** ، ط مكتبة غريب ، القاهرة ، د.ت.

ـ ربابعة (موسى) ، **جماليات الأسلوب والتلقي : دراسة تطبيقية** ، ط١ ، مؤسّسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر و التوزيع ، إربد ـ الأردن ، ٢٠٠٠ .

ـ فضل (صلاح) ، **علم الأسلوب : مبادئه وإجراءاته** ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

ـ كحالة (عمر رضا)، **معجم المؤلفين**، ط١ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣.

ـ كفوري (خليل) ، **نحو بلاغة جديدة** ، ط منشورات ندّاف ، ١٩٩٤ .

ـ محمّد (عبد الزّهراء عثمان) ، **سيرة أمير المؤمنين** ، ط١ ، مؤسسة الفكر الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٣ .

ـ محمّد رضا ، **الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الرّاشدين** ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.

ـ مرزوق (حملي) ، **النقد الأدبي في القرنين الخامس والسادس الهجريين**، ط٢ .د.ن. ، ٢٠٠٤ .

ـ مصلوح (سعد) ، **الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية** ، ط٣ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

ـ ـــــــ ، **في النص الأدبي : دراسة أسلوبية إحصائية** ، ط٢ عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

ـ مفتاح (محمد) ، **مجهول البيان** ، ط١ دار توبقال ، المغرب ، ١٩٩٠ .

ـ نجاح (وسيمة) ، **حجاجية الصورة في خطب علي بن أبي طالب** ، رسالة أستاذية مرقونة ، دار المعلمين العليا ، ١٩٩٩ .

ـ عباس (إحسان) ، **عبد الحميد بن يحيى الكاتب** ، ط١ ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٨ .

ـ عبد الرحمن (نصرت) ، **في النقد الحديث** ، ط مكتبة الأقصى ، عمان، ١٩٧٩ .

ـ عبد الغفار (محمّد عبد الرزاق) ، **عبد القاهر الجرجاني في النقد العربي الحديث** ، ط١ ، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

ـ عبد الله (محمّد حسن) ، **الصورة والبناء الشعري** ،ط دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

ـ عبدالمطلب (محمّد) ، **البلاغة والأسلوبية** ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

ـ عسكر ، (قصي الشيخ) ، **التشبيه والاستعارة** ، ط١ ، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٨ .

ـ عصفور (جابر) ، **الصّورة الفنية في التّراث النّقدي والبلاغيّ عند العرب** ، ط٣ المركز الثّقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٢ .

ـ علي (سيد أمير) ، **مختصر تاريخ العرب** ، ترجمة عفيف البعلبكي ، ط١ ، دار العلم الملايين ، بيروت تموز / يوليو ، ١٩٩٠ .

ـ عياشي (منذر) ، **مقالات في الأسلوبية** ، ط منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٠ .

ـ كارلبل (توماس) ، **محمد رسول الهدى والرحمة** ، تعريب محمد السباعي ، ط المكتبة الأهلية ، بيروت ، ١٩٥٦ .

ـ لايكوف (جورج) ، جونسن (مارك) ، **الاستعارات التي نحيا بها** ، ترجمة عبد المجيد جحفة ، ط١ دار توبقال ، الغرب ، ١٩٩٦

ـ مورو (فرانسوا) ، **البلاغة : المدخل لدراسة الصّور البيانية** ، ترجمة محمّد الولي وعائشة جرير ، ط أفريقيا الشرق ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

ـ ويليك (رينيه) و وراين (أوستن) ، **نظريّة الأدب** ، ترجمة محيي الدين صبحي ، ومراجعة حسام الخطيب ، ط٢ المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٧ .

ـ ريكور(بول) ، **نظرية التأويل : الخطاب وفائض المعنى** ،ترجمة سعيد الغانمي ، ط١ ، الدار البيضاء ، المغرب ،٢٠٠٣ .

٣- المراجع الأجنبية

- Beaty J., and Matchett, W.H, **Poetry From Statement to Meaning**, Oxford University Press, 1965.

- Brooks, C, and Warren, A., **Understanding Poetry,** Holt Rinehart and Winston, New York, 1960.

- Danziger, M.K. and Stacy. J.W., **An troduction to**

ـ ناظم (حسن) ، **البنى الأُسلوبية : دراسة في «أنشودة المطر» للسياب**، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٢ .

ـ نعمة (عبدالله) ، **مصادر نهج البلاغة** ، ط دار الهدى ، بيروت،١٩٧٢ .

ـ ياسوف (أحمد) ، **الصُّورَةُ الَفَنِّيَةِ في الحديث النَّبوي الشريف** ، ط ١ دار المكتبي ، دمشق ، ٢٠٠٢ .

ـ يعقوب (إميل بديع) ، **موسوعة أمثال العرب** ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٥ .

ـ هلال (محّمد غنيمي) ، **النقد الأدبي الحديث** ، ط دار الثقافة ، ١٩٧٣ .

٢- المراجع الأجنبية المترجمة

ـ بليث (هنريش) ، **البلاغة والأُسلوبية** ، ترجمة وتعليق محمّد العمري ، ط أفريقيا الشّرق ، بيروت ، د.ت.

ـ برنس (جيرالد) ، **قاموس السّرديات** ، ترجمة السّيد إمام ، ط١ ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، ٢٠٠٣ .

ـ ديكرو (أوزوالد) وسشايفر (جان ماري) ، **القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان** ، ترجمة منذر عياشي ط جامعة البحرين ، ٢٠٠٣ .

ـ ساندیرس (فيلي) ، **نحو نظرية أسلوبية لسانية** ، ترجمة خالد محمود جمعة ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٣ .

ـ ابن رمضان (صالح) ، **مدخل إلى قراءة بعض النصوص الخطابية القديمة** ، مجلة علامات ، النادي الأدبي والثقافي بجدة ، المملكة العربية السعودية ، الجزء ٢٠ ، مجلد ٥ ، يونيو ١٩٩٦ .

ـ الرّيفي (هشام) ، **دراسة التشبيه بين التركيب النحوي والدلالة عند البلاغيين العرب القدامى** ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد ٢٨ ، ١٩٨٨ .

ـ سويد (ياسين) ، **الإمام علي وفن الحرب فكرًا وممارسةً** ، مجلة المنطق، العدد الخامس والسبعون والسّادس والسبعون ، شعبان ـ رمضان ١٤١١هـ / شباط – آذار ١٩٩١م.

ـ صمود (حمادي) ، **مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح**. ورد هذه المقال ضمن : **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، إعداد فريق البحث في البلاغة والحجاج ، إشراف حمادي صمود ، سلسلة آداب ، كلية الآداب منوبة ، د.ت.

ـ صولة (عبدالله) ، **الحجاج : أُطُرُهُ ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج ، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه** ورد هذ المقال ضمن : **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم** ، إعداد فريق البحث في البلاغة والحجاج ، إشراف حمادي صمود ، سلسلة آداب ، كلية الآداب منوبة ، د.ت.

Literary, Criticism, D.C Heath and company, U.S.A., 1961.

- Doubleday, N.F., **Studies in Poetry**, Harper, New York. 1949.

- Dudley, L., **The Study of Literature**, Hougton & Mifflin, U.S.A 1982.

- Fogle, R.H., **The imagery of Keats & Shelley, University of North Caroline**, U.S.A.1962.

- Korg, Jacob. **An Introduction to Poetry**, Holt Rinehart & Winston U.S.A., 1959.

- Lewis, C.O., **The Poetic Image**, Cox & Wymen, Britain, 1980.

- Supergeon, C.F.E., **Shakespeare's Imagery** & **What It Tells Us**, Cambridge University Press, 1965.

د ـ المقالات والدوريات

ـ البرادعي (خالد محيي الدين) ، **الصورة الفنية في كلام الإمام علي**، مجلة المنهاج ، العدد الخامس ، السنة الثانية ـ ربيع ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الفهارس

ـ الطرابلسي (محمد الهادي) ، **حوار (ثقافات) مع محمد الهادي الطرابلسي** ، مجلة ثقافات ، وكلية الآداب – جامعة البحرين ، العدد الرابع ، خريف ٢٠٠٢ .

ـ عجينة (محمّد) ، **عملية تدوين التراث العربي الإسلامي ، إشكالياتها وأبعادها** ، ضمن مجلة رحاب المعرفة ، السنة ١ ، العدد ٤ ، جوان- جويليه ١٩٩٨ .

ـ يوسف (ألفه) ، **أساليب الإقناع في الخطبة : دراسة في بعض خطب علي بن أبي طالب الحربية** ، ورد هذا المقال ضمن : أعمال الندوة التي نظمها قسم اللغة العربية من ٢٢ إلى ٢٤ أبريل ١٩٩٣ تحت عنوان : مشكل الجنس الأدبي في الأدب العربي القديم ، سلسلة الندوات ، منشورات كلية الآداب منوبة ، ١٩٩٤ .

ـ عزوان (عناد) ، **الخصائص الفنية لأدب الإمام علي عليه السلام** ، مجلة الموسم ، العدد السّابع ، ١٩٩٠ .

مقدّمة الفهارس

ارتأينا في مقدمة فهارسنا وملحقاتنا واستكمالاً لعملنا أن نردفه بعدد من الفهارس والملاحق تسهل استغلاله بأيسر سبيل. ولقد دعانا موضوع الدراسة (أسلوب عليّ بن أبي طالب في خطبه الحربيّة) إلى أن نفرد الفهرس الأوّل للخطب الحربية التي كانت مادتنا الأولى بشواهدها الحية. وجعلنا مدار الفهرس الثّاني على الأعلام التي ورد ذكرُها في متن البحث. أمّا الفهرس الثّالث فقد جعلناه للأمثال الواردة في متن دراستنا. وأمّا الفهرس الرّابع فقد خصصناه بالمصطلحات التي ورد ذكرها في البحث. وأما الفهرس الخامس فكان للأشعار، وأما الفهرس السادس فكان للآيات القرآنية ، وختمنا بفهرس المحتويات.

أولا : فهرس الخطب الحربية

اعتمدنا الفهرسة الالفبائية في ترتيب الخطب، ولقد واجهتنا صعوبة تمثّلت في عدم وجود عناوين لبعض الخطب ، فوضعنا لكلّ خطبة ليس

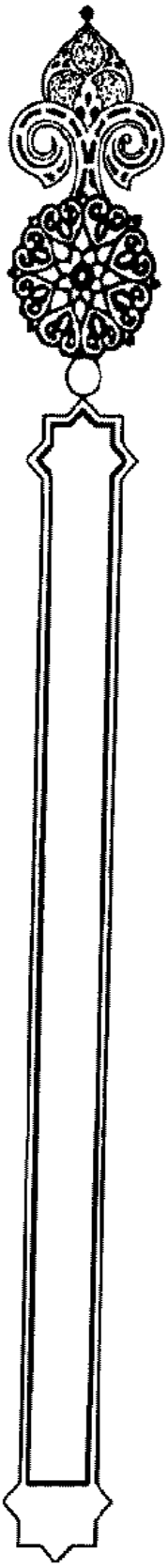

مقدمة الفهارس

أولاً : فهرس الخطب الحربيّة.

ثانياً : فهرس الأعلام.

ثالثاً : فهرس الأمثال.

رابعاً : فهرس المصطلحات.

خامساً : فهرس الأشعار.

سادساً : فهرس الآيات القرآنية.

ثالثاً : فهرس الأمثال

لم نعتمد في ترتيب الأمثال الحرف الأوّل فيها ، وإنّما رتبناها بحسب ورودها في الخطب أولاً فأول ، فذكرنا المثل كما جاء في المدونة العلوية وأصله كما جاء في كتب الأمثال ، ثم صاحبه – إن وُجِد ـ ورقم الخطبة التي ورد فيها وصفحات البحث التي ورد فيها.

رابعا : فهرس المصطلحات

أوردنا في هذا الفهرس المفردات التي استُخْدِمَت في هذه الدراسة في معنى اصطلاحي يختلف عن معناها اللغوي العام ، كما أننا لم نفصل بين القديم منها والحديث طلباً للتيسير، فجعلنا مُعتمدنا الصيغة التي تَرِدُ فيها الكلمة. فكلمة « الاستعارة » توجد في باب الهمزة وكلمة « التشبيه » توجد في باب التاء ، وكلمة « الكناية » توجد في باب الكاف ، وكلمة « المجاز » في باب الميم.

خامساً : فهرس الأشعار

لم نجد في هذا الفهرس صعوبات تُذكَرِ.فرتبنا الأبيات التي وردت في المتن ترتيباً ألفبائياً،ولم نبدأ بحركة الرّويّ ، كما أننا لم نتقيّد بالدَّوائر الخليلية، لأنّ عدد الأبيات قليل، والعمل بها يربك النظام الذي أخذنا به ، وقد اقتصرنا في هذا الفهرس على ذكر القافية ،فلم نورد البيت ولا صدره ولا

عليها عنوان عنواناً جعلناه بين قوسين. ونكتفي هنا بمثالين هما : الخطبة رقم (٩) ليس لها عنوان فاجتهدنا في وضع عنوان لها هو (وصف أصحاب الجمل). والخطبة رقم (١٠) وضعنا لها عنواناً هو (الشيطان)، أمّا بقية الخطب التي وردت في متن البحث فقد أثبتنا لها عناوينها المرقومة في المدونة.

ثانيا : فهرس الأعلام والأماكن والقبائل

لم نجد في هذا الفهرس مشكلات تُذكر ، و لقد اعتمدنا في استخراج أسماء هؤلاء الأعلام على ما جاء في متن هذا البحث ، دون أن نغفل اسمًا ورد في المتن ، وقد عملنا على ترتيب فهرس الأعلام والأماكن والقبائل ترتيبا ألفبائياً. فاعتمدنا في الترتيب الاسم، فاسم الأب، فالنسبة ، وإذا غلب على الشخص اسم أو لقب عُرِف به ذكرناه باسمه وأحلنا على الاسم الذي عُرِف به بين قوسين في الفهرس.

فمحمّد بن علي بن أبي طالب مثلاً نجده في حرف الميم على هذا النحو : محمد بن علي بن أبي طالب وله أيضاً اسم عُرِف به وهو (محمد بن الحنفية). فيكون الترتيب على النحو التالي:

محمّد بن علي بن أبي طالب (محمد بن الحنفية) ، ونثبت الصفحات التي ورد فيها ذكرُه.

أولاً: فهرس الخطب

ـ أهل الكوفة ١٣٥، ١٨٨، ٢١٤، ٢٣٠، ٢٤٣

ـ بعد التحكيم ٦٥، ٨٩، ١٤٦، ١٤٧، ٣٤١، ٤٥٤

ـ بعد قتل طلحة والزبير ٤٤٤

ـ بعد ليلة الهرير ١٤٦

ـ بعد ليلة الهرير ٢٩٣، ٤٩١

ـ بعدما اتهموه بقتل عثمان ١٣٨، ١٤٤، ١٤٥

ـ خطبة الجهاد ١٠٦، ١٠٧، ١١٩، ١٤٦، ١٦٣، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٥، ٢٠٥، ٢٣٢

ـ ذم اتباع الشيطان ١٥٧، ١٨٥، ٢٠٣، ٢٠٤، ٤٤٥

ـ صورة موت النبيّ سليمان بن داود عليه السلام ٢٠٥، ٢١٥

ـ عند خروجه لقتال أهل البصرة ٤٥٢

ـ عند خروجه لقتال أهل البصرة ٦٠، ٦٩

ـ عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة ٦٩

ـ غزوة النعمان بن بشير الأنصاري لبلدة عين التمر ٧١

ـ في استشارة عمر بن الخطاب في الخوض لقتال الفرس بنفسه ٥٣، ١١٤، ١١٥، ١٣٥، ١٨٤، ١٩٦، ٢١٦

عجزه ، ثم ذكرنا البحر وقائله ،والصفحات التي ورد فيها البيت الشعري.

سادساً : فهرس الآيات القرآنية

أوردنا في هذا الفهرس الآيات التي استُخدِمت في هذا العمل ، وقد اعتمدنا نظام السُّور في القرآن ، فانتهجنا سبيلاً تنازليّاً بحسب ورود السُّور في المصحف العثمانيّ. وذكرنا الصفحات التي وردت فيها الآيات.

ـ قاله لأصحابه في ساحة الحرب ٤٩٣

ـ قاله لبعض أصحابه ، لما عزم على المسير إلى الخوارج ، فقال لـه : يـا أمـير المؤمنين إن سِرْتَ في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمُرَادِك من طريق علم النُّجوم ١٠١

ـ قاله للخوارج وقد خرج إلى مُعَسْكَرِهِمْ وهم مُقِيمون على إنكار الحكومة، فقال عليه السلام ٢٠٠

ـ قبل التحكيم ١٠٩

ـ قبل بعثة النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله ١١٥، ١١٦، ٢٠٣، ٢١٦

ـ قوله للزبير في حال اقتضت ذلك ١٦٤، ٤٤٦

ـ لابنهِ محمد بن الحنفيّة لما أعطاه الرّاية يـوم الجمـل ٥٤، ٥٨، ١١٦، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٥٧

ـ للخوارج أيضاً ٥٤

ـ لما اشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ١٥١، ١٧٧، ١٨٨، ١٨٩

ـ لّما أظفره الله بأصحاب الجمل ، وقد قال له بعض أصحابه وَدِدْتُ أنّ أخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك اللهُ على أعدائك ٥٣، ١٦٦

ـ لّما خوّف الإمام عليّ عليه السلام من الغيلة ٢٥٢

ـ لّما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطب العبّاس وأبو سُـفيان بـن

ـ في استنفار النّاس إلى أهل الشّام ٩٩، ١٠٣، ١٠٨، ١٤٣، ١٤٤

ـ في التحكيم ٦٤، ٦٢، ١٤٦، ٢٨٩، ٤٩٥

ـ في الحث على الجهاد وذمّ المتقاعدين ١٥٤، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢

ـ في الحث على قتال الخوارج على الحق ٥٨، ٢٤٢

ـ في توبيخ أصحابه على التباطؤ على نصرة الحق ١٣٦، ١٥٣، ٢٥٠

ـ في ذَمَّ أصحابه ١٠٤، ١٠٧

ـ في ذَمَّ العاصين من أصحابه ١٠٤، ١٠٧، ١٧٦

ـ في ذمّ المتخاذلين ١٠٤، ١٧٥، ١٨٣، ١٨٦، ١٩٠، ٢٠٧، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٧

ـ في ذمّ المتقاعدين عن القتال ١٥٣، ١٠٤، ١٦٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ٢١٢، ٢٣٩، ٢٥٥، ٣٤٠

ـ في ذمٍّ أهل البصرة ٦٠، ٩٨، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٩، ١١٠، ١٣٥، ١٥٦، ١٦٠، ١٩٣، ٢٣٦

ـ في ذَمَّ أهل العراق ١٧٤، ١٧٩، ٢٦٣

ـ في ذمٍّ من بايعه بشروط ١٥٧

ـ في شأن الحكمين وذّم أهل الشام ٢٥٤

ـ في ظلم بني أمية ١٣٦

ثانياً: فهرس الأعلام والأماكن

ابن أبي الحديد المعتزلي، ١٦، ٦٦، ٣١٥

ابـــن الأثـــير، ٢٦، ٣١، ١١٩، ١٢١، ١٧٦، ١٧٧، ١٩١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٩١، ٣٧٩، ٣٩٢

ابن الحضرمي، ٢٨٢

ابن المؤدب، ٦٨، ٦٩، ٤٢٧، ٤٢٨، ٥١١، ٥٤٠

ابن جني، ١٩٠، ٢٠١

ابن ميثم البحراني، ١٥١، ٢٤٨، ٢٥٨

ابن نباتة (الخطيب)، ٢٥، ٧٥، ٧٦

أخو هوازن، ٢٨٨، ٢٩٩

الأردن، ٣٠، ٤٠٤

أرســـــطو، ٨، ٩، ١٠، ١٠١، ١١٠، ١٨٦، ١٩٥، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٦٤، ٣٠٦، ٣١٢، ٣١٥، ٣٣٣، ٣٤٨، ٣٨٣، ٤٠٨

ألفة يوسف، ٤٢

امرؤ القيس، ١٠٧

الأنبار، ٢٢٣، ٢٦٣، ٤٤٦

اوزوالد ديكرو، ٢١، ٣٧٦

حربٍ في أن يُبَايعا لَهُ بالخِلافَة ١٧٧، ١٨٩، ١٩٩

ـ لمّا قَلَّد محمّد بن أبي بكر مصر فَمُلِكَتْ عليهِ فَقُتِل ١٣٧

ـ وصف أصحاب الجمل ٥٩، ٢٣٤

ـ وفيها ينبه أمير المؤمنين على فضله وعمله ويبين فتنة بني أمية ١٨٥، ١٨٨

ـ وقد استبطأ أصحابه إدنه لهم في القتال بصفين ٦٤، ٦٦، ٧٠

ـ وقد تواترت عليه الأخبار، باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد... ٦١

ـ وقد جَمَعَ النَّاس وحضّهم على الجهاد فسكُتوا مَلِيّاً ١٥٤

ـ ومن خطبة له عليه السلام بِصِفِّينَ ٦٤، ٦٦، ٧٠، ٢١١

ـ يصف أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله ٩٨، ٩٩، ١١٨، ١٥٥، ١٦٤، ١٧٦، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢١٦، ٢١٧، ٢٤٨

ـ يوم صفِّين حين أمر النّاس بالصلح ٦٤، ٦٦، ٧٠

جذيمة الأبرش، ١٦٥، ٣٠٠

الجزيرة، ٢٤، ١٥٦، ٢٣٥، ٢٦١، ٢٧٤، ٣٠٠

الحجاز، ٢٢٣، ٢٨١

حسان بن ثابت، ١٠٧

حسان بن حسان البكري، ٤٤٧، ٥٢٥

حسن مرحمة، ٤٥

حلمي مرزوق، ٣٥٦، ٣٧١

حمادي صمود، ٩، ٢٩، ٣١٥، ٤٠٨

خليل كافوري، ١٧٣، ١٧٤، ٢٠١

الخنساء، ٢٩٩

الخـــــوارج، ٦٢، ٦٨، ٧٠، ٧٨، ٩٠، ١٣٢، ٢٦٤، ٢٩٦، ٣٣٥، ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٦٦

دريد بن الصمة، ١٦٥، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٣٢

الزباء، ١٥٦، ٣٠٠

الزبير، ٨٨، ١٢٩، ١٤٢، ١٨٦، ١٩٦، ٢٠٩، ٣٢٠، ٣٧٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٤٠، ٤٩١، ٥٠٧

س. داي. لويس، ١١٠

٤٢٤..... أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربيه

إيران، ٧٨

برلمان، ١٨٦، ٢٣٠، ٢٦٤، ٣١٦، ٣٣٤، ٣٨١

بسر بن أبي أرطاة، ٨١، ٤٥٤

البصرة، ٢٥، ٧١، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٤٤، ١٤٥، ١٨٤، ١٨٦، ٢٢٣، ٢٧٣، ٢٨٦، ٣٠٢، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٤٣٣، ٤٤٣، ٥٠٧

بني أمية، ١٠، ١٦، ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٦٥، ٣٠٠، ٤٦٠، ٤٦٣، ٤٧٤

بوفون، ٣٠

تركيا، ٣٩

توفيق بكار، ٢٣

تيتيكاه، ٢٦٤، ٣٨١

الثعالبي، ١٦، ١٩، ٦٥، ٣٤٧، ٣٦٤

جابر عصفور، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢٤

الجاحظ، ٧، ١١، ٣٢، ٣٦، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٩٣، ٩٤، ١٢٣، ٢٦٧، ٢٨٣، ٣١٦، ٣٨٠، ٣٩١، ٤٢٩، ٤٥١

جاستون اسنو، ١٨٤

جاكوبسون، ١١٦

الطبري، ٥٢

الطرابلسي، ١٢٦، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٥، ١٦٣، ٢٠٨،، ٢١٩، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٦٤

طلحـــــة، ١٢٧، ١٢٩، ١٤٢، ١٨٣، ١٨٦، ١٩٦، ٢٤١، ٢٥٩، ٣٢٠، ٣٦٠، ٣٧٠، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٩١، ٥٠٧

طه حسين، ٩١، ٢٨٧، ٤٠٢

عائـــــشة، ١٢٩، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٦، ٣٠٧، ٣٢٠، ٣٢٥، ٣٧٩

عباس الموسوي، ٧٨

عبد الجليل العريض، ١٥٠، ١٧٠

عبد الحميد الكاتب، ٢٤، ٧٤

عبد الرحمن بن ملجم، ٣٥، ٥١٥

عبد الزهراء الخطيب، ٥٧، ٥٨

عبدالقادر المهيري، ١٥

عبدالقاهر الجرجاني، ٩٧، ١٢٢، ١٣٩، ١٤٧، ١٧١، ١٧٧، ١٩١، ٢٨٢، ٣٤٠، ٣٧٧

عبدالله صوله، ١٠، ٢٠٧، ٢٣١، ٢٦٤، ٣٠٦، ٣٣٣، ٣٧٧

سشايفر (ماري)، ٢٢، ٣٧٦

سعيد بن نمران، ٨١، ٤٤٤

السكاكي، ١٧٦، ١٩١، ٣٩٣

سليمان بن داود، ٢٩٢، ٣٠٥، ٥١٣

شاطئ الفرات، ١٥٦، ٢٩١، ٤٥٩

الشام، ١٥، ٢٥، ٨٨، ٨٩، ١٣٥، ١٤٣، ١٨٣، ٢٢٣، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦٩، ٣٠٥، ٣٣٨، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٦٣، ٣٧٣، ٤٤٤، ٤٤٩، ٤٥١، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥١٧

شبه الجزيرة، ٢٤، ٢٣٥، ٢٦١، ٢٨٣

الشريف الرضي، ٣٢، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٦٣، ٦٤، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٣، ١١٣، ١١٤، ١٨٧، ١٩٨، ٢٧٥، ٣٦٦، ٤٧٣

شكري المبخوت، ٢٠٨، ٢١٩

شكسبير، ١٠٦

صالح بن رمضان، ٣٠، ٣٤، ٣٧، ١٥٠، ١٥٨، ٢١١، ٣٣١، ٣٣٧، ٣٦٣

صخر، ١٨٤

صفّين، ٣٠٠

الضحاك بن قيس، ٩٨، ٤٤٩

٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٥،
٣٧٩، ٣٨١، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤٠٤، ٥٢٥

علي بن زيد البيهقي، ٧٨

عمر بن الخطاب، ٢٥، ٦٠، ١٥٢، ١٨١، ٢٤٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٩٩،
٤٩٠، ٥٠٢

عيسى الوداعي، ٤٥

عين التمر، ٨٨، ٢٦٣، ٣١٥

الفرات، ٢٥، ٧٢، ٨٦، ١٥٦، ١٩٨، ٢٧٥، ٢٩١، ٤٥٩

فراس بن غنم، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٤٤

فرانسوا مورو، ٦، ٢٢، ٩٦، ١٧٥، ١٧٧، ٣٠١

الفرس، ٦٩، ١١٤، ١٦١، ٢٥٨، ٢٨٠، ٣٠٨، ٤٦٧

قريش، ٥٨، ٢٩٨، ٥٠٦

قصي الشيخ عسكر، ١٥٣، ١٥٤، ٣٢١

قصير بن سعيد اللخمي، ١٦٥، ٣٠٠

قطب الدين الكيدري، ٧٨

الكعبة، ٤٠

كلية الآداب منوبة، ٨، ٥٠، ١٦١، ٢٢٩، ٢٣١، ٣١٣، ٣٤٨، ٣٩٣،

٤٢٨ ..... أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربيه

عبيد الله بن العباس، ٨١، ٤٤٤، ٥٠٨

عثمان بن عفان، ٢٠٥

العـــــراق، ٢٥، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٢٢٣، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٩، ٣٠٢، ٣١٨، ٣١٩، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٥٥، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٤٦٦

علي بن أبي طالـب، ٢، ١١، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٢، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٨، ٤٢، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٥، ١٠٢، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١٢٣، ١٢٩، ١٣١، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٨،، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٥، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٨،

مـــــصر، ٢٦، ٨٠، ٩١، ١٨٣، ١٩٢، ٢٧٢، ٢٨٩، ٣٠٧، ٣٨٧، ٣٨٩، ٤٦٤

معاوية، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٤١، ٨١، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٤٥، ٢٥٩، ٢٧٢، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣١٤، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٥٦، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٧٩، ٣٨١، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٤، ٤٦٩، ٤٧٢، ٥٠٠، ٥١٠

مكة، ١٩٤

منوبـة، ٨، ١٠، ٢٩، ٥٠، ١٥١، ١٦١، ٢٠٧، ٢٢٩، ٢٣١، ٣١٣، ٣٤٨، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٩، ٤٠٩

ميرزا حبيب الله الخوئي، ٧٨

النابغة، ١٠٧، ٤٦٩، ٥١٠

ناصر المبارك، ١٠٧

النظام، ٢١٢، ٤١٤

النعمان بن بشير الأنصاري، ٩٧

نهاوند، ٦٠، ٢٧١، ٢٨١

نيروب، ١٨٦

هادي الطالبي، ٤٦

٤٣٠..... أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربيه
٣٩٩، ٤٠٩
الكوفـة، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٦٢، ٧٨، ٨٨، ١٤١، ١٨١، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٤١،
٢٥٩، ٢٦٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣١٩، ٤٥٨
المبرد، ١٣١
محمّد ، النبـي، ٦٥، ٢٢٤، ٢٧٨، ٢٩٩، ٣٤٧، ٤٢٩، ٤٥١، ٤٥٥، ٤٦١،
٤٧٢
محمد القاضي، ٤٥
محمد النويري، ٤٥
محمد الهادي الطرابلـسي، ١٢٦، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٥، ١٦٣، ٢٠٨،، ٢١٩،
٢٣٦، ٢٣٧، ٢٦٤
محمد بن أبي بكر، ٣٧٩، ٤٦٤
محمد بن الحنفية، ٤١٣
محمد عبده، ١٦، ٦٩، ١٨٧، ٢٤٠، ٢٨٥
محمد قوبعة، ٤٥
محمد محيي الدين عبد الحميد، ٧٤
مسجد الكوفة، ٢٦، ٤٠
المسعودي، ٤٨، ٦٦، ٢٩٣، ٣٩١

ثالثاً: فهرس الأمثال

أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا، ٢٩٢، ٣٤٦، ٤٧١
كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ ضَلْعَهَا مَعَهَا، ٢٤١، ٢٩٣، ٤٩١
لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ، ٥٥، ١٥١، ١٥٦، ٢٩١، ٣٢٢، ٣٤١، ٤٥٤
وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، ٣٠٣

٤٣٢..... أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربيه

هاشم بن عتبة، ١٩٣، ٤٦٥

هشام الريفي، ١٣٤، ٢٠٣، ٢٠٤

وسيمة نجاح، ٤٣

ياسوف علي، ١٠٦

اليونان، ١٧

٣٩٢، ٣٩٥، ٥٢٥

الأسـلوبية، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٤٩، ١١٥، ١٤٦، ١٥٠، ١٧٥، ١٧٨، ١٨٩، ٣١٦، ٣٥٧، ٣٦٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٣، ٤٠٣

الإصابة، ١٠٧

الانثروبولوجية، ١٩، ١٦٨

الإيجاز، ٣٦، ٧٥، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٩٣

البصر بالحجة، ١٧

البلاغة الأرسطية، ١٨

بلاغة الخطابة، ٥١، ١٢٢

بلاغة العبارة، ١٩

البلاغـة العربيـة، ٩، ٦٦، ٩٨، ١٠٢، ١١٤، ١٢٦، ١٣٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٢، ١٨٤، ١٩٢، ١٩٥، ٣٨٧، ٣٩٨

البلاغة، ٦، ٧، ٨، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٨، ٢٢، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٤، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١١٣، ١١٤، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٩،

رابعاً: فهرس المصطلحات

الأجناس الخطبية، ٥١، ١١٣، ٣٧٥

أخلاق الحرب، ٧٥، ٨٠، ٣٦٧، ٥٢٧

الأدب، ٩، ١١، ١٤، ١٨، ٤٤، ٥٠، ٦٤، ١٠١، ١٠٨، ١٧٤، ٢٣٤، ٢٧٧، ٢٨٨، ٣٥٦، ٣٧١، ٣٧٩، ٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠٠، ٥٣٢

الاستعارات النائمة، ٢٣٩

الاستعارة التصريحية، ١٤٩، ١٥٢، ١٦٠، ٢٩٢، ٥٢٨

الاستعارة التمثيلية، ١٥٥، ٣٣٠

الاستعارة المكنية، ١٥٢، ٣٤٩، ٥٢٨

الاستعارة، ٣٤، ١٠٤، ١١٨، ١٢٠، ١٣٩، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٧٥، ١٧٨، ١٩١، ٢٣١، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٦٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٤٩، ٣٥٦، ٤٠٥، ٥٢٨

الأسلوب، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٣٣، ٦٦، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧، ١١٥، ١٢٣، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٥، ١٧٨، ١٩٣، ٢٠٨،، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٢١، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٥٥، ٢٧٧، ٣٠٤، ٣٦٨، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩١،

١٦٣، ١٦٧، ١٧٦، ٢٠٤، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٧، ٣٠١،
٣٠٢، ٣٠٣، ٣٢٣، ٣٦٣
التشبيه التمثيلي، ١٠٥، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٦٢، ٢٤٣، ٥٢٨
التشبيه المرسل، ٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٥، ١٦١، ٥٢٨
تشبيه بليغ، ١٤٣
التـــشبيه، ٢٤، ٧١، ٩٥، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢١،
١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣،
١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٤٩،
١٥٤، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٧٨، ١٩٥، ٢٤٣، ٢٦٥، ٣١٢، ٣١٩،
٣٢٤، ٣٥٦، ٣٩٤، ٣٩٩، ٤٠٥، ٥٢٨
التـــــصوير، ٩٤، ١٢٢، ١٢٩، ١٣٤، ١٤٩، ١٥٢، ١٨٧، ٢٣٥، ٢٣٦،
٢٣٧، ٢٤٢، ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٤،
٢٧٦، ٢٧٩، ٣١٢
تعاليم حربية، ٨١، ٥٢٧
التفسير، ١٠٨، ٤٠٠
التقابـــــل، ١٠٢، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٣٢،
٣٦٨، ٣٧٨

٤٣٦ ..... أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربيه
١٤٧، ١٤٨، ١٥١، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٧٢، ١٧٣،
١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢،
١٩٣، ١٩٥، ٢٠٢، ٢٢١، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٩،
٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٢،
٣١٦، ٣١٨، ٣٤٠، ٣٤٨، ٣٦١، ٣٧٩، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧،
٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٣، ٤٢٧،
٤٢٨، ٥١١، ٥١٧، ٥٤٠
البيـــان، ١٨، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٤٥، ٤٦، ٦٦، ٩٣، ٩٥، ٩٩، ١٠٢، ١٦٣،
١٧٥، ٢٠٥، ٢٨٣، ٣٣٠، ٣٨٦، ٣٩١، ٣٩٥، ٤٢٩، ٤٥١
التأويل، ٢١، ٢٢، ١٣٤، ٢٣٢، ٣٧٥، ٣٨١، ٤٠٦
التداعي، ١٨، ٢٤، ١٠٠، ١٠٧، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٩٢،
٢٠٤، ٢٢٨، ٢٣١، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٥٤، ٥٢٨
التداولية، ١٩
التدوين، ٤٠، ٤٢، ٥١، ٦٧، ١١٣، ٣٦٦، ٥٢٦
ترتيب الأقسام، ١٧
الترجمة، ١٧، ٥٧
التـشابه، ١٨، ٢٤، ١٠٧، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢٣، ١٥٦، ١٦٠، ١٦١،

الخطابة، ٥، ٨، ٩، ١٠، ١٤، ١٦، ١٩، ٢٣، ٣٥، ٤٢، ٤٤، ٤٧، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٩، ٦٠، ٦٦، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١٢٨، ٢٠٢، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٦٤، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٧، ٣٣٧، ٣٥٧، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٩، ٤٢٩، ٥٢٦

الخطـــــب، ١٥، ١٦، ١٨، ٢١، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٥، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٩، ٦٣، ٦٥، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٤، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١٣٦، ١٥٠، ١٥٨، ١٦٢، ١٨٩، ١٩٩، ٢٠٦، ٢١٤، ٢٢٢، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٨٧، ٣٠١، ٣١١، ٣١٢، ٣١٦، ٣٢٩، ٣٤٣، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧٤، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٢٩، ٥١٧، ٥٢٥، ٥٣٥

الخطبـــة الحربيـــة، ١٥، ٣٥، ٥٠، ٧٥، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٩

الخطبة الشرعية، ٥٤

الخطبة المنبرية، ٦٠

الخيال، ١٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٤٦، ١٥١، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٨، ٣٠٤، ٣٢٦

الدّال، ٢٨٢

تقديم الدارع، ٩٢

التلويح، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٨، ١٨٩، ٢٢٨، ٣٧٣، ٥٢٩

توظيف، ٢١، ٣١٠، ٣١٦، ٣٤٨، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٧٤، ٥٣٣

الثقافة، ١٠، ٤٤، ٩٨، ١٠٤، ١٠٧، ١٨٥، ٢٧٧، ٤٠٥

جناس، ٢٩

الجودة، ٤٥

الحجـــــاج، ٧، ٨، ٩، ١٠، ٢٤، ٣٤، ١٣٦، ١٥٠، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٥، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٦٤، ٢٨٢، ٣٠٦، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٤٨، ٣٦١، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٩٣، ٤٠٨

حجاجية الصورة، ٣٤، ٣١٦، ٣٦٠، ٤٠٤

الخطـــاب الحـــربي، ١٢٦، ١٣١، ١٣٢، ١٤١، ١٤٤، ١٥٥، ١٧٨، ٢٠٥، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٥٧، ٢٦٨، ٢٨١، ٣٠٥، ٣١٦، ٣٣٣، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٧٢، ٥٢٨

الخطابة الحوارية، ٦٠

الخطابة العربية، ١٠، ١٦، ٣٠٢، ٣٤٦

الخطابة العلوية، ٢٣، ٣٥، ٥٢، ١٣٧

الـصورة الفنيـة، ١١، ١٥، ١٨، ٢٣، ٢٤، ٢٩، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٩٢، ٩٣، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٨، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١٢٣، ١٥٢، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٨، ٢٨٦، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٨٧، ٣٩١، ٥٢٧

صورة بلاغية، ٩٧، ١٧٩

الصورة، ٦، ١١، ١٥، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٩، ٣٢، ٣٤، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٦، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٤، ٢٠٥، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢،

٤٤٠..... أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربيه

الدرجة الصفر، ٩٧، ٣٧٦

الدلالـــــة، ١٣١، ١٣٨، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٤، ١٩١، ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٤٤، ٢٥٣، ٣١٤، ٣٢٤، ٣٣٤، ٣٥٠

الذاكرة الجماعية، ٥٣

الرابط اللفظي، ١٣٣

الرابط المعنوي، ١٣٣

الراية، ٦٣، ٨٤، ٨٥، ٢٧١، ٤٤٢

الرمز، ١٨٣

الروح المعنوية، ٨١، ٩١

سجع الكهان، ٥٦

السجع، ٤٦، ٣٤٩، ٣٧١

السمة المشتركة، ٥٤

السياق، ١٤٩، ١٦٨، ١٨٧، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٧٧

الشاهد المثلي، ٣٠١

الشهادة، ٢٩٥

الشواهد، ٣٤٤

الصحة، ١٠٧

١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦،
١٨٧، ١٩١، ١٩٤، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٨٥، ٣٥٦، ٣٧٣، ٤٠٥، ٥٢٩

مادة الصورة، ٤٣

المجاز العقلي، ١٠٤، ١٦٨، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٥٥، ٥٢٠

المجاز المرسل، ١٠٤، ١٦٨، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٥٢٩

المجـــاز، ٩٦، ٩٧، ١٠٤، ١٠٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٥٠، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٣،
١٧٥، ١٧٦، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨،
١٩٩، ٢٣٠، ٢٥٥، ٢٨٢، ٣٢٤، ٣٢٩، ٤٠٥، ٥٢٩

المجاوبات، ٥١، ٥٣، ٦٠، ١١٣، ٥٢٦

المجرد، ٣٠٤، ٣١٤

المحاورات، ٥١، ٥٣، ٥٩، ٥٢٦

المحسوس، ١٠٠، ١٠٩، ١١٠، ٣٠٤، ٣٢٣

المراجعات، ٥٣، ٦٢، ٥٢٦

المصادر التجريبية، ٢٤، ١٠٩، ٢٣٤، ٢٣٧، ٣٠٠، ٥٣١

المعطيات اللسانية، ٤٤

مقابلة، ٢٠، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٧، ٢٧٣، ٣٤٤، ٣٨٠

المقياس، ٣٦، ٨٤

٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥،
٥٢٧
طباق، ٢٠، ٢١٢
الظاهرة الأسلوبية، ١٧٨، ١٩٨
العبارة، ٨، ٩، ١٠، ١٤، ١٧، ٧١، ١٩٩، ٢٧٥، ٣٢٥، ٣٥٩
العدل، ٨٠، ٢٩٣
عدول، ٩٧، ١٧٦، ٣٧٦
العضّ على الأضراس، ٩٢
العَقْد، ٢٠٣
العلاقات الدلالية، ١٣٢
العلوم الشكلية، ١٩٥
الفدية، ٥٣
الفصاحة، ٧٤
فصل الخطاب، ٤٦، ٢٩١
فن القول، ٢٧
القرينة، ١٥٧
الكنايـــــة، ٩٧، ١٠٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤،

خامساً: فهرس الأشعار

أمرتكم أمري بمعنرج اللوى، فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد، ٦٥، ١٦٤، ٢٩٩، ٣٣٢، ٣٥٠، ٤٦٠

هنالك لو دعوت أتاك منهم، فوارس مثل أرمية الحميم، ٢٩٨، ٣٤٥، ٤٤٩، ٤٥٠

لعمر أبيك الخير يا عمرو انّني، على وضر من ذا الإناء قليل، ٢٩٩، ٤٤٩

٤٤٤..... أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربيه

النسب، ٣٦٠

النسق الاستعاري، ٤٣

وجه الشبه، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٩، ١٣١، ١٣٤، ١٤٥، ١٦١، ١٦٧، ٣٤٧

الوهم، ١٨٧

الملحقات

سادساً: فهرس الآيات القرآنية

تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالذِّي يُغْشَى عَلَيهِ مِنْ المَوْتِ، ١٤٣، ٢٦٢

فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالذِّي يُغْشَى عَلَيهِ مِنْ المَوْتِ، ١٥٢

كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ، ١٤٢، ٢٤٣، ٣٤٣

وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ٨٥

وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ، ٢٦٢

يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ، ٢٦٢

الملحقات

مقدمة الملحقات

حرصنا على إضافة قسم الملحقات كي نمكن القارئ من متابعة التحليل بالاستناد إلى النصوص الخطبية. وهما ملحقان : ملحق رقم (١) للمدونة العلوية الحربية ، وملحق رقم (٢) لنماذج من مخطوطة ابن المؤدب لنهج البلاغة ومخطوطات أخرى لنهج البلاغة أيضاً.

أولاً : ملحق رقم (١) المدونة العلوية الحربية.

أوردنا في هذا الملحق المدونة الحربية التي اشتغلنا عليها ، وتقع في (١٣٠) صفحة أو تزيد ، ونفضل أن يطلع عليها قارئ البحث قبل قراءته.

ثانياً : ملحق رقم (٢) نماذج من مخطوطة ابن المؤدب ، ونماذج أخرى لنهج البلاغة.

أوردنا فيه نماذج من مخطوطة ابن المؤدب[1] ، وهو ـ كما أشرنا سلفاً ـ من

---

١ . ابن المؤدب هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن الحسين المؤدب ، من الأعلام المقاربين لعصر الرضي والمرتضى ، وهو من علماء الشيعة؛ السيد الأمين، أعيان الشيعة ، ٥/ ٤٧٣ ـ ٤٧٧.

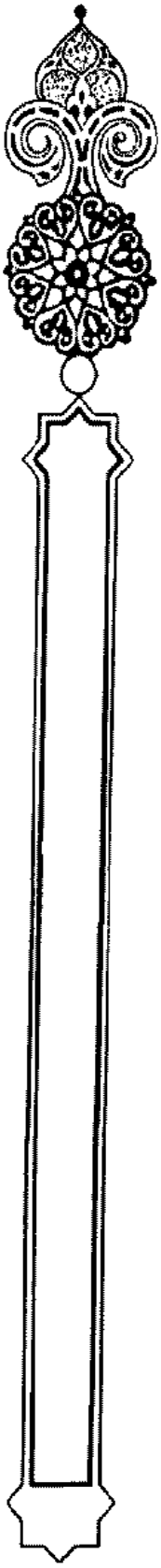

الملحقات

مقدمة الملحقات

أولاً : ملحق رقم (١) المدونة العلوية الحريرية.

ثانيا : ملحق رقم (٢) نماذج من مخطوطة ابن المؤدب ، ومخطوطات أخرى لنهج البلاغة.

أولاً: ملحق رقم (١)

المدونة العلوية الحربية

(الخطبة ٤)

و من خطبة له عليه السلام وهي من أفصح كلامه عليه السلام و فيها يعظ الناس و يهديهم من ضلالتهم و يقال إنه خطبها بعد قتل طلحة والزبير:

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ وَ تَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَةَ الْعَلْيَاءِ وَ بِنَا أَفْجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ وَ كَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ وَ أَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ حَتَّى سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ وَ بَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَ لَا دَلِيلَ وَ تَحْتَفِرُونَ وَ لَا تُمِيهُونَ الْيَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمُ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ عَزَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عليه السلام خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ بَلْ

المعاصرين للشريف الرضي (٤٠٦/ ١٠١٥) جامع الخطب ، ومخطوطات أخرى قربية من ذلك العصر علما بأن هذه ليست كلها خطباً بالمعنى الاجناسي للكلمة وليست كلها خطباً منبرية ، وإنما هي تجمع الخطب المنبرية ومختلف المقطعات النثرية الداخلة في باب الخطابة، مثلاً. الخطبة التي كلّم بها االخوارج حيث اعتزلوا الحكم[1] « أصابكم خاصب ، و لا بقي منكم آبر! أبعد إيماني بالله ، وجهادي مع رسول الله ، أشهد على نفسي بالكفر ؟ لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين. فأوّبوا شر مآب ، وارجعوا على أثر الأعقاب. أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً ، وسيفاً قاطعاً ، وأثرةً يتخذها الظالمون فيكم سنةً » كي لا يذهب في اعتقاد القارئ أننا نخلط بين الخطب المنبرية التي لها طقوسها وتقاليدها وأشراطها التي حددها الجاحظ في « البيان والتبيين » ، وبين الكلام البليغ الذي يجري مجرى الخطب[2].

---

١. الخطبة ٥٨.

٢. يمكن مراجعة النماذج التي ذكرناها في أعلا البحث في الفصل الأوّل في المبحث الأوّل ص ٥٤ - ٩١.

(الخطبة ٨)

ومن كلام له عليه السلام يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك و يدعوه للدخول في البيعة ثانية

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ وَ ادَّعَى الْوَلِيجَةَ فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ وَ إِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ.

(الخطبة ٩)

ومن كلام له عليه السلام في صفته وصفة خصومه ويقال إنها في أصحاب الجمل:

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَ أَبْرَقُوا وَ مَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ وَ لَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ وَ لَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ.

(الخطبة ١٠)

ومن خطبة له عليه السلام يريد الشيطان أو يكني به عن قوم:

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ وَ اسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَ رَجِلَهُ وَ إِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي وَ لَا لُبِّسَ عَلَيَّ وَ ايْمُ الله لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ وَ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

(الخطبة ١١)

أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ وَ دُوَلِ الضَّلَالِ الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ.

(الخطبة ٦)

و من كلام له عليه السلام لما أشير عليه بألا يتبع طلحة و الزبير و لا يرصد لهما القتال و فيه يبين عن صفته بأنه عليه السلام لا يخدع :

وَالله لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا وَ لَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ وَ بِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي فَوَالله مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ الله نَبِيَّهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

(الخطبة ٧)

ومن خطبة له عليه السلام يذم فيها أتباع الشيطان:

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلَاكاً وَ اتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً فَبَاضَ وَ فَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ وَ دَبَّ وَ دَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَ نَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَ نَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

فِي ضِمْنِهَا وَ فِي رِوَايَةٍ وَ ايْمُ الله لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ وَ فِي رِوَايَةٍ كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ الله تُرْبَةً أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ وَ أَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ الْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ وَ الْخَارِجُ بِعَفْوِ الله كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرْيَتِكُمْ هَذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا الْمَاءُ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلَّا شُرَفُ الْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

(الخطبة ٢٤)

و من خطبة له عليه السلام و هي كلمة جامعة له، فيها تسويغ قتال المخالف، و الدعوة إلى طاعة الله، و الترقي فيها لضمان الفوز:

وَ لَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَ خَابَطَ الْغَيَّ مِنْ إِدْهَانٍ وَ لَا إِيهَانٍ فَاتَّقُوا الله عِبَادَ الله وَ فِرُّوا إِلَى الله مِنَ الله وَ امْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلًا إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا.

(الخطبة ٢٥)

و من خطبة له عليه السلام وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد و قدم عليه عاملاه على اليمن و هما عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن أبي أرطاة فقام عليه السلام على المنبر ضجرا بتثاقل أصحابه عن الجهاد و مخالفتهم له في الرأي فقال:

ومن كلام له عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل:

تَزُولُ الْجِبَالُ وَ لَا تَزُلْ عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ تِدْ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ ارْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ وَ غُضَّ بَصَرَكَ وَ اعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

(الخطبة ١٢)

و من كلام له عليه السلام لما أظفره الله بأصحاب الجمل:

وَ قَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَدِدْتُ أَنَّ أَخِي فُلَاناً كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ فَقَالَ لَهُ عليه السلام: أَ هَوَى أَخِيكَ مَعَنَا فَقَالَ نَعَمْ قَالَ فَقَدْ شَهِدَنَا وَ لَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَ أَرْحَامِ النِّسَاءِ سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَ يَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ.

(الخطبة ١٣)

و من كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة بعد وقعة الجمل:

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَ أَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَ عُقِرَ فَهَرَبْتُمْ أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ وَ عَهْدُكُمْ شِقَاقٌ وَ دِينُكُمْ نِفَاقٌ وَ مَاؤُكُمْ زُعَاقٌ وَ الْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ وَ الشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَ مِنْ تَحْتِهَا وَ غَرِقَ مَنْ

جفولا و أسرع خفوفا لأنه لا ماء فيه و إنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء و ذلك لا يكون في الأكثر إلا زمان الشتاء و إنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا و الإغاثة إذا استغيثوا و الدليل على ذلك قوله هنالك لو دعوت أتاك منهم...

(الخطبة ٢٦)

و من خطبة له عليه السلام و فيها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له العرب قبل البعثة :

إِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ وَ أَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ وَ أَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَ فِي شَرِّ دَارٍ مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَ حَيَّاتٍ صُمٍّ تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وَ تَأْكُلُونَ الْجَشِبَ وَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ تَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَ الْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.

و منها صفته قبل البيعة له :

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ وَ أَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى وَ شَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا وَ صَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ وَ عَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ.

و منها:

وَ لَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ

مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَ أَبْسُطُهَا إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ فَقَبَّحَكِ الله وَ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي

عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا الإِنَاءِ قَلِيلِ

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ وَ إِنِّي وَ الله لَأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَ تَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ وَ طَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ وَ بِأَدَائِهِمُ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَ خِيَانَتِكُمْ وَ بِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَ فَسَادِكُمْ فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَ مَلُّونِي وَ سَئِمْتُهُمْ وَ سَئِمُونِي فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَ أَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ أَمَا وَ الله لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ.

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ

فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

ثُمَّ نَزَلَ عليه السلام: مِنَ الْمِنْبَرِ.

قال السيد الشريف، أقول: الأرمية جمع رميّ و هو السحاب و الحميم هاهنا وقت الصيف و إنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد

كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَ الْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَ قُلُبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَ رُعُثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَ الِاسْتِرْحَامِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ وَ لَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً فَيَا عَجَباً عَجَباً وَ الله يُمِيتُ الْقَلْبَ وَ يَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَ تَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحاً لَكُمْ وَ تَرَحاً حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ وَيُعْصَى الله وَتَرْضَوْنَ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ وَ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَ الْقُرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَ الْقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَ الله مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ.

البرم بالناس:

يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَ لَا رِجَالَ حُلُومُ الْأَطْفَالِ وَ عُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَ لَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَ الله جَرَّتْ نَدَماً وَ أَعْقَبَتْ سَدَماً قَاتَلَكُمُ الله لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً وَ شَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً وَ جَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً وَ أَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَ الْخِذْلَانِ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَ لَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ لله أَبُوهُمْ وَ هَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَ أَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَ مَا

وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا وَ أَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا وَ عَلَا سَنَاهَا وَ اسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ.

(الخطبة ٢٧)

ومن خطبة له عليه السلام وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا. وفيها يذكر فضل الجهاد، ويستنهض الناس، ويذكر علمه بالحرب، ويلقي عليهم التبعة لعدم طاعته.

فضل الجهاد:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ الله لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَ هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَ دِرْعُ الله الْحَصِينَةُ وَ جُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ الله ثَوْبَ الذُّلِّ وَ شَمِلَهُ الْبَلَاءُ وَ دُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَ الْقَمَاءَةِ وَ ضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ وَ أُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَ سِيمَ الْخَسْفَ وَ مُنِعَ النَّصَفَ.

استنهاض الناس :

أَلَا وَ إِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَ نَهَاراً وَ سِرّاً وَ إِعْلَاناً وَ قُلْتُ لَكُمُ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ فَوَالله مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ وَ تَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ وَ مُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ وَ هَذَا أَخُو غَامِدٍ [وَ] قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ وَ قَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ وَ أَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا وَ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ

عليه و على الناس بما فعلوا و براءة له من دمه:

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ وَ مَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَ أَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ وَ جَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ وَ للهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَ الْجَازِعِ.

(الخطبة ٣١)

و من كلام له عليه السلام لما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل:

لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَ يَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ وَ لَكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَ أَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا.

قال السيد الشريف و هو عليه السلام أول من سمعت منه هذه الكلمة أعني فما عدا مما بدا.

(الخطبة ٣٢)

و من خطبة له عليه السلام وفيها يصف زمانه بالجور، و يقسم الناس فيه خمسة أصناف، ثم يزهد في الدنيا.

معنى جور الزمان:

بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَ هَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ وَ لَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ.

(الخطبة ٢٩)

ومن خطبة له عليه السلام بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحاجّ بعد قصة الحكمين وفيها يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف:

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ كَلَامُكُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصِّلَابَ وَ فِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الْأَعْدَاءَ تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَ كَيْتَ فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ حِيدِي حَيَادِ مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ وَ لَا اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ وَ سَأَلْتُمُونِي التَّطْوِيلَ دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ وَ لَا يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ وَ مَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ الْمَغْرُورُ وَ اللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ وَ مَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَ اللهِ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ وَ مَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ أَصْبَحْتُ وَ اللهِ لَا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ وَ لَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ وَ لَا أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ مَا بَالُكُمْ مَا دَوَاؤُكُمْ مَا طِبُّكُمْ الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ أَ قَوْلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ غَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ وَ طَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ.

(الخطبة ٣٠)

و من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان و هو حكم له على عثمان و

مُوجَعٍ قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ وَ شَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ فَهُمْ فِي بَحْرِ أُجَاجٍ أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ وَ قُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا وَ قُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا وَ قُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا.

التزهيد في الدنيا:

فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَظِ وَ قُرَاضَةِ الْجَلَمِ وَ اتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ وَ ارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ.

قال الشريف رضي الله عنه أقول و هذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية و هي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه و أين الذهب من الرغام و أين العذب من الأجاج و قد دل على ذلك الدليل الخريت و نقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان و التبيين و ذكر من نسبها إلى معاوية ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها جملته أنه قال و هذا الكلام بكلام علي عليه السلام أشبه و بمذهبه في تصنيف الناس و في الإخبار عما هم عليه من القهر و الإذلال و من التقية و الخوف أليق قال و متى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد و مذاهب العباد.

(الخطبة ٣٣)

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ وَ زَمَنٍ كَنُودٍ يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً وَ يَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا وَ لَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا وَ لَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا.

أصناف المسيئين:

وَ النَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ وَ كَلَالَةُ حَدِّهِ وَ نَضِيضُ وَفْرِهِ وَ مِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ وَ الْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ وَ الْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَ رَجِلِهِ قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَ أَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ وَ لَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً وَ مِمَّا لَكَ عِنْدَ اللهِ عِوَضاً وَ مِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ وَ لَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَ قَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَ شَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ وَ زَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ وَ اتَّخَذَ سِتْرَ اللهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُئُولَةُ نَفْسِهِ وَ انْقِطَاعُ سَبَبِهِ فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ وَ تَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ وَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَ لَا مَغْدًى.

الراغبون في الله :

وَ بَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ وَ أَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ وَ خَائِفٍ مَقْمُوعٍ وَ سَاكِتٍ مَكْعُومٍ وَ دَاعٍ مُخْلِصٍ وَ ثَكْلَانَ

وَ نَحْنُ وَهَبْنَـــــاكَ الْعَلَاءَ وَ لَمْ تَكُنْ عَلِيّاً وَ حُطْنَا حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَ السُّمْرَا

(الخطبة ٣٤)

و من خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام بعد فراغه من أمر الخوارج و فيها يتأفف بالناس، و ينصح لهم بطريق السداد:

أُفٍّ لَكُمْ لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ أَ رَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَةِ عِوَضاً وَ بِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلَفاً إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ وَ مِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ وَ كَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي وَ مَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ وَ لَا زَوَافِرُ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ لَبِئْسَ لَعَمْرُ الله سُعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ تُكَادُونَ وَ لَا تَكِيدُونَ وَ تُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَ أَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ غُلِبَ وَ الله الْمُتَخَاذِلُونَ وَ ايْمُ الله إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَ اسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ وَ الله إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ وَ يَهْشِمُ عَظْمَهُ وَ يَفْرِي جِلْدَهُ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ فَأَمَّا أَنَا فَوَالله دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمُشَرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ وَ تَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَ الْأَقْدَامُ وَ يَفْعَلُ الله بَعْدَ ذَلِكَ ما يَشاءُ.

ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة، و فيها حكمة مبعث الرسل، ثم يذكر فضله و يذم الخارجين:

قَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِذِي قَارٍ وَ هُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ فَقَالَ لِي مَا قِيمَةُ هَذَا النَّعْلِ فَقُلْتُ لَا قِيمَةَ لَهَا فَقَالَ عليه السلام وَ الله لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا ثُمَّ خَرَجَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ:

حكمة بعثة النبي:

إِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَ بَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ وَ اطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ.

فضل عليّ:

أَمَا وَ الله إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا مَا عَجَزْتُ وَ لَا جَبُنْتُ وَ إِنَّ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا فَلَأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ.

توبيخ الخارجين عليه:

مَا لِي وَ لِقُرَيْشٍ وَ الله لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ وَ إِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ وَ الله مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّ الله اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيِّزِنَا فَكَانُوا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

أَدَمْتَ لَعَمْرِي شُرْبَكَ الْمَحْضَ صَابِحاً وَ أَكْلَكَ بِالزُّبْدِ الْمُقَشَّرَةَ الْبُجْرَا

وَ إِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ:

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرِجِ اللِّوَى

فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلاَّ ضُحَى الْغَدِ

(الخطبة ٣٦)

و من خطبة له عليه السلام في تخويف أهل النهروان:

فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهَرِ وَ بِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ وَ احْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ وَ قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُنَابِذِينَ حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ وَ أَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ وَ لَمْ آتِ لَا أَبَا لَكُمْ بُجْراً وَ لَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً.

(الخطبة ٣٧)

و من كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة و فيه يذكر فضائله عليه السلام قاله بعد وقعة النهروان:

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا وَ تَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا وَ نَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللهِ حِينَ وَقَفُوا وَ كُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً وَ أَعْلَاهُمْ فَوْتاً فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا وَ اسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ وَ لَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ وَ لَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ

طريق السداد:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً وَ لَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ وَ تَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ وَ تَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا وَ تَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا وَ أَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَ النَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَ الْمَغِيبِ وَ الْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَ الطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ.

(الخطبة ٣٥)

ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم و ما بلغه من أمر الحكمين وفيها حمد الله على بلائه، ثم بيان سبب البلوى.

الحمد على البلاء:

الْحَمْدُ لله وَ إِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ وَ الْحَدَثِ الْجَلِيلِ وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله لَا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ صلّى الله عليه وآله.

سبب البلوى:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ وَ تُعْقِبُ النَّدَامَةَ وَ قَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَ نَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ وَ الْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ وَ ضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ فَكُنْتُ أَنَا

دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسَرِّ وَ تَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الْأَدْبَرِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ .

قال السيد الشريف أقول: قوله عليه السلام: متذائب أي مضطرب من قولهم تذاءبت الريح أي اضطرب هبوبها ومنه سمي الذئب ذئبا لاضطراب مشيته.

(الخطبة ٤٠)

و من كلام له عليه السلام في الخوارج لما سمع قولهم «لا حكم إلا لله»:

قَالَ عليه السلام: كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لله وَ لَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ إِلَّا لله وَ إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَ يَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ وَ يُبَلِّغُ الله فِيهَا الْأَجَلَ وَ يُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ وَ تَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ وَ يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ.

وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ عليه السلام لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ: حُكْمَ الله أَنْتَظِرُ فِيكُمْ وَ قَالَ أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ وَ أَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ وَ تُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ.

(الخطبة ٤٣)

حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ وَ الْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ رَضِينَا عَنِ الله قَضَاءَهُ وَ سَلَّمْنَا لله أَمْرَهُ أَ تَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ الله صلّى الله عليه وآله وَالله لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي وَ إِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي.

(الخطبة ٣٨)

و من كلام له عليه السلام وفيها علة تسمية الشبهة شبهة ثم بيان حال الناس فيها:

وَ إِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ الله فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ وَ دَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى وَ أَمَّا أَعْدَاءُ الله فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ وَ لَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.

(الخطبة ٣٩)

ومن خطبة له عليه السلام خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر، و فيها يبدي عذره، و يستنهض الناس لنصرته:

مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَ لَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ لَا أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَ لَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً وَ أُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا وَ لَا تُطِيعُونَ لِي أَمْراً حَتَّى تَكَشَّفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ وَ لَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ

الْحَمْدُ لله كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَ غَسَقَ وَ الْحَمْدُ لله كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَ خَفَقَ وَالْحَمْدُ لله غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَلَا مُكَافَإِ الْإِفْضَالِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي وَ أَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي وَ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنكُمْ مُوَطِّنِينَ أَكْنَافَ دِجْلَةَ فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ وَ أَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ.

قال السيد الشريف أقول: يعني عليه السلام بالملطاط هاهنا السمت الذي أمرهم بلزومه و هو شاطئ الفرات و يقال ذلك أيضا لشاطئ البحر و أصله ما استوى من الأرض و يعني بالنطفة ماء الفرات و هو من غريب العبارات و عجيبها.

(الخطبة ٥١)

و من خطبة له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصفين و منعوهم الماء:

قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ وَ تَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَ الْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ أَلَا وَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ الْغُوَاةِ وَ عَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ.

(الخطبة ٥٤)

و من كلام له عليه السلام وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية و لم ينزل معاوية على بيعته:

إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَ جَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ وَ صَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ وَ لَكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعاً أَوْ عَاصِياً وَ الرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاةِ فَأَرْوِدُوا وَ لَا أَكْرَهُ لَكُمُ الْإِعْدَادَ وَ لَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَ عَيْنَهُ وَ قَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَ بَطْنَهُ فَلَمْ أَرَ لِي فِيهِ إِلَّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمَّةِ وَالأَحْدَثَ أَحْدَاثاً وَ أَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالًا فَقَالُوا ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا.

(الخطبة ٤٧)

و من كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة:

كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ وَ تُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ وَ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ابْتَلَاهُ الله بِشَاغِلٍ وَ رَمَاهُ بِقَاتِلٍ.

(الخطبة ٤٨)

ومن خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام قيل إنه خطب بها و هو بالنخيلة خارجا من الكوفة إلى صفين:

وَ لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صلّى الله عليه وآله نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَ أَبْنَاءَنَا وَ إِخْوَانَنَا وَ أَعْمَامَنَا مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَ تَسْلِيماً وَ مُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ وَ صَبْراً عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ وَ جِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ وَ لَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَ الْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا وَ مَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا فَلَمَّا رَأَى الله صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ وَ أَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ وَ مُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ وَ لَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ وَ لَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ وَ ايْمُ الله لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً وَ لَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً.

(الخطبة ٥٨)

و من كلام له عليه السلام كلّم به الخوارج حين اعتزلوا الحكومة وتنادوا أن لا حكم إلا لله.

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ وَ لَا بَقِيَ مِنْكُمْ آثِرٌ أَ بَعْدَ إِيمَانِي بِالله وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ الله صلّى الله عليه وآله أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ لَ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ وَ ارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا وَ سَيْفاً قَاطِعاً وَ أَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً.

قال الشريف قوله عليه السلام: ولا بقي منكم آبر يروى على ثلاثة أوجه أحدها أن يكون كما ذكرناه آبر بالراء من قولهم للذي يأبر النخل أي

و من خطبة له عليه السلام وفيها يصف أصحابه بصفين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام:

فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا وَ قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا وَ خُلِعَتْ مَثَانِيهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ وَ قَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَ ظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ وَ مَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ.

(الخطبة ٥٥)

ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين:

أَمَّا قَوْلُكُمْ أَ كُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ فَوَاللهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَ أَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وَ تَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي وَ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا.

(الخطبة ٥٦)

ومن كلام له عليه السلام يصف أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وذلك يوم صفين حين أمر الناس بالصلح:

لَا تُقَاتِلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ.

قال الشريف: يعني معاوية و أصحابه.

(الخطبة ٦٢)

و من كلام له عليه السلام لما خوف من الغيلة:

وَ إِنَّ عَلَيَّ مِنَ الله جُنَّةً حَصِينَةً فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَ أَسْلَمَتْنِي فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ وَ لَا يَبْرَأُ الْكَلْمُ.

(الخطبة ٦٦)

و من كلام له عليه السلام في تعليم الحرب و المقاتلة و المشهور أنه قاله لأصحابه ليلة الهرير أو أول اللقاء بصفين:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ وَ تَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ وَ عَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَ أَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ وَ قَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا وَ الْحَظُوا الْخَزْرَ وَ اطْعُنُوا الشَّزْرَ وَ نَافِحُوا بِالظُّبَى وَ صِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ الله وَ مَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ الله فَعَاوِدُوا الْكَرَّ وَ اسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ وَ نَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ وَ طِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً وَ امْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً وَ عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَ الرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ وَ قَدْ

يصلحه. و يروى آثر و هو الذي يأثر الحديث و يرويه أي يحكيه و هو أصح الوجوه عندي كأنه عليه السلام قال لا بقي منكم مخبر. و يروى آبز بالزاي المعجمة و هو الواثب و الهالك أيضا يقال له آبز.

(الخطبة ٥٩)

وقال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج وقيل له إن القوم عبروا جسر النهروان:

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ وَ الله لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ وَ لَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ.

قال الشريف: يعني بالنطفة ماء النهر وهي أفصح كناية عن الماء و إن كان كثيرا جما و قد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم عند مضي ما أشبهه.

(الخطبة ٦٠)

وقال عليه السلام لما قتل الخوارج فقيل له يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم:

كَلَّا وَ الله إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَ قَرَارَاتِ النِّسَاءِ كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِينَ.

(الخطبة ٦١)

و قال عليه السلام:

(الخطبة ٦٩)

و من كلام له عليه السلام في توبيخ بعض أصحابه:

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ وَ الثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ وَ انْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا وَ الضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا الذَّلِيلُ وَ الله مَنْ نَصَرْتُمُوهُ وَ مَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ إِنَّكُمْ وَ الله لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ وَ إِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَ يُقِيمُ أَوَدَكُمْ وَ لَكِنِّي لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي أَضْرَعَ الله خُدُودَكُمْ وَ أَتْعَسَ جُدُودَكُمْ لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ وَ لَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ.

(الخطبة ٧٠)

و قال عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه:

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَ أَنَا جَالِسٌ فَسَنَحَ لِي رَسُولُ الله صلّى الله عليه وآله فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله مَا ذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَ اللَّدَدِ فَقَالَ ادْعُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ أَبْدَلَنِي الله بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَ أَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي.

قال الشريف: يعني بالأود الاعوجاج و باللدد الخصام و هذا من أفصح الكلام.

قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً وَ أَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا فَصَمْداً صَمْداً حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ.

(الخطبة ٦٧)

و من كلام له عليه السلام قالوا لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال عليه السلام ما قالت الأنصار قالوا قالت منا أمير ومنكم أمير قال عليه السلام:

فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ قَالُوا وَ مَا فِي هَذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ عليه السلام لَوْ كَانَ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ ثُمَّ قَالَ عليه السلام فَمَا ذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ قَالُوا احْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ صلّى الله عليه وآله فَقَالَ عليه السلام احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَ أَضَاعُوا الثَّمَرَةَ.

(الخطبة ٦٨)

ومن كلام له عليه السلام لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه وقتل:

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ وَ لَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَّا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ وَ لَا أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ بِلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً وَ كَانَ لِي رَبِيباً.

تظفر بمرادك، من طريق علم النجوم فقال عليه السلام:

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ وَ تُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ وَ اسْتَغْنَى عَنِ الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَ دَفْعِ الْمَكْرُوهِ وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ لِأَنَّكَ بِزَعْمِكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ وَ أَمِنَ الضُّرَّ.

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال:

أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَ تَعَلُّمَ النُّجُومِ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ وَ الْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ وَ الْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ وَ السَّاحِرُ كَالْكَافِرِ وَ الْكَافِرُ فِي النَّارِ سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ.

(الخطبة ٨٠)

ومن خطبة له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء ببيان نقصهن:

مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ نَوَاقِصُ الْعُقُولِ فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَ الصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَ أَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَ أَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ فَاتَّقُوا شِرَارَ

(الخطبة ٧١)

ومن خطبة له عليه السلام في ذم أهل العراق و فيها يوبخهم على ترك القتال و النصر يكاد يتم ثم تكذيبهم له:

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَ مَاتَ قَيِّمُهَا وَ طَالَ تَأَيُّمُهَا وَ وَرِثَهَا أَبْعَدُهَا. أَمَا وَ الله مَا أَتَيْتُكُمُ اخْتِيَاراً وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً وَ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ الله تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ أَ عَلَى الله فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ كَلَّا وَ الله لَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا وَ لَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا وَيْلُ أُمِّهِ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ.

(الخطبة ٧٤)

و من خطبة له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان:

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَ وَ الله لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَ فَضْلِهِ وَ زُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَ زِبْرِجِهِ.

(الخطبة ٧٩)

ومن كلام له عليه السلام قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج، و قد قال له إن سرت يا أمير المؤمنين، في هذا الوقت، خشيت ألا

الْقَائِلِ وَ عَتْبِ الْعَاتِبِ وَ إِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَ لَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ وَ أَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً

(الخطبة ٩٣)

ومن خطبة له عليه السلام وفيها ينبّه أمير المؤمنين على فضله و علمه و يبيّن فتنة بني أمية:

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ الله وَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا وَ اشْتَدَّ كَلَبُهَا فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ السَّاعَةِ وَ لَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَ تُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَ قَائِدِهَا وَ سَائِقِهَا وَ مُنَاخِ رِكَابِهَا وَ مَحَطِّ رِحَالِهَا وَ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا وَ مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً وَ لَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَ نَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الْأُمُورِ وَ حَوَازِبُ الْخُطُوبِ لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ وَ فَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ وَ ذَلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ وَ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ وَ ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ الله لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَ إِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ وَ يُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ يَحْمِنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَداً وَ يُخْطِئْنَ بَلَداً أَلَا وَ إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا وَ خَصَّتْ بَلِيَّتُهَا وَأَصَابَ

النِّسَاءِ وَ كُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَ لَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ.

(الخطبة ٨٤)

و من خطبة له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص:

عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً وَ أَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ أُعَافِسُ وَ أُمَارِسُ لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ آثِماً أَمَا وَ شَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ وَ يُسْأَلُ فَيَبْخَلُ وَ يَسْأَلُ فَيُلْحِفُ وَ يَخُونُ الْعَهْدَ وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَ آمِرٍ هُوَ مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ [أَكْبَرَ] مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَرْمَ سَبَّتَهُ أَمَا وَ اللهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً.

(الخطبة ٩٢)

و من كلام له عليه السلام لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان:

دَعُونِي وَ الْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَ أَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَ لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَ إِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَ الْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَ اعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَ لَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ

إِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي وَ لَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا وَ أَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا وَ أَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا وَ دَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَ جَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا أَ شُهُودٌ كَغُيَّابٍ وَ عَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا وَ أَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا وَ أَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَ تَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَ تَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ عَجَزَ الْمُقَوِّمُ وَ أَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ أَيُّهَا الْقَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمُ الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وَ أَنْتُمْ تَعْصُونَهُ وَ صَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وَ هُمْ يُطِيعُونَهُ لَوَدِدْتُ وَ اللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَ أَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَ اثْنَتَيْنِ صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ وَ بُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ وَ عُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَ لَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ وَ اللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَ حَمِيَ الضِّرَابُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا وَ إِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ مِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي وَ إِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً.

الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وَ أَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا وَ ايْمُ الله لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرُوسِ تَعْذِمُ بِفِيهَا وَ تَخْبِطُ بِيَدِهَا وَ تَزْبِنُ بِرِجْلِهَا وَ تَمْنَعُ دَرَّهَا لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ وَ لَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَ الصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً وَ قِطَعاً جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى وَ لَا عَلَمٌ يُرَى نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ وَ لَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ ثُمَّ يُفَرِّجُهَا الله عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً وَ يَسُوقُهُمْ عُنْفاً وَ يَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ وَ لَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً وَ لَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونِيهِ.

(الخطبة ٩٧)

و من خطبة له عليه السلام في أصحابه وأصحاب رسول الله.

أصحاب علي:

وَ لَئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ وَ هُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ وَ بِمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ أَمَا وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ وَ

(الخطبة ١٠٤)

و من خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً وَ لَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَ لَا وَحْياً فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ وَ يُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ يَحْسِرُ الْحَسِيرُ وَ يَقِفُ الْكَسِيرُ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيهِ حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ وَ بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ وَ اسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ وَ ايْمُ الله لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا وَ اسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا مَا ضَعُفْتُ وَ لَا جَبُنْتُ وَ لَا خُنْتُ وَ لَا وَهَنْتُ وَ ايْمُ الله لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ.

قال السيد الشريف الرضي و قد تقدم مختار هذه الخطبة إلا أنني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة و نقصان فأوجبت الحال إثباتها ثانية.

(الخطبة ١٠٧)

و من كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين:

وَ قَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَ انْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ وَ أَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ وَ أَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ وَ يَآفِيخُ الشَّرَفِ وَ الْأَنَفُ الْمُقَدَّمُ وَ

أصحاب رسول الله:

انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ وَ اتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى وَ لَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا وَ إِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا وَ لَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلّى الله عليه وآله فَمَا أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً وَ قَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَ قِيَاماً يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَ خُدُودِهِمْ وَ يَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ إِذَا ذُكِرَ الله هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ وَ مَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ وَ رَجَاءً لِلثَّوَابِ.

(الخطبة ٩٨)

و من كلام له عليه السلام يشير فيه إلى ظلم بني أمية:

وَ الله لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لله مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ وَ لَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ وَ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَ لَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَ نَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ وَ حَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ وَ بَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ وَ حَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ وَ إِذَا غَابَ اغْتَابَهُ وَ حَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِالله ظَنّاً فَإِنْ أَتَاكُمُ الله بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا وَ إِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ وَ الصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ وَ وَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا وَ أَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا وَ ظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ وَ أَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ وَ نُسَّاكاً بِلَا صَلَاحٍ وَ تُجَّاراً بِلَا أَرْبَاحٍ وَ أَيْقَاظاً نُوَّماً وَ شُهُوداً غُيَّباً وَ نَاظِرَةً عَمْيَاءَ وَ سَامِعَةً صَمَّاءَ وَ نَاطِقَةً بَكْمَاءَ رَايَةُ ضَلَالٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا وَ تَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا وَ تَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الْأَدِيمِ وَ تَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ وَ تَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ وَ تَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ وَ تَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ وَ مِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَ أَنَّى تُؤْفَكُونَ فَ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ وَ لِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ وَ أَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ وَ اسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ وَ لْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ وَ لْيَجْمَعْ شَمْلَهُ وَ لْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الْأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ وَ قَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ وَ رَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ وَ عَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ وَ قَلَّتِ الدَّاعِيَةُ وَ صَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ وَ هَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ وَ تَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ وَ تَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ وَ تَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ وَ تَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ فَإِذَا كَانَ

السَّنَامُ الْأَعْظَمُ وَ لَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ وَ تُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ حَسّاً بِالنِّصَالِ وَ شَجْراً بِالرِّمَاحِ تَرْكَبُ أُوْلَاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا وَ تُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا.

(الخطبة ١٠٨)

و من خطبة له عليه السلام و هي من خطب الملاحم:

الله تعالى:

الْحَمْدُ لله الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ وَ الظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ وَ لَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ وَ أَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ.

ومنها في ذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله:

اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَ مِشْكَاةِ الضِّيَاءِ وَ ذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ وَ سُرَّةِ الْبَطْحَاءِ وَ مَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ وَ يَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ.

فتنة بني أمية:

ومنهاطَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَ أَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَ آذَانٍ صُمٍّ وَ أَلْسِنَةٍ بُكْمٍ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَ مَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ وَ لَمْ يَقْدَحُوا

مَحِيصَ عَنْكَ وَ أَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ وَ إِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَ مَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ وَ مَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ وَ مَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ وَ مَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا وَ مَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ.

الملائكة الكرام:

ومنهامِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ وَ رَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ وَ أَخْوَفُهُمْ لَكَ وَ أَقْرَبُهُمْ مِنْكَ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ وَ لَمْ يُضَمَّنُوا الْأَرْحَامَ وَ لَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ وَ لَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَيْبُ الْمَنُونِ وَ إِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ وَ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ وَ اسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ وَ كَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ وَ قِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ وَ لَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ وَ لَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

عصيان الخلق

سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَ مَعْبُوداً بِحُسْنِ بَلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ خَلَقْتَ دَاراً وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً مَشْرَباً وَ مَطْعَماً وَ أَزْوَاجاً وَ خَدَماً وَ قُصُوراً وَ أَنْهَاراً وَ زُرُوعاً وَ ثِمَاراً ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا وَ لَا فِيمَا

ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً وَ الْمَطَرُ قَيْظاً وَ تَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً وَ تَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً وَ كَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً وَ سَلَاطِينُهُ سِبَاعاً وَ أَوْسَاطُهُ أُكَّالًا وَ فُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً وَ غَارَ الصِّدْقُ وَ فَاضَ الْكَذِبُ وَ اسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ وَ تَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ وَ صَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً وَ الْعَفَافُ عَجَباً وَ لُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً.

(الخطبة ١٠٩)

و من خطبة له عليه السلام في بيان قدرة الله و انفراده بالعظمة و أمر البعث.

قدرة الله:

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ وَ كُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ وَ عِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ وَ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ وَ مَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ وَ مَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ وَ مَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ وَ مَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ وَ لَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ وَ لَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ وَ لَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ وَ لَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ وَ لَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ وَ لَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ وَ لَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ وَ كُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ أَنْتَ الْأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ وَ أَنْتَ الْمُنْتَهَى فَلَا

فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ وَ لَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ وَ لَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطاً بِهِ فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ وَ خَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ وَ تَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ لَا يُسْعِدُ بَاكِياً وَ لَا يُجِيبُ دَاعِياً ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي الْأَرْضِ فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ وَ انْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ.

القيامة :

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَ الْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ وَ أُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ وَ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ أَمَادَ السَّمَاءَ وَ فَطَرَهَا وَ أَرَجَّ الْأَرْضَ وَ أَرْجَفَهَا وَ قَلَعَ جِبَالَهَا وَ نَسَفَهَا وَ دَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ وَ مَخُوفِ سَطْوَتِهِ وَ أَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ وَ جَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ وَ خَبَايَا الْأَفْعَالِ وَ جَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَ انْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ وَ خَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النُّزَّالُ وَ لَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ وَ لَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ وَ لَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ وَ لَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ وَ لَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ وَ أَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ وَ غَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ وَ قَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ وَ أَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ وَ مُقَطَّعَاتِ

رَغَّبْتَ رَغِبُوا وَ لَا إِلَى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدِ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا وَ اصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا وَ مَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ وَ أَمْرَضَ قَلْبَهُ فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ وَ يَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ وَ أَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ وَ وَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَ لِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا وَ حَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللهِ بِزَاجِرٍ وَ لَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ وَ هُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَ لَا رَجْعَةَ كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ وَ جَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ وَ قَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَ حَسْرَةُ الْفَوْتِ فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ وَ تَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَ بَيْنَ مَنْطِقِهِ وَ إِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ وَ يَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ وَ بَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَهُ وَ فِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ وَ يَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا وَ أَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَ مُشْتَبِهَاتِهَا قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا وَ أَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا وَ يَتَمَتَّعُونَ بِهَا فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ وَ الْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ وَ الْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ وَ يَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ وَ يَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَ يَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ

خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ.

(الخطبة ١١٩)

و من كلام له عليه السلام و قد جمع الناس و حضهم على الجهاد فسكتوا مليا:

فَقَالَ عليه السلام: مَا بَالُكُمْ أَ مُخْرَسُونَ أَنْتُمْ فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ فَقَالَ عليه السلام مَا بَالُكُمْ لَا سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ وَ لَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ أَ فِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ وَ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَ ذَوِي بَأْسِكُمْ وَ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَ الْمِصْرَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَ جِبَايَةَ الْأَرْضِ وَ الْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَ النَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ وَ إِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى تَدُورُ عَلَيَّ وَ أَنَا بِمَكَانِي فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا وَ اضْطَرَبَ ثِفَالُهَا هَذَا لَعَمْرُ اللهِ الرَّأْيُ السُّوءُ وَ اللهِ لَوْ لَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ وَ لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَ شَمَالٌ طَعَّانِينَ عَيَّابِينَ حَيَّادِينَ رَوَّاغِينَ إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ.

النِّيرَانِ فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ وَ بَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ وَ لَهَبٌ سَاطِعٌ وَ قَصِيفٌ هَائِلٌ لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَ لَا يُفَادَى أَسِيرُهَا وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى وَ لَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى.

زهد النبي / و منها في ذكر النبي صلّى الله عليه وآله:

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَ صَغَّرَهَا وَ أَهْوَنَ بِهَا وَ هَوَّنَهَا وَ عَلِمَ أَنَّ الله زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَاراً وَ بَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ وَ أَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ وَ أَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً وَ نَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً وَ دَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّراً وَ خَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّراً.

أهل البيت:

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ وَ مَحَطُّ الرِّسَالَةِ وَ مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَ مَعَادِنُ الْعِلْمِ وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ نَاصِرُنَا وَ مُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ وَ عَدُوُّنَا وَ مُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.

(الخطبة ١١٨)

و من كلام له عليه السلام في الصالحين من أصحابه:

أَنْتُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ وَ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ وَ الْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ وَ الْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ وَ أَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ

اقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ وَ اعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ.

(الخطبة ١٢٢)

ومن كلام له عليه السلام قاله للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم و هم مقيمون على إنكار الحكومة فقال عليه السلام:

أَ كُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ فَقَالُوا مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ قَالَ فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً وَ مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً حَتَّى أُكَلِّمَ كُلًّا مِنْكُمْ بِكَلَامِهِ وَ نَادَى النَّاسَ فَقَالَ أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ وَ أَنْصِتُوا لِقَوْلِي وَ أَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عليه السلام بِكَلَامٍ طَوِيلٍ مِنْ جُمْلَتِهِ أَنْ قَالَ عليه السلام أَ لَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَ غِيلَةً وَ مَكْراً وَ خَدِيعَةً إِخْوَانُنَا وَ أَهْلُ دَعْوَتِنَا اسْتَقَالُونَا وَ اسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَ التَّنْفِيسُ عَنْهُمْ فَقُلْتُ لَكُمْ هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ وَ بَاطِنُهُ عُدْوَانٌ وَ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَ آخِرُهُ نَدَامَةٌ فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ وَ الْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ وَ عَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ وَ لَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ وَ إِنْ تُرِكَ ذَلَّ وَ قَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَعْلَةُ وَ قَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا وَ اللهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا وَ لَا حَمَّلَنِي اللهُ ذَنْبَهَا وَ وَاللهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ وَ إِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وَ إِنَّ الْقَتْلَ

(الخطبة ١٢١)

و من خطبة له عليه السلام بعد ليلة الهرير و قد قام إليه رجل من أصحابه فقال نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أي الأمرين أرشد فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال:

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ أَمَا وَ اللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْراً فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَ إِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ وَ إِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ لَكَانَتِ الْوُثْقَى وَ لَكِنْ بِمَنْ وَ إِلَى مَنْ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَ أَنْتُمْ دَائِي كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ ضَلْعَهَا مَعَهَا اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ وَ كَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ وَ قَرَءُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَ هِيجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا وَ سَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا وَ أَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً وَ صَفّاً صَفّاً بَعْضٌ هَلَكَ وَ بَعْضٌ نَجَا لَا يُبَشَّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ وَ لَا يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتَى مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ أُولَئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ وَ نَعَضَّ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ وَ يُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً وَ يُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ وَ بِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَ نَفَثَاتِهِ وَ

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَ أَخِّرُوا الْحَاسِرَ وَ عَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَ الْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّةِ وَ غُضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَ أَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ وَ أَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ وَ رَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَ لَا تُخِلُّوهَا وَ لَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَ الْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ وَ يَكْتَنِفُونَهَا حِفَافَيْهَا وَ وَرَاءَهَا وَ أَمَامَهَا لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا وَ لَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا أَجْزَأَ امْرُؤٌ قِرْنَهُ وَ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَ لَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَ قِرْنُ أَخِيهِ وَ ايْمُ اللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ وَ أَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ وَ السَّنَامُ الْأَعْظَمُ إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللهِ وَ الذُّلَّ اللَّازِمَ وَ الْعَارَ الْبَاقِيَ وَ إِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ وَ لَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ يَوْمِهِ مَنِ الرَّائِحُ إِلَى اللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ وَ اللهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ وَ شَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ وَ أَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ يَخْرُجُ مِنْهُمُ النَّسِيمُ وَ ضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ وَ يُطِيحُ الْعِظَامَ وَ يُنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَ الْأَقْدَامَ وَ حَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا الْمَنَاسِرُ وَ يُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلَائِبُ وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ وَ حَتَّى تَدْعَقَ الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ

لَيَدُورُ عَلَى الْآباءِ وَ الْأَبْنَاءِ وَ الْإِخْوَانِ وَ الْقَرَابَاتِ فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَ شِدَّةٍ إِلَّا إِيمَاناً وَ مُضِيّاً عَلَى الْحَقِّ وَ تَسْلِيماً لِلْأَمْرِ وَ صَبْراً عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ وَ لَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَ الِاعْوِجَاجِ وَ الشُّبْهَةِ وَ التَّأْوِيلِ فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعَثَنَا وَ نَتَدَانَى بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا رَغِبْنَا فِيهَا وَ أَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

(الخطبة ١٢٣)

و من كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في ساحة الحرب بصفين:

وَأَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَ رَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًا فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ فَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَ لَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ وَ الَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ.

و منه:

وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ لَا تَأْخُذُونَ حَقّاً وَ لَا تَمْنَعُونَ ضَيْماً قَدْ خُلِّيتُمْ وَ الطَّرِيقَ فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَ الْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ.

(الخطبة ١٢٤)

و من كلام له عليه السلام في حث أصحابه على القتال:

فَائِدَةً وَزَادَهُ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَ مِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ وَ مُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لَا يَعْدِلُونَ بِهِ جُفَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا وَ لَا زَوَافِرِ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا لَبِئْسَ حُشَّاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ أُفٌّ لَكُمْ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَ يَوْماً أُنَاجِيكُمْ فَلَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ وَ لَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ.

(الخطبة ١٢٦)

و من كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء:

أَ تَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ وَ اللهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَ مَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَ إِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ أَلَا وَ إِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَ إِسْرَافٌ وَ هُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَ يَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَ يُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَ يُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ وَ لَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَ لَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ وَأَلْأَمُ خَدِينٍ.

(الخطبة ١٢٧)

و من كلام له عليه السلام و فيه يبين بعض أحكام الدين و يكشف للخوارج الشبهة و ينقض حكم الحكمين:

أَرْضِهِمْ وَ بِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَ مَسَارِحِهِمْ.

قال السيد الشريف أقول: الدعق الدق أي تدق الخيول بحوافرها أرضهم و نواحر أرضهم متقابلاتها و يقال منازل بني فلان تتناحر أي تتقابل.

(الخطبة ١٢٥)

و من كلام له عليه السلام في التحكيم و ذلك بعد سماعه لأمر الحكمين:

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ وَ إِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ وَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ وَ إِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ الله سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ قَدْ قَالَ الله سُبْحَانَهُ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ فَرَدُّهُ إِلَى الله أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ وَ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ الله فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ وَ إِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ الله صلّى الله عليه وآله فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وَ أَوْلَاهُمْ بِهَا وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُمْ أَجَلًا فِي التَّحْكِيمِ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ وَ يَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ وَلَعَلَّ الله أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ لَا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ وَ تَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَ إِنْ نَقَصَهُ وَ كَرَثَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَ إِنْ جَرَّ إِلَيْهِ

اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلَّا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ وَ تَرَكَا الْحَقَّ وَ هُمَا يُبْصِرَانِهِ وَ كَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ وَ الصَّمْدِ لِلْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَ جَوْرَ حُكْمِهِمَا.

(الخطبة ١٢٨)

و من كلام له عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة:

يَا أَحْنَفُ كَأَنِّي بِهِ وَ قَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَ لَا لَجَبٌ وَ لَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ وَ لَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ.

قال الشريف يومئ بذلك إلى صاحب الزنج ثُمَّ قَالَ عليه السلام:

وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ وَ الدُّورِ الْمُزَخْرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَ خَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ وَ لَا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ أَنَا كَأَبِ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا وَ قَادِرُهَا بِقَدْرِهَا وَ نَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا.

منه في وصف الأتراك:

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَ الدِّيبَاجَ وَ يَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ وَ يَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ وَ يَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ فَضَحِكَ عليه السلام وَ قَالَ لِلرَّجُلِ وَ كَانَ كَلْبِيّاً يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وَ إِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ وَ إِنَّمَا

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَ ضَلَلْتُ فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلّى الله عليه وآله بِضَلَالِي وَ تَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي وَ تُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ وَ السُّقْمِ وَ تَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ الله صلّى الله عليه وآله رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ وَ قَتَلَ الْقَاتِلَ وَ وَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ وَ قَطَعَ السَّارِقَ وَ جَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ وَ نَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وآله بِذُنُوبِهِمْ وَ أَقَامَ حَقَّ الله فِيهِمْ وَ لَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ وَ لَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ وَ مَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ وَ ضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ وَ سَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ وَ مُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ وَ خَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالًا النَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ وَ الْزَمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ الله مَعَ الْجَمَاعَةِ وَ إِيَّاكُمْ وَ الْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ وَ لَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ وَ يُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ وَ إِحْيَاؤُهُ الِاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ وَ إِمَاتَتُهُ الِافْتِرَاقُ عَنْهُ فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُمْ وَ إِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا فَلَمْ آتِ لَا أَبَا لَكُمْ بُجْراً وَ لَا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ وَ لَا لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى

و من كلام له عليه السلام و قد وقعت مشاجرة بينه و بين عثمان فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان أنا أكفيكه، فقال علي عليه السلام للمغيرة:

يَا ابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ وَ الشَّجَرَةِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَ لَا فَرْعَ أَنْتَ تَكْفِينِي فَوَ الله مَا أَعَزَّ الله مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ وَ لَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ الله نَوَاكَ ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ فَلَا أَبْقَى الله عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ.

(الخطبة ١٣٦)

و من كلام له عليه السلام في أمر البيعة:

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً وَ لَيْسَ أَمْرِي وَ أَمْرُكُمْ وَاحِداً إِنِّي أُرِيدُكُمْ لله وَ أَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ ايْمُ الله لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَ لَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَ إِنْ كَانَ كَارِهاً.

(الخطبة ١٣٧)

و من كلام له عليه السلام في شأن طلحة و الزبير و في البيعة له:

طلحة و الزبير:

وَالله مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً وَ لَا جَعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نِصْفاً وَ إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ وَ دَماً هُمْ سَفَكُوهُ فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ وَ إِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا قِبَلَهُمْ وَ إِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَى

عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ مَا عَدَّدَهُ الله سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ إِنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ الْآيَةَ فَيَعْلَمُ الله سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَ قَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ وَ سَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ وَ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ وَ مَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا الله وَ مَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ الله نَبِيَّهُ صلّى الله عليه وآله فَعَلَّمَنِيهِ وَ دَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي وَ تَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي.

(الخطبة ١٣٤)

و من كلام له عليه السلام و قد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم:

وَقَدْ تَوَكَّلَ الله لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ وَ سَتْرِ الْعَوْرَةِ وَ الَّذِي نَصَرَهُمْ وَ هُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ وَ مَنَعَهُمْ وَ هُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَباً وَ احْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَ النَّصِيحَةِ فَإِنْ أَظْهَرَ الله فَذَاكَ مَا تُحِبُّ وَ إِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ وَ مَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

(الخطبة ١٣٥)

مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا وَ تُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا وَ تُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ وَ يُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ منهاكَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَ فَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ وَ فَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّءُوسِ قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ بَعِيدَ الْجَوْلَةِ عَظِيمَ الصَّوْلَةِ وَ اللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَثُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ وَ الْآثَارَ الْبَيِّنَةَ وَ الْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ.

(الخطبة ١٤٦)

و من كلام له عليه السلام و قد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه:

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَ لَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَ لَا بِقِلَّةٍ وَ هُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَ جُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَ أَمَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَ طَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ وَ نَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللهِ وَ اللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَ نَاصِرٌ جُنْدَهُ وَ مَكَانُ الْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَ يَضُمُّهُ فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وَ ذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً وَ الْعَرَبُ الْيَوْمَ وَ إِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ

أَنْفُسِهِمْ إِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ وَ لَا لُبِسَ عَلَيَّ وَ إِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فِيهَا الْحَمَأُ وَ الْحُمَّةُ وَ الشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ وَ إِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَ قَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ وَ انْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ وَ ايْمُ الله لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ وَ لَا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ.

أمر البيعة:

منه فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا وَ نَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَ ظَلَمَانِي وَ نَكَثَا بَيْعَتِي وَ أَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا وَ لَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا وَ أَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَ عَمِلَا وَ لَقَدِ اسْتَبْثُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ وَ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ فَغَمَطَا النِّعْمَةَ وَ رَدَّا الْعَافِيَةَ.

(الخطبة ١٣٨)

و من خطبة له عليه السلام يومئ فيها إلى ذكر الملاحم:

يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى وَ يَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ.

و منها:

حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِياً نَوَاجِذُهَا مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا حُلْواً رَضَاعُهَا عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا أَلَا وَ فِي غَدٍ وَ سَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ يَأْخُذُ الْوَالِي

احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ.

الزمان المقبل:

وَ إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ وَ لَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ وَ لَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ وَ لَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ وَ لَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ لَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَ لَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ وَ تَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَ أَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ وَ صَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ فَالْكِتَابُ وَ أَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَ لَيْسَا فِيهِمْ وَ مَعَهُمْ وَ لَيْسَا مَعَهُمْ لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَ إِنِ اجْتَمَعَا فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَ افْتَرَقُوا عَلَى الْجَمَاعَةِ كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَ لَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ وَ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَ زَبْرَهُ وَ مِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ وَ سَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللهِ فِرْيَةً وَ جَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ وَ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَ تَغَيُّبِ آجَالِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ وَ تُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ وَ تَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَ النِّقْمَةُ.

عظة الناس:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللهَ وُفِّقَ وَ مَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ

كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ عَزِيزُونَ بِالِاجْتِمَاعِ فَكُنْ قُطْباً وَ اسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ وَ أَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ وَ طَمَعِهِمْ فِيكَ فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ وَ هُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ وَ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ وَ إِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ.

(الخطبة ١٤٧)

و من خطبة له عليه السلام.

الغاية من البعثة:

فَبَعَثَ الله مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ وَ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَ أَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ وَ لِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ وَ لِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ وَ خَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ وَ كَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ وَ احْتَصَدَ مَنِ

أَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَإِ وَ الْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَ الْمَجَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعاً قَالَ كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَ مُخَالِفَهُمْ إِلَى الْكَلَإِ وَ الْمَاءِ فَقَالَ عليه السلام فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ فَقَالَ الرَّجُلُ فَوَالله مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ فَبَايَعْتُهُ عليه السلام وَ الرَّجُلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبٍ الْجَرْمِيِّ.

(الخطبة ١٧٢)

و من خطبة له عليه السلام:

حمد الله:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً وَ لَا أَرْضٌ أَرْضاً.

يوم الشورى:

منها وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمْ وَ الله لَأَحْرَصُ وَ أَبْعَدُ وَ أَنَا أَخَصُّ وَ أَقْرَبُ وَ إِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ وَ تَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَإِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ.

الاستنصار على قريش:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَ مَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِيَ وَ أَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي ثُمَّ قَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَ فِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ.

أَقُومُ فَإِنَّ جَارَ الله آمِنٌ وَ عَدُوَّهُ خَائِفٌ وَ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ الله أَنْ يَتَعَظَّمَ فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ وَ سَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ وَ الْبَارِئِ مِنْ ذِي السَّقَمِ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ وَ لَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ وَ لَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَ صَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ وَ ظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ.

(الخطبة ١٧٠)

ومن كلام له عليه السلام في وجوب اتباع الحق عند قيام الحجة كلّم به بعض العرب:

وَ قَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَمَّا قَرُبَ عليه السلام مِنْهَا لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْجَمَلِ لِتَزُولَ الشُّبْهَةُ مِنْ نُفُوسِهِمْ فَبَيَّنَ لَهُ عليه السلام مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ثُمَّ قَالَ لَهُ بَايِعْ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَ لَا أُحْدِثُ حَدَثاً حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ عليه السلام :أَ رَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَ

وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً كَمَا كَانَ يَزْعُمُ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ وَ أَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ. وَ لَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنْهَنِهِينَ عَنْهُ وَ الْمُعَذِّرِينَ فِيهِ وَ لَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَ يَرْكُدَ جَانِباً وَ يَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ وَ جَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ وَ لَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

(الخطبة ١٨٠)

و من خطبة له عليه السلام في ذم العاصين من أصحابه:

أَحْمَدُ اللهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَ قَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ وَ عَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ وَ إِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ وَ إِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ وَ إِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ وَ إِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ. لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَ الْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمُ الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ فَوَاللهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي وَ لَيَأْتِيَنِّي لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَ بَيْنِكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ وَ بِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ لله أَنْتُمْ أَ مَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَ لَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ أَ وَ لَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَ لَا عَطَاءٍ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ وَ أَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ وَ بَقِيَّةُ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَ تَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًى فَتَرْضَوْنَهُ وَ لَا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ وَ إِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ قَدْ

منها في ذكر أصحاب الجمل:

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ الله صلّى الله عليه وآله كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا وَ أَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ الله صلّى الله عليه وآله لَهُمَا وَ لِغَيْرِهِمَا فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَ قَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ وَ سَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَ خُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً وَ طَائِفَةً غَدْراً فَوَالله لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَ لَا بِيَدٍ دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ.

(الخطبة ١٧٤)

و من كلام له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد الله و قد قاله حين بلغه خروج طلحة و الزبير إلى البصرة لقتاله:

قَدْ كُنْتُ وَ مَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ وَ لَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ وَ أَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ وَ الله مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ وَ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبِسَ الْأَمْرُ وَ يَقَعَ الشَّكُّ. وَ وَالله مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ

السلام بِالْكُوفَةِ وَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى حِجَارَةٍ نَصَبَهَا لَهُ جَعْدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْمَخْزُومِيُّ وَ عَلَيْهِ مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ وَ حَمَائِلُ سَيْفِهِ لِيفٌ وَ فِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ لِيفٍ وَ كَأَنَّ جَبِينَهُ ثَفِنَةُ بَعِيرٍ فَقَالَ عليه السلام:

حمد الله و استعانته:

الْحَمْدُ لله الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ وَ عَوَاقِبُ الْأَمْرِ نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ وَ نَيِّرِ بُرْهَانِهِ وَ نَوَامِي فَضْلِهِ وَ امْتِنَانِهِ حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً وَ إِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً وَ لِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً وَ نَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً وَ أَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً وَ خَنَعَ لَهُ مُذْعِناً وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً وَ عَظَّمَهُ مُمَجِّداً وَ لَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً

الله الواحد:

لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكاً وَ لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً وَ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَ لَا زَمَانٌ وَ لَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ وَ لَا نُقْصَانٌ بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ وَ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَ لَا مُبْطِئَاتٍ وَ لَوْ لَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ وَ لَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ وَ لَا مَصْعَداً

دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ وَ فَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ وَ عَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ وَ سَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ وَ أَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِالله قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَ مُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ.

(الخطبة ١٨١)

وَ مِنْ كَلَامٍ لَهُ عليه السلام:

وَ قَدْ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ عِلْمَ أَحْوَالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الْكُوفَةِ قَدْ هَمُّوا بِاللِّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ وَ كَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ عليه السلام فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ أَ أَمِنُوا فَقَطَنُوا أَمْ جَبَنُوا فَظَعَنُوا.

فَقَالَ الرَّجُلُ بَلْ ظَعَنُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ عليه السلام : بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ وَ صُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ وَ هُوَ غَداً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ وَ مُتَخَلٍّ عَنْهُمْ فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى وَ ارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَ الْعَمَى وَ صَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَ جِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ.

(الخطبة ١٨٢)

وَ مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

رُوِيَ عَنْ نَوْفٍ الْبَكَالِيِّ قَالَ خَطَبَنَا بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عليه

الْخَالِقِينَ فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَ الْأَدَوَاتِ وَ مَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ وَ أَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ

الوصية بالتقوى:

أُوصِيكُمْ عِبَادَ الله بِتَقْوَى الله الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عليه السلام الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَ عَظِيمِ الزُّلْفَةِ فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ وَ اسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ وَ أَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً وَ الْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً وَ وَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَ أَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَ أَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَ أَطْفَئُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وَ أَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَ هَزَمُوا بِالْأُلُوفِ وَ عَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَ مَدَّنُوا الْمَدَائِنَ وَ مِنْهَا قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا وَ أَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَ الْمَعْرِفَةِ بِهَا وَ التَّفَرُّغِ لَهَا فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا وَ حَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ وَ ضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ وَ أَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ.

ثم قال عليه السلام:

لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَ لَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ وَ لَا لَيْلٍ سَاجٍ فِي بِقَاعِ الْأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئَاتِ وَ لَا فِي يَفَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ وَ مَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ وَ مَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَ انْهِطَالُ السَّمَاءِ وَ يَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَ مَقَرَّهَا وَ مَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَ مَجَرَّهَا وَ مَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا وَ مَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا.

عود إلى الحمد:

وَ الْحَمْدُ لله الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ لَا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ وَ لَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ وَ لَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ وَ لَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ وَ لَا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ وَ لَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ وَ لَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ وَ لَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ وَ لَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيماً وَ أَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً بِلَا جَوَارِحَ وَ لَا أَدَوَاتٍ وَ لَا نُطْقٍ وَ لَا لَهَوَاتٍ بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ فَصِفْ جِبْرِيلَ وَ مِيكَائِيلَ وَ جُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ

قَالَ نَوْفٌ: وَ عَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام فِي عَشَرَةِ آلَافٍ وَ لِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ الله فِي عَشَرَةِ آلَافٍ وَ لِأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ وَ لِغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ وَ هُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صِفِّينَ فَمَا دَارَتِ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ الله فَتَرَاجَعَتِ الْعَسَاكِرُ فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَتْ رَاعِيهَا تَخْتَطِفُهَا الذِّئَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

(الخطبة ٢٠٦)

و من كلام له عليه السلام و قد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين:

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ وَ لَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ ذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَ أَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ وَ قُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَ دِمَاءَهُمْ وَ أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَ بَيْنِهِمْ وَ اهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَ يَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَ الْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ.

(الخطبة ٢٠٧)

و من كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين و قد رأى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع إلى الحرب:

امْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِي فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهَذَيْنِ يَعْنِي الْحَسَنَ وَ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ وَ أَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَ أَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا لله أَنْتُمْ أَ تَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ وَ يُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا وَ أَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً وَ أَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ الله الْأَخْيَارُ وَ بَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصِفِّينَ أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً يُسِيغُونَ الْغُصَصَ وَ يَشْرَبُونَ الرَّنْقَ قَدْ وَ الله لَقُوا الله فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ وَ أَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَ مَضَوْا عَلَى الْحَقِّ أَيْنَ عَمَّارٌ وَ أَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ وَ أَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ وَ أَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ وَ أُبْرِدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ فَأَطَالَ الْبُكَاءَ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: أَوِّهِ عَلَى إِخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ أَحْيَوُا السُّنَّةَ وَ أَمَاتُوا الْبِدْعَةَ دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَ وَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ.

ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ الله أَلَا وَ إِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى الله فَلْيَخْرُجْ.

الْعَلَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ قَالَ وَ مَا لَهُ قَالَ لَبِسَ الْعَبَاءَةَ وَ تَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا قَالَ عَلَيَّ بِهِ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ أَ مَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَ وَلَدَكَ أَ تَرَى اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَ هُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِكَ وَ جُشُوبَةِ مَأْكَلِكَ قَالَ وَيْحَكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ.

(الخطبة ٢١٢)

و من خطبة له عليه السلام كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه:

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ وَ الْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فِي الدِّينِ وَ الدُّنْيَا فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَ سَمَاوَاتِكَ ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ وَ الْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

(الخطبة ٢١٣)

و من خطبة له عليه السلام في تمجيد الله و تعظيمه:

الْحُسَيْنَ عليهما السلام عَلَى الْمَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ الله صلّى الله عليه وآله.

قال السيد الشريف: قوله عليه السلام املكوا عني هذا الغلام من أعلى الكلام و أفصحه.

(الخطبة ٢٠٨)

و من كلام له عليه السلام قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ حَتَّى نَهِكَتْكُمُ الْحَرْبُ وَقَدْ وَ الله أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَ تَرَكَتْ وَ هِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ. لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً وَ كُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً وَ قَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ وَ لَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ.

(الخطبة ٢٠٩)

و من كلام له عليه السلام بالبصرة و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثي و هو من أصحابه يعوده، فلما رأى سعة داره قال:

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا وَ أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ وَ بَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ وَ تَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ وَ تُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا فَإِذاً أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ فَقَالَ لَهُ

جُفَاةٌ طَغَامٌ وَ عَبِيدٌ أَقْزَامٌ جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَ تُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَ يُؤَدَّبَ وَ يُعَلَّمَ وَ يُدَرَّبَ وَ يُوَلَّى عَلَيْهِ وَ يُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ لَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَ الْإِيمانَ أَلَا وَ إِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ وَ إِنَّكُمُ اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ وَ إِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ الله بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَ شِيمُوا سُيُوفَكُمْ فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ وَ إِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَةُ فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ الله بْنِ الْعَبَّاسِ وَ خُذُوا مَهَلَ الْأَيَّامِ وَ حُوطُوا قَوَاصِيَ الْإِسْلَامِ أَ لَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى وَ إِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى.

(الخطبة ٢٤٠)

و من كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن العباس و قد جاءه برسالة من عثمان و هو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع، ليقل هتف الناس باسمه للخلافة، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل، فقال عليه السلام:

يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحاً بِالْغَرْبِ أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ وَ الله لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً.

الْحَمْدُ لله الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ الْغَالِبِ لِقَالِ الْوَاصِفِينَ الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ وَ الْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ الْعَالِمِ بِلَا اكْتِسَابٍ وَ لَا ازْدِيَادٍ وَ لَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَ لَا ضَمِيرٍ الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلَمُ وَ لَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ وَ لَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ وَ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْإِبْصَارِ وَ لَا عِلْمُهُ بِالْإِخْبَارِ.

و منها في ذكر النبي صلّى الله عليه وآله:

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ وَ قَدَّمَهُ فِي الِاصْطِفَاءِ فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ وَ سَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ وَ سَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ.

(الخطبة ٢١٩)

و من كلام له عليه السلام لما مر بطلحة بن عبد الله وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و هما قتيلان يوم الجمل:

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيباً أَمَا وَ الله لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَ أَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ.

(الخطبة ٢٣٨)

و من كلام له عليه السلام في شأن الحكمين و ذم أهل الشام:

مخطوطة ابن المؤدّب

ثانياً : ملحق رقم (٢)

نماذج من مخطوطة ابن المؤدب ،

ونماذج أخرى لنهج البلاغة

يرادبه الذى يأثر الحديث اى يحكيه ويرويه وهو واضح الوجوه عندى كما
عليه السلام قال لا يبقى منكم عشرة ويروى ارز بالزاى معجمة وهو الوبا
والهلاك ايضا قال ابو
وقال عليه السلام
لما عزم على حرب الخوارج وقيل له ان القوم قد عبروا الجسر الى نهروان
مصارعهم دون النطفة والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة يعنى
بالنطفة ماء النهر وهى اصح كناية عن الماء وان كان كثيرا جما وقد
اشرنا الى ذلك فيما تقدم عنه معنى ما اشبهه
وقال عليه السلام
لما قتل الخوارج فقيل له يا امير المؤمنين هلك القوم باجمعهم فقال
كلا والله انهم نطف فى اصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم منهم
قرن قطع حتى يكون اخرهم لصوصا سلابين
وقال عليه السلم
فيهم لا تقاتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحق فاخطاه كمن طلب
الباطل فادركه يعنى معوية واصحابه
ومن كلام له عليه السلم
حصينة لما خوفه من الغيلة وان على من الله جنة فاذا جاء يومى انفرجت
عنى واسلمتنى فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم
ومن خطبة له عليه السلام

في سلطانه ونطق الباطل على لسانه **ومن كلام** له عليه السلم يعني به الزبير يزعم أنه قد
بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد أقر بالبيعة وادعى الولية فليأت عليها بأمر يعرف وإلا فليدخل
فيما خرج منه **ومن كلام** له عليه السلم وقد أرعد وأبرق يوم هذين الأمرين الفشل
ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر **ومن كلام** له عليه السلم
ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وإن معي لبصيرتي ما لبست
على نفسي ولا لبس علي وأيم الله لأفرطن لهم حوضا أنا ماتحه لا يصدرون عنه ولا
يعودون إليه **ومن خطبة** له عليه السلم نزول الجبال ولا تزل عض
على ناجذك أعر الله جمجمتك تد في الأرض قدمك ارم ببصرك أقصى القوم وغض
بصرك واعلم أن النصر من عند الله سبحانه وتعالى **ومن كلام** له عليه السلم
لما أظفره الله تعالى بأصحاب الجمل وقد قال له بعض أصحابه وددت أن أخي فلانا
كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك فقال عليه السلم أهوى أخيك معنا
قال نعم قال فقد شهدنا ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال
وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان **ومن كلام**
له عليه السلم في ذم البصرة وأهلها كنتم جند المرأة وأتباع البهيمة رغا
فأجبتم وعقر فهربتم أخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم
زعاق المقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة
من ربه كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن
تحتها وغرق من في ضمنها **وفي رواية أخرى** وأيم الله لتغرقن بلتكم

مخطوطة المكتبة الرضوية في مشهد المقدسة بالجمهورية الإسلامية الإيرانية

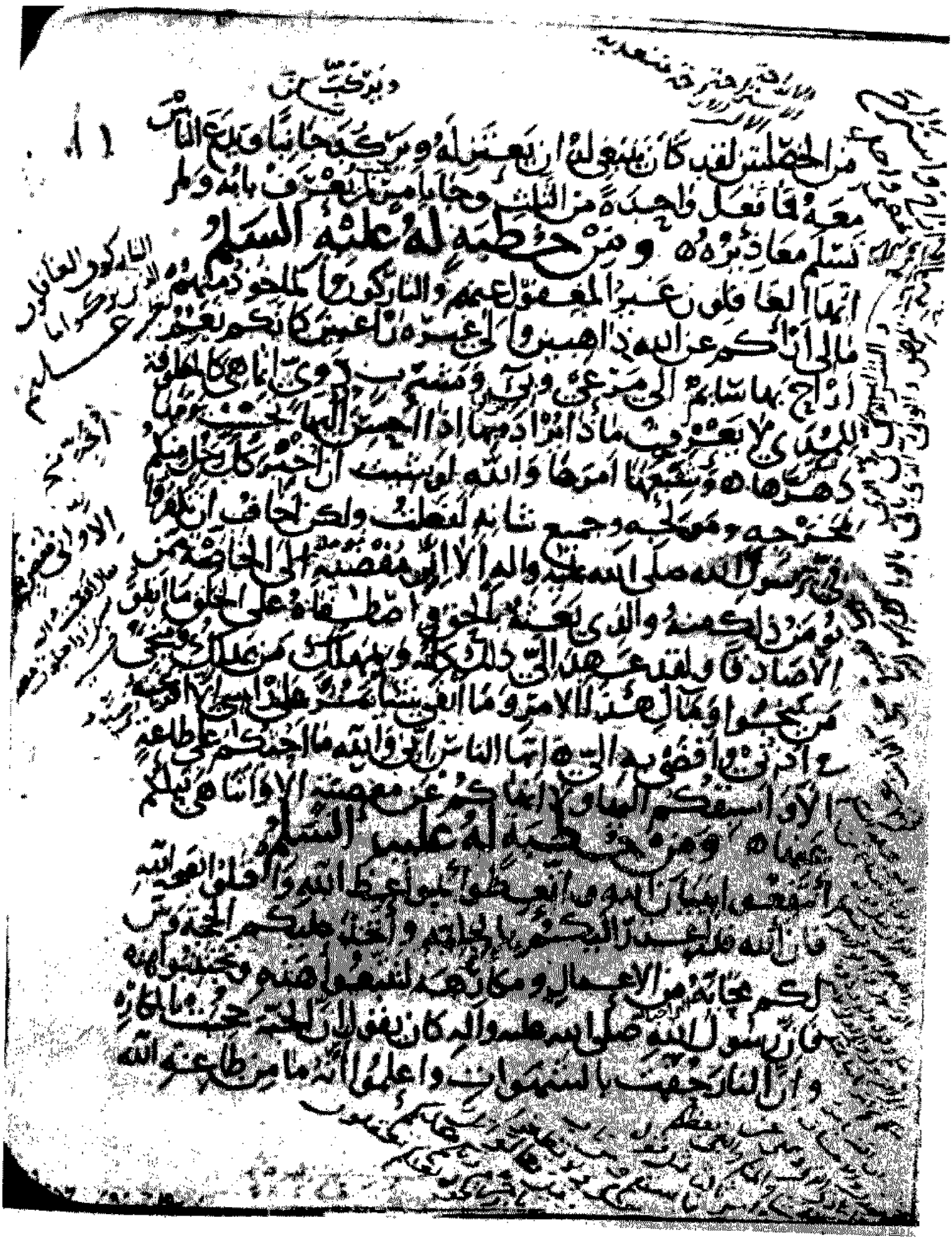

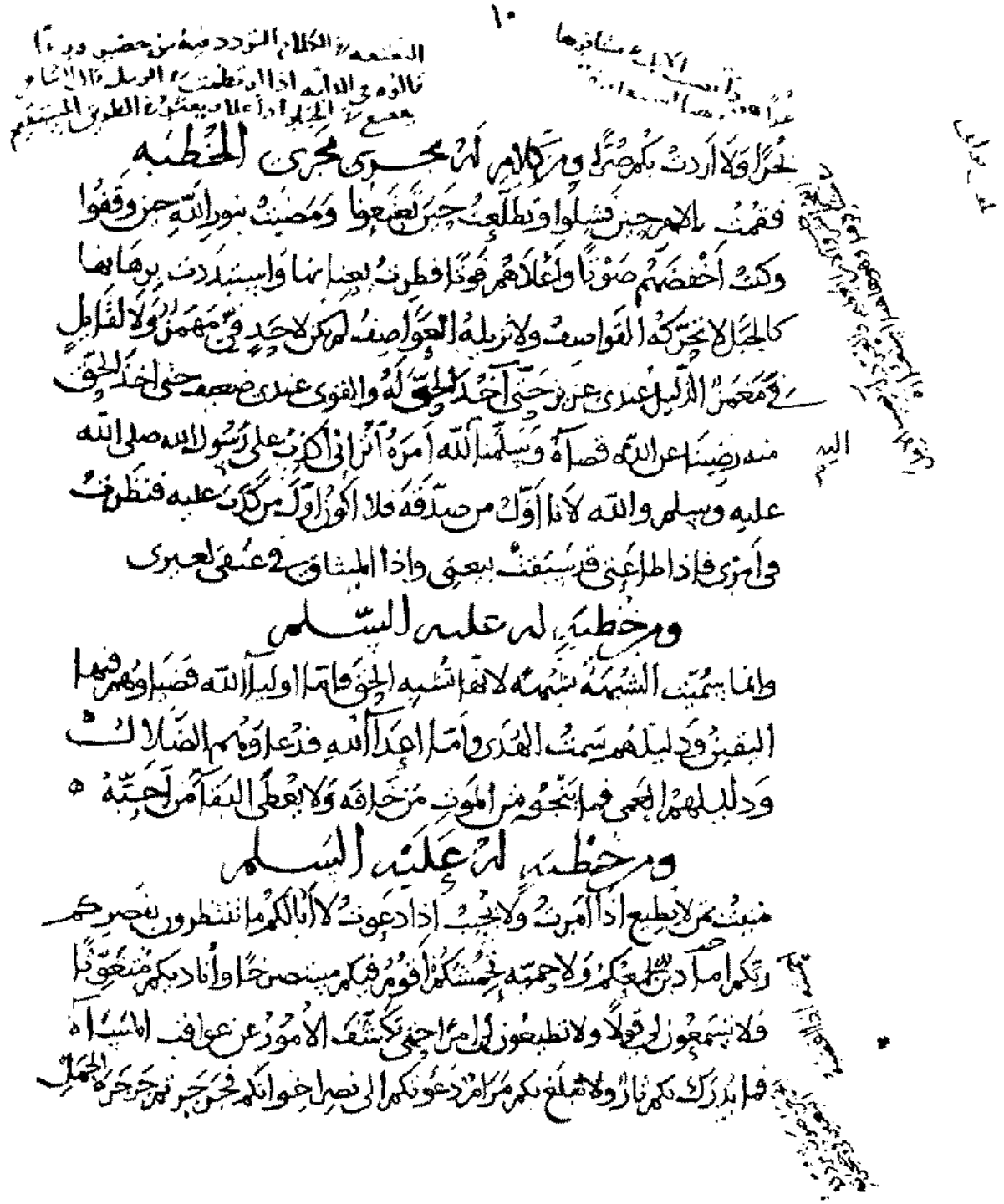

١٠

ومن كلام له عليه السلام يحرض على الجهاد

فقمت بالامر حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا ونطقت حين تتعتعوا ومضيت بنور الله حين وقفوا وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا فطرت بعنانها واستبددت بروانها كالجبل لا تحركه القواصف ولا تريله العواصف لم يكن لاحد في مهموز ولا لقائل في مغمز الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله امره اترانى اكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لانا اول من صدقه فلا اكون اول من كذب عليه فنظرت في امري فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي واذا الميثاق في عنقي لغيري

ومن خطبة له عليه السلام

واما بعد سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق فاما اولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال ودليلهم العمى فما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من احبه

ومن خطبة له عليه السلام

منيت بمن لا يطيع اذا امرت ولا يجيب اذا دعوت لا ابا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم اما دين يجمعكم ولا حمية تحمشكم اقوم فيكم مستصرخا واناديكم متغوثا فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام دعوتكم الى نصر اخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل

مخطوطة مكتبة نواب مشهد بالجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة

مخطوطة نصيرية طهران

مخطوطات متنوعة من كتاب النسخ الخطيّة القديمة والنفيسة لنهج البلاغة (نسخه هاي كهن و نفيس نهج البلاغة)[1]

---

١. هذا الكتاب أخذ من خزانة مخطوطات مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي ـ مطبعة الصدر ـ قم ـ ايران، ألفه السيّد محمود مرعشي نجفي.

٣٠

بين اطوار الموتات وعذاب البليات أنا بالله عائذون عباد الله الذين عمروا
فتعلموا وعلموا ففهموا وانظروا فلهوا وسلموا فنسوا أمهلوا طويلا ومنحوا
جميلا وحذروا البلاء وعدوا جسيما احذروا الذنوب المورطه والعيوب
المسخطه اولي الابصار والاسماع والعافيه والمتاع هل من مناص او خلاص
او معاذ او ملاذ او فرار او محار ام لا فاني تؤفكون ام ان تصرفون ام بما اذن
تغترون وانما حظ احدكم من الارض ذات الطول والعرض قيد قده منجعرا
على حده الا عباد الله والخناق مهمل والروح مرسل وفيئه للارتاد وراحه
الاجياد وقهل البقيه وانف المشيه وانظار التوبه والفساح الحوبه قبل الضنك
والمضيق والروح والزهوق وقبل قرم الغارب المنطبق وقبل ان يكون بغتة
بلغته فجأة اذا لم تجد الا ريث ان تقول هيا هيا اي هذا هذا

و من كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص

عجبا لابن النابغه يزعم لاهل الشام انى ابرح ذعابه وانى امرؤ ملعابه اعافس
واماري لقد قال باطلا ونطق آثما اما وشر القول الكذب انه ليقول فيكذب ويعد
فيخلف ويسأله فيلحف ويسأل فيبخل فما حق الله في هذه ان لم يقم بها
كبرت خطيئته فهو حين يأتي الله يوم القيامة احرى ان يمقته فلا يغرنك
قوله وطنطنته وتضلعه بالفهاهة بعد الذي بصرت به من عشوته وخبطه
حشوته فانما مثله مثل الكلب الذي قيل له ان تحمل عليه يلهث او تتركه
يلهث فالمرء يحفظ في المرأة بعد وفاتها ما كان يحفظ منها في حياتها
فاتق الله يا عمرو في نفسك تقيا وامنع عنها ريبك اريبا فانك قد
جاوزت حد الصغار وبلغت ان يقال لك كبير قريش وانما انت بعجر وبجر
فكأن قد نزل بك ما تتمنى منه الفرار فتقصر عما تؤمل وتعجز عما فيه
غدا تحاول فتضعف عن دفع ما لا تطيق وتعجز عن الخروج مما انت
فيه وقد اخذ بمجامع قلبك وأحاط بكظمك وانقطع رجاؤك دون
طلبتك فعند ذلك تندم على ما فرط منك في ايام امكنتك الارادة
فيها فسلبتها وسهلت لك الاقتدار عليها فتغلبت

وفي الخبر انه عليه السلام لما خطب بهذه الخطبه اقشعرت لها الجلود وبكت العيون ورجفت القلوب

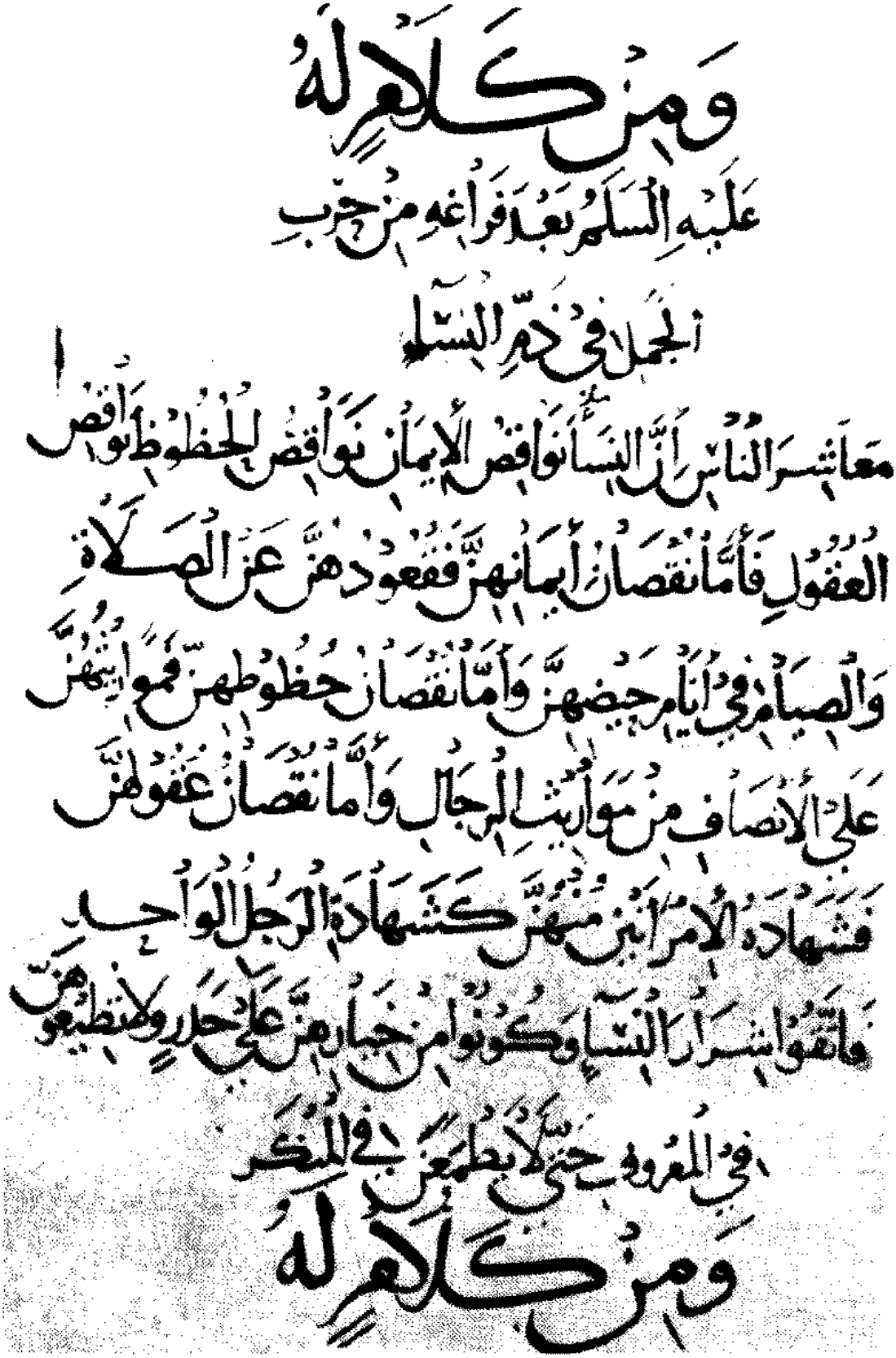
ومن كلام له
عليه السلام بعد فراغه من حرب
الجمل في ذم النساء
معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان نواقص الحظوظ نواقص
العقول فأما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة
والصيام في أيام حيضهن وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن
على الأنصاف من مواريث الرجال وأما نقصان عقولهن
فشهادة الامرأتين منهن كشهادة الرجل الواحد
فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر ولا تطيعوهن
في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر
ومن كلام له

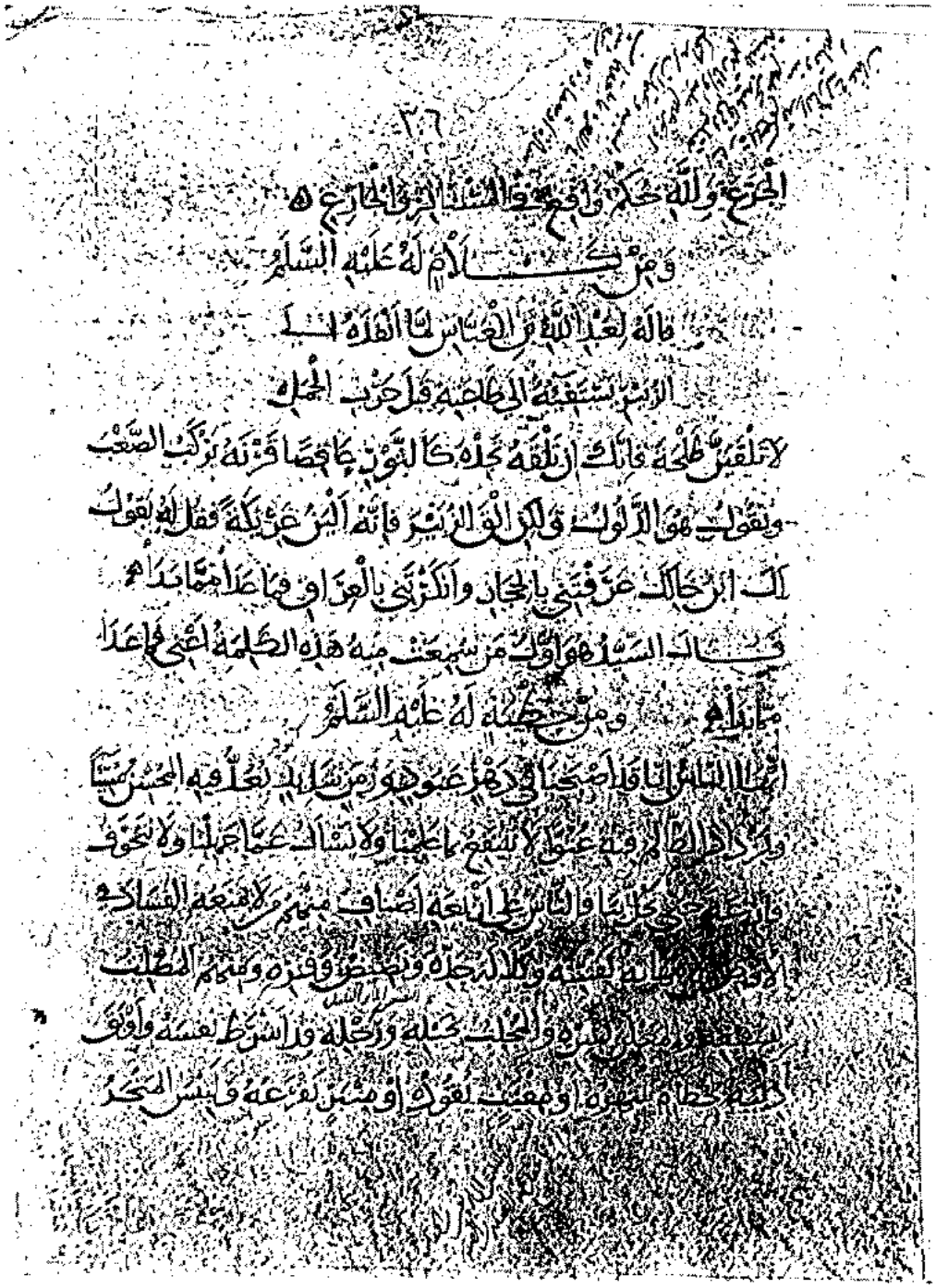

٣٦

الجزع والله محله وافقع بالمنسأة واحارع ٥

ومن كلام له عليه السلام

قاله لعبد الله بن العباس لما اقفله الى

الزبير يستغويه الى طاعته قبل حرب الجمل

لا تلقين طلحة فانك ان تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه يركب الصعب

ويقول هو الذلول ولكن الزبير فانه ألين عريكة فقل له يقول

لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدا لك

قال السيد هو اول من سمعت منه هذه الكلمة التي دعا

مثلا ٥

ومن خطبة له عليه السلام

ايها الناس انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن كنود يعد فيه المحسن مسيئا

ويزداد الظالم فيه عتوا لا ننتفع بما علمنا ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف

قارعة حتى تحل بنا فالناس على اربعة اصناف منهم من لا يمنعه الفساد

الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره ومنهم المصلت

بسيفه والمغدق بماله والمرهق لنفسه والمجلب بخيله ورجله ولات حين لعمسه واوقع

في حبائل غيره او مقتحم لغوره او مشمر لفرعه وليس المحرز

مخطوطة المكتبة المتخصّصة
بأمير المؤمنين علي عليه السلام

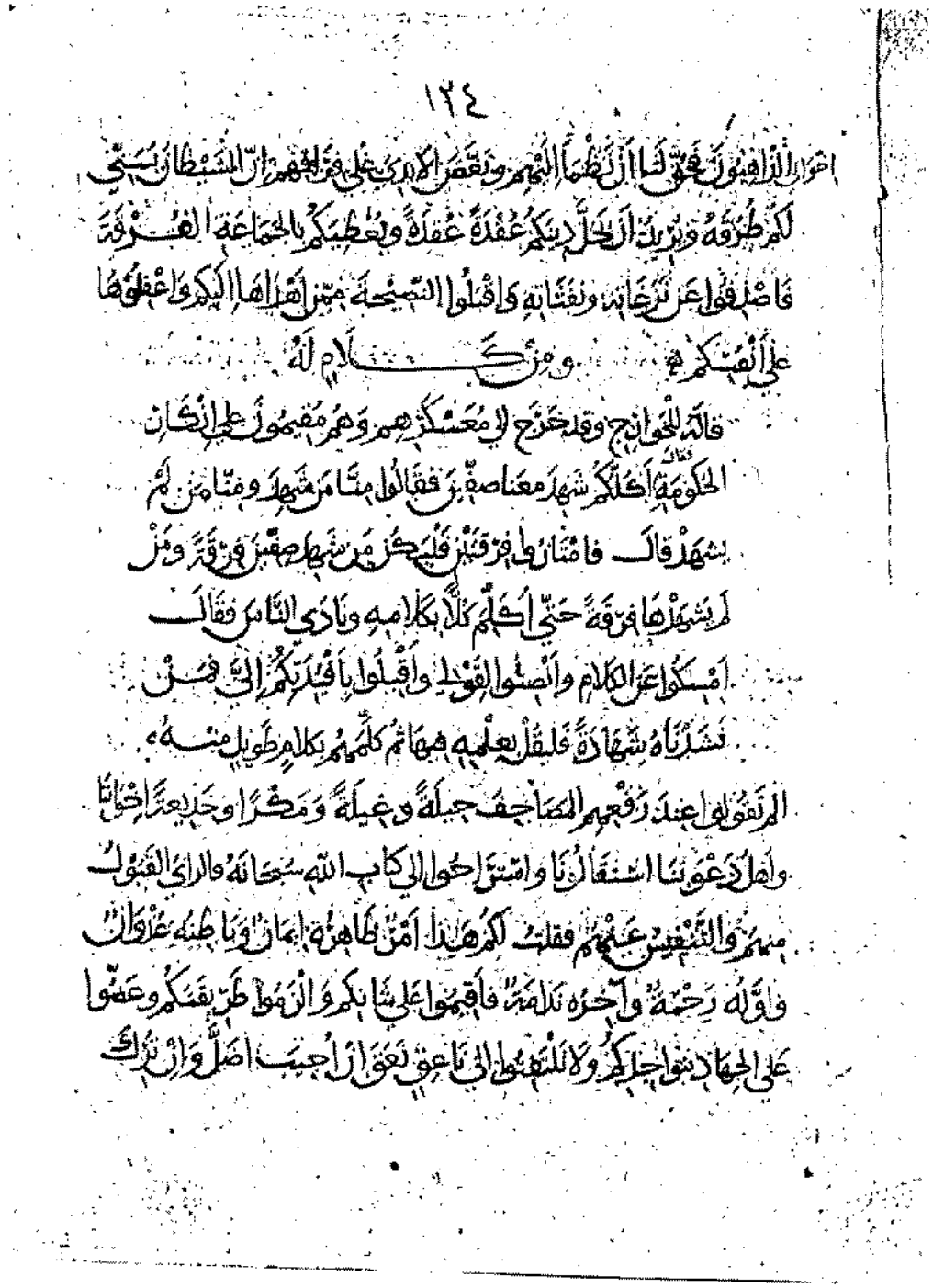

١٢٤

اعوان الذافعون فقد رأيت أن نظما النهم ونقص الأدى على فرقهم ان الشيطان يسني
لكم طرقه ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقة
فاصدفوا عن نزغاته ونفثاته واقبلوا النصيحة ممن أهداها اليكم واعقلوها
على أنفسكم ومن كلام له
قاله للخوارج وقد خرج الى معسكرهم وهم مقيمون على انكار
الحكومة أكلكم شهد معنا صفين فقالوا منا من شهد ومنا من لم
يشهد قال فامتازوا فرقتين فليكن من شهد صفين فرقة ومن
لم يشهدها فرقة حتى أكلم كلا بكلامه وناذى الناس فقال
امسكوا عن الكلام وانصتوا للقول واقبلوا بافئدتكم الي فمن
نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها ثم كلمهم بكلام طويل منه
الم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكرا وخديعة اخواننا
واهل دعوتنا استقالونا واستراحوا الى كتاب الله سبحانه فالرأي القبول
منهم والتنفيس عنهم فقلت لكم هذا أمر ظاهره إيمان وباطنه عدوان
واوله رحمة واخره ندامة فاقيموا على شانكم والزموا طريقتكم وعضوا
على الجهاد بنواجذكم ولا تلتفتوا الى ناعق نعق ان اجيب اضل وان ترك

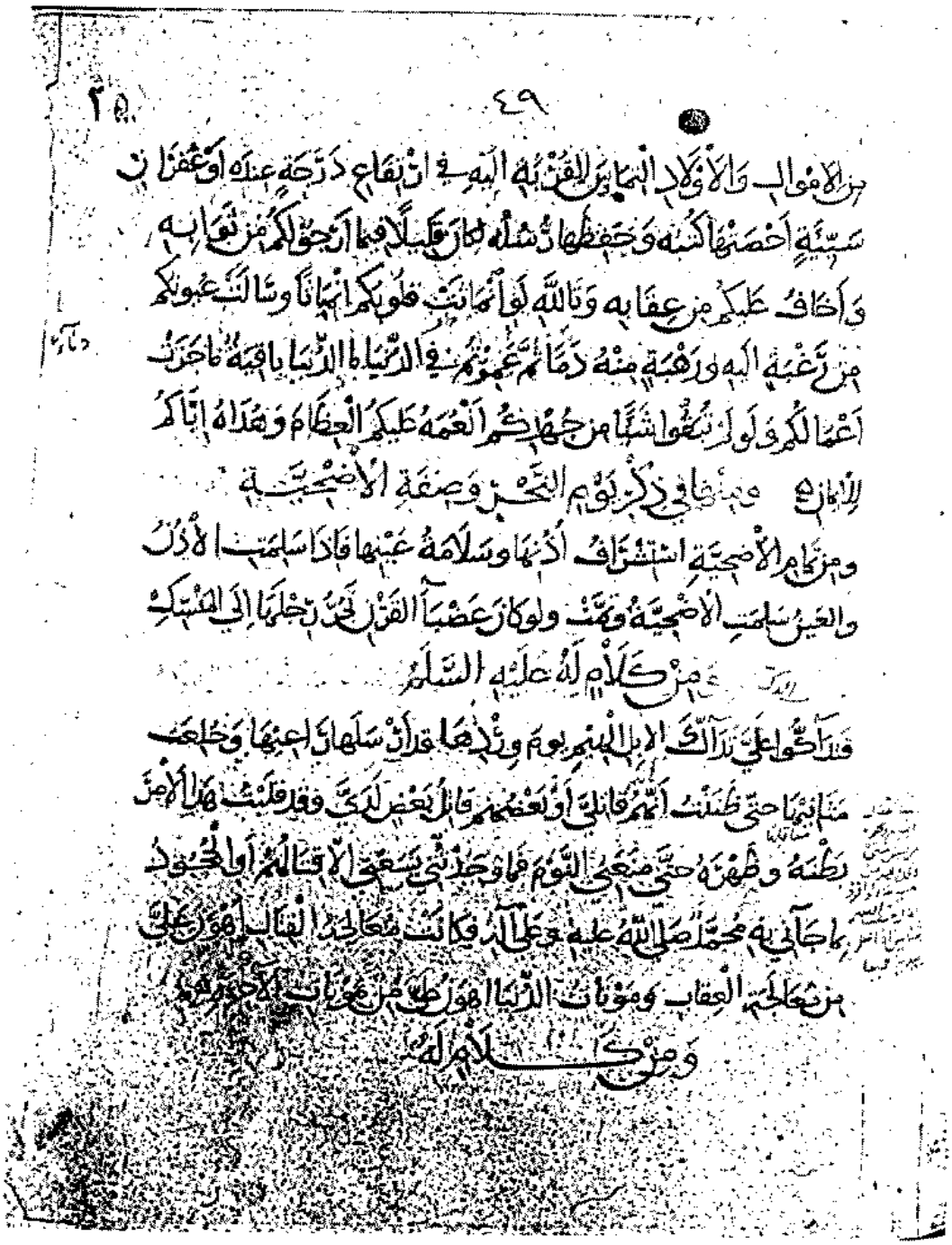

٣٥ ٤٩

من الاموال والاولاد انما يراد القدر به الى ارتفاع درجة عند الله وغفران
سيئة احصنها كتبه وحفظها رسله لكان قليلا فيما ارجو لكم من ثوابه
واخاف عليكم من عقابه وبالله لو انكم بلغت قلوبكم انينا وشالت عيونكم
من تزعته اليه ورهبة منه دما ثم عمرتم في الدنيا ما بقيه فاجزت
اعمالكم ولو لم تفعلوا شيئا من جهادكم انعمه عليكم العظام وهداه اياكم
للايمان ومن كلام له في ذكر يوم النحر وصفة الاضحية
ومن تمام الاضحية استشراف اذنها وسلامة عينها فاذا سلمت الاذن
والعين سلمت الاضحية وتمت ولو كان عضبا القرن فحد رحلها الى المنسك
ومن كلام له عليه السلام
فتداكوا علي تداك الابل الهيم يوم وردها قد ان سلهان لعنها وخلعت
مثانيها حتى ظننت انهم قاتلي او بعضهم قاتل بعض لدي فقلت هذا الامر
بطنه وظهره حتى مضى القوم فما وجدني يسعى الا قائما او الحمد
لما جاني به محمد صلى الله عليه وعلى آله فكانت معالجة القلب اهون علي
من معالجة العقاب وموتات الدنيا اهون علي من موتات الآخرة
ومن كلام له

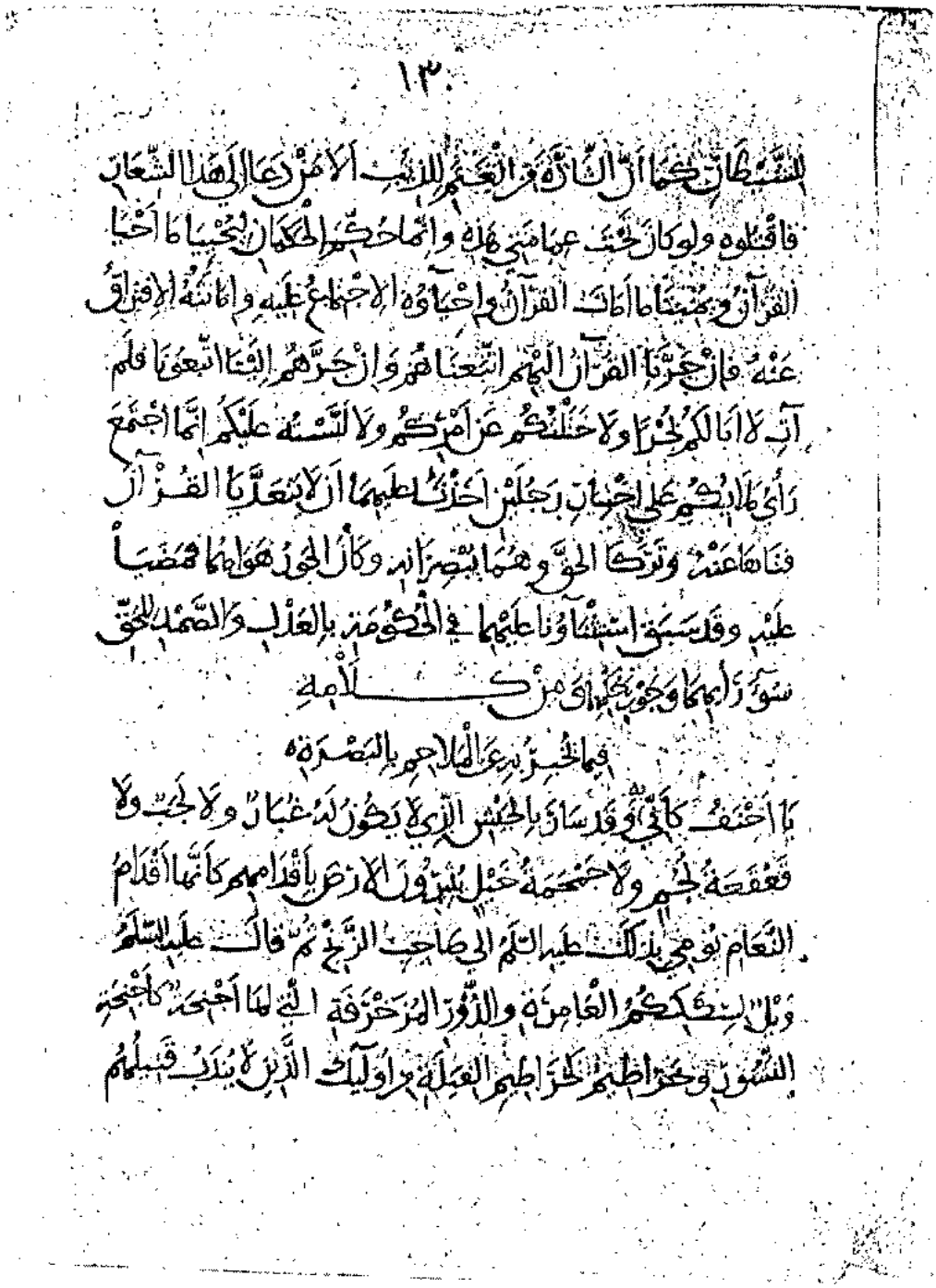

١٣٠

الشيطان كما ان الشاة قر بعيم للذئب الامر دعا الى هذا الشعار
فاقلوه ولو كان خطأ عما منى هلك وانما حكم الحكمان ليحييا ما احيا
القرآن ويميتا ما اماته القرآن واحياؤه الاجتماع عليه وامانته الافتراق
عنه فان جرنا القرآن اليهم اتبعناهم وان جرهم الينا اتبعونا فلم
آت لا ابا لكم شرا ولا خلتكم عن امركم ولا لبسته عليكم انما اجتمع
رأيي ورأيكم على اختيار رجلين احدثما عليهما ان لا يتعديا القرآن
فنابذهما عنه وتركنا الحق وهما ابصرانه وكان الهوى هواهما فمضيا
عليه وقد سبق استثناؤنا عليهما في المحكومة بالعدل والتعمد للحق
سوء رأيهما وجورهما اى من كلامه

فيما اخبر به عن الملاحم بالبصرة

يا احنف كأني بك وقد سرت بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب ولا
قعقعة لجم ولا حمحمة خيل يثيرون الارض باقدامهم كأنها اقدام
النعام يومي بذلك عليه السلام الى صاحب الزنج ثم قال عليه السلام
ويل لسككم العامرة والدور المزخرفة التي لها اجنحة كأجنحة
النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة اولئك الذين لا يذب قتلاهم

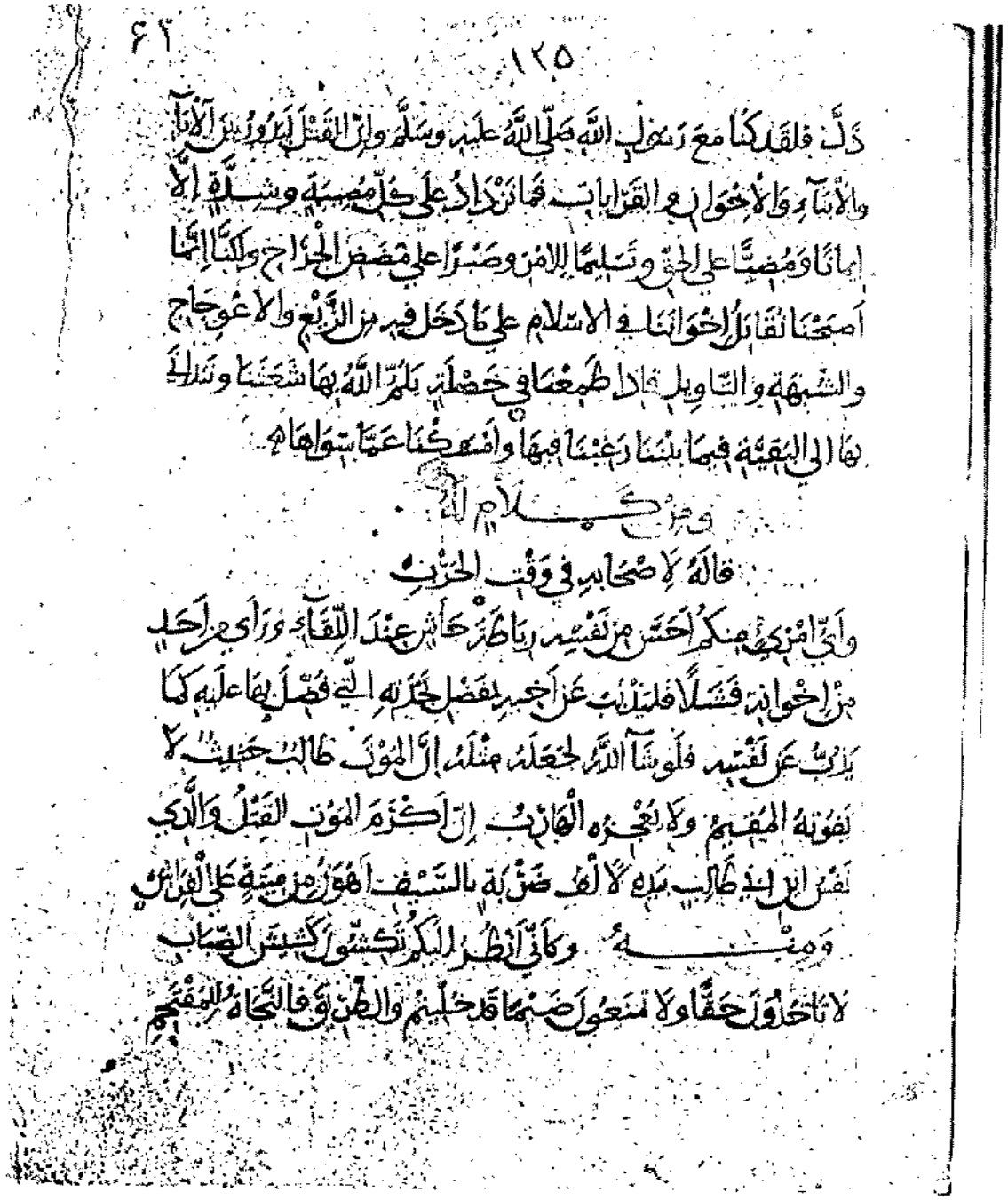

٤٢

١٢٥

ذلك فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وان القتل ليدور بين الآباء والأبناء والإخوان والقرابات فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيمانا ومضيا على الحق وتسليما للأمر وصبرا على مضض الجراح ولكنا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الاسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل فإذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا ونرد بها الى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وأمسكنا عما سواها.

ومن كلام له

قاله لأصحابه في وقت الحرب

وأي امرئ منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشلا فليذب عن أجر بفضل جده الذي فضل به عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب إن أكرم الموت القتل والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة على الفراش ومنه وكأني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب لا تأخذون حقا ولا تمنعون ضيما قد خلي لكم الطريق فالنجاة للمقتحم

تنويه..... ٥
الإهداء ٧
التصدير ٨
فاتحة الكتاب..... ٩
مقدِّمة الناشر ١١
الخطاب الحربي عند أمير المؤمنين عليه السلام ١٣
المقدِّمة.....١٩
١ـ دوافع البحث.....٢٣
أ ـ منزلة الأسلوب في البحث اللساني الحديث.....٢٣
ب ـ خصوصية البحث في خطب علي بن أبي طالب الحربية: ٢٦
٢ ـ المنهج ٣٠
٣- خطة البحث ٣٤
٤ - المدوَّنة مكاناً وزماناً.....٣٥
٦- الصعوبات.....٤٠

فهرست المحتويات

فهرس الفهارس والملحقات ٥٤٧
ثانياً : خصائص التدوين والمدونة : ٧٨
أ ـ المبنى ٧٨
ب ـ المعنى ٨٦
١ - قيمة السلم.....٨٦
٢ - أخلاق الحرب ٩١
٣ـ تعاليم حربية.....٩٢
٤ـ تصوير عمليات القتال والحالة النفسية عند الجند والخصم ٩٦
٥ ـ قائد غير مطاع.....٩٨
المبحث الثاني: مفهوم الصورة الفنية عند النقاد حديثاً وقديماً.....١٠٣
أولاً: تعريف الصورة الفنّية في النّقد القديم ١٠٣
أ- جذور الصورة الفنية في النقد القديم ١٠٣
ب ـ الصورة الفنية عند النقاد المحدثين.....١٠٧
ثانياً: أنواع الصور.....١١٤
ثالثاً : مصادر الصور الفنية ١١٨
رابعاً : وظائف الصور.....١٢٠
خاتمة الفصل الأوّل ١٢٣
الفصل الثاني: الصّور القائمة على التّشابه ١٣٠

٥٤٦..... أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربيه
الفصـل الأوّل: مقدمات نظرية..... ٥٢
تمهيـــــد..... ٥٢
المبحث الأوَل..... ٥٣
توثيق المدونة العلوية ٥٣
تمهيد: تأطير تاريخي للمدونة..... ٥٣
أولاً: عدد الخطب الحربية وكيفية انتظامها في نهج البلاغة ٦١
أ – عدد الخطب..... ٦٣
ب ـ كيفية انتظامها ٦٤
١ ـ الخطب..... ٦٥
معايير التقسيم في الخطبة العلوية:..... ٦٥
(١) خطب تخضع للتقسيم الثلاثي..... ٦٦
(٢) خطب تخضع للتقسيم الرباعي ٦٧
٢ـ الخطابة ٧٠
(١) المحاورات..... ٧٠
(٢) المجاوبات..... ٧١
(٣) المراجعات ٧٣
(٤) الوصايا ٧٣

أوّلا : الصّور القائمة على تداعي المدلولات في الحقيقة ١٨١
ـ الكناية ١٨١
التلويح : ١٨٩
١ـ الكناية عن الصفة ١٩٣
٢- الكناية عن الموصوف ١٩٥
ثانيًا : الصّور القائمة على تداعي المدلولات في المجاز ٢٠١
أ- المجاز ٢٠١
١- المجاز المرسل ٢٠٣
٢- المجاز العقلي ٢٠٦
(١) العـوامل ٢٠٧
ـ السببية ٢٠٧
ـ المسببية ٢٠٨
ـ الآلة ٢٠٨
(٢) الظروف ٢٠٨
ـ الزمانية ٢٠٨
المبحث الثّاني: التّداعي التّقابليّ ٢١٢
تمهيـــــدٌ ٢١٢

٥٤٨ ..... أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربيه
تمهيـــد ١٣٠
المبحث الأوّل:الصور التشبيهية ١٣٢
تمهيد ١٣٢
عناصر التشبيه : ١٣٥
أنواع التشبيه : ١٣٦
أ ـ التّشبيه المُفرد : ١٣٦
التشبيه المرسل ١٣٧
حضور أداة التّشبيه في الخطاب الحربي : ١٤٢
٢ – التّشبيه البليغ: ١٤٥
ب ـ التشبيه التمثيلي: ١٥١
المبحث الثاني : الصور الاستعارية ١٥٧
أ– الاستعارة التصريحية : ١٦٠
ب ـ الاستعارة المكنية : ١٦٣
جـ ـ الاستعارة التّمثيليّة : ١٦٦
خاتمة الفصل الثّاني ١٧١
الفصل الثالث: الصّور القائمة على التّداعي ١٧٨
تمهيد ١٧٨
المبحث الأوّل : التداعي التوافقي ١٨١

فهرس الفهارس والملحقات ٥٥١
تمهيد..... ٢٤٧
مصادر الصور: ٢٤٧
المبحث الأوّل: المصادر التجريبية ٢٤٩
أ- المستوى الأوّل عالم الإنسان: ٢٤٩
١- القسم الأول : عالم الإنسان الخارجي ٢٤٩
(١) ـ الصفات والأحوال :..... ٢٤٩
(٢) ـ أعضاء الإنسان :..... ٢٥١
(٣) ـ أعراض الإنسان :..... ٢٥٢
(٤) ـ الحياة والموت :..... ٢٥٤
(٥) ـ الآلات والأدوات ٢٥٨
ـ آلات الحرب ٢٥٨
ـ أدوات البيت : ٢٦١
٢- القسم الثاني: عالم الإنسان الداخلي..... ٢٦٣
ويتركز على عنصرين : القلب والصدر : ٢٦٣
(١) – القلب ٢٦٣
(٢) – الصدر..... ٢٦٦
ب ـ المستوى الثاني : عالم الحيوان ٢٦٨

٥٥٠..... أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربيه
الصّور القائمة على التّقابل..... ٢١٤
أولاً : أنواع المقابلات ٢١٦
المقابلة اللغوية : ٢١٧
ـ أشكالها ٢٢١
ب) المقابلة السياقية: ٢٣٠
ـ أشكالها : ٢٣١
* الصّيغ الصّرفيّة :..... ٢٣٢
* التراكيب: ٢٣٢
* وظائف اللغة : ٢٣٣
* الجُمل : ٢٣٣
* الأمكنة : ٢٣٤
* الأزمنة : ٢٣٥
ثانيا ـ معانيها ودلالتها..... ٢٣٦
أ- معنى التوتر ٢٣٦
ب ـ معنى الحركة ٢٣٨
خاتمة الفصل الثالث ٢٤٠
الفصل الرّابع: مصادر الصّور ٢٤٧

فهرس الفهارس والملحقات ٥٥٣
٣- التاريخ الإسلامي..... ٣١٠
خاتمة الفصل الرّابع ٣١٣
الفصل الخامس: وظائف الصُّور ٣٢٣
تمهيد..... ٣٢٣
المحور الأول : التوبيخ ٣٢٩
١ـ التوبيخ بالتشبيه..... ٣٣٠
٢- التّوبيخ بالاستعارة ٣٣٢
(١) التّوبيخ بالاستعارة التّمثيليّة : ٣٣٣
(٢) التّوبيخ بالاستعارة غير التّمثيليّة..... ٣٣٥
٣- التوبيخ بالكناية ٣٣٧
المحور الثّاني : الاستشهاد ٣٤٣
المحور الثّالث : المثال..... ٣٤٩
المحور الرّابع : الأنموذج ٣٥٥
المحور الخامس : توظيف الحكمة ٣٦٠
خاتمة الفصل الخامس ٣٧٠
الخاتمة العامّة ٣٧٨
قائمة المصادر والمراجع ٣٩٠
أ ـ أمهات الكتب..... ٣٩٠

٥٥٢..... أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربيه
١- الحيوانات الأليفة ٢٦٨
٢ـ الطيور ٢٧٧
٣ـ الزواحف ٢٧٩
٤ـ الحيوانات المفترسة ٢٨٠
جـ ـ المستوى الثّالث : عالم الطبيعة ٢٨٣
١- صور الماء ٢٨٦
٢- مصادر الماء ٢٨٧
المبحث الثاني : المصادر الثقافية ٢٨٩
أ- الجانب الأوّل : الدين والأخلاق ٢٩٠
١- الأحداث الدينية ٢٩١
٢- المعاني الدينية الأخلاقية ٢٩٦
ب ـــ الجانب الثاني : الأدب العربي ٣٠٠
١- الأعلام : ٣٠٠
(١)- أعلام من الشعراء ٣٠٠
(٢)- أعلام الأمثال.....٣٠٣
جـ ـ الجانب الثّالث : التّاريخ ٣٠٧
١- التاريخ القديم :.....٣٠٧
٢- تار يخ العرب في الجاهلية.....٣٠٩

فهرس الفهارس والملحقات ٥٥٥
ثانياً: فهرس الأعلام والأماكن ٤٢٣
ثالثاً: فهرس الأمثال..... ٤٣٣
رابعاً: فهرس المصطلحات ٤٣٤
خامساً: فهرس الأشعار..... ٤٤٥
سادساً: فهرس الآيات القرآنية ٤٤٦
الملحقات ٤٤٩
مقدمة الملحقات ٤٤٩
أولاً: ملحق رقم (١) المدونة العلوية الحربية ٤٥١
(الخطبة ٤) ٤٥١
(الخطبة ٦) ٤٥٢
(الخطبة ٧) ٤٥٢
(الخطبة ٨) ٤٥٣
(الخطبة ٩) ٤٥٣
(الخطبة ١٠)..... ٤٥٣
(الخطبة ١١)..... ٤٥٣
(الخطبة ١٢)..... ٤٥٤
(الخطبة ١٣)..... ٤٥٤
(الخطبة ٢٤)..... ٤٥٥

ب - المصادر ٣٩٠
١ـ المصدر المعتمد في البحث (المدونة) ٣٩٠
٢ـ المصادر العامة ٣٩١
٣- المصادر ٣٩٥
جـ ـ المراجع ٣٩٧
١ - المراجع العربية ٣٩٧
٢- المراجع الأجنبية المترجمة ٤٠٨
٣- المراجع الأجنبية..... ٤٠٩
د- المقالات والدوريات..... ٤١٠
مقدّمة الفهارس..... ٤١٥
أولا : فهرس الخطب الحربية ٤١٥
ثانيا : فهرس الأعلام والأماكن والقبائل..... ٤١٦
ثالثاً : فهرس الأمثال ٤١٧
رابعا : فهرس المصطلحات..... ٤١٧
خامساً : فهرس الأشعار ٤١٧
سادساً : فهرس الآيات القرآنية..... ٤١٨
أولاً: فهرس الخطب ٤١٩

فهرس الفهارس والملحقات ٥٥٧
(الخطبة ٥١) ٤٧١
(الخطبة ٥٤) ٤٧١
(الخطبة ٥٥) ٤٧٢
(الخطبة ٥٦) ٤٧٢
(الخطبة ٥٨) ٤٧٣
(الخطبة ٥٩) ٤٧٤
(الخطبة ٦٠) ٤٧٤
(الخطبة ٦١) ٤٧٤
(الخطبة ٦٢) ٤٧٥
(الخطبة ٦٦) ٤٧٥
(الخطبة ٦٧) ٤٧٦
(الخطبة ٦٨) ٤٧٦
(الخطبة ٦٩) ٤٧٧
(الخطبة ٧٠) ٤٧٧
(الخطبة ٧١) ٤٧٨
(الخطبة ٧٤) ٤٧٨
(الخطبة ٧٩) ٤٧٨
(الخطبة ٨٠) ٤٧٩

٥٥٦..... أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربيه
(الخطبة ٢٥)..... ٤٥٥
(الخطبة ٢٦)..... ٤٥٧
(الخطبة ٢٧)..... ٤٥٨
(الخطبة ٢٩)..... ٤٦٠
(الخطبة ٣٠)..... ٤٦٠
(الخطبة ٣١)..... ٤٦١
(الخطبة ٣٢)..... ٤٦١
(الخطبة ٣٣)..... ٤٦٣
(الخطبة ٣٤)..... ٤٦٥
(الخطبة ٣٥)..... ٤٦٦
(الخطبة ٣٦)..... ٤٦٧
(الخطبة ٣٧)..... ٤٦٧
(الخطبة ٣٨)..... ٤٦٨
(الخطبة ٣٩)..... ٤٦٨
(الخطبة ٤٠)..... ٤٦٩
(الخطبة ٤٣)..... ٤٦٩
(الخطبة ٤٧)..... ٤٧٠
(الخطبة ٤٨)..... ٤٧٠

فهرس الفهارس والملحقات ٥٥٩
(الخطبة ١٢٨) ٥٠١
(الخطبة ١٣٤) ٥٠٢
(الخطبة ١٣٥) ٥٠٢
(الخطبة ١٣٦) ٥٠٣
(الخطبة ١٣٧) ٥٠٣
(الخطبة ١٣٨) ٥٠٤
(الخطبة ١٤٦) ٥٠٥
(الخطبة ١٤٧) ٥٠٦
(الخطبة ١٧٠) ٥٠٨
(الخطبة ١٧٢) ٥٠٩
(الخطبة ١٧٤) ٥١٠
(الخطبة ١٨٠) ٥١١
(الخطبة ١٨١) ٥١٢
(الخطبة ١٨٢) ٥١٢
(الخطبة ٢٠٦) ٥١٧
(الخطبة ٢٠٧) ٥١٧
(الخطبة ٢٠٨) ٥١٨
(الخطبة ٢٠٩) ٥١٨

٥٥٨..... أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربيه
(الخطبة ٨٤)..... ٤٨٠
(الخطبة ٩٢)..... ٤٨٠
(الخطبة ٩٣)..... ٤٨١
(الخطبة ٩٧)..... ٤٨٢
(الخطبة ٩٨)..... ٤٨٤
(الخطبة ١٠٤)..... ٤٨٥
(الخطبة ١٠٧)..... ٤٨٥
(الخطبة ١٠٨)..... ٤٨٦
(الخطبة ١٠٩)..... ٤٨٨
(الخطبة ١١٨)..... ٤٩٢
(الخطبة ١١٩)..... ٤٩٣
(الخطبة ١٢١)..... ٤٩٤
(الخطبة ١٢٢)..... ٤٩٥
(الخطبة ١٢٣)..... ٤٩٦
(الخطبة ١٢٤)..... ٤٩٦
(الخطبة ١٢٥)..... ٤٩٨
(الخطبة ١٢٦)..... ٤٩٩
(الخطبة ١٢٧)..... ٤٩٩

السيرة الذاتية

علي أحمد عمران

- مواليد ١٩٦٧/١/١ .البرهامة (المنامة).
- زاول تعلمه الإبتدائي والإعدادي والثانوي بمملكة البحرين .
- تحصل على البكالوريوس في اللغة العربية والآداب العربية والتربية من جامعة البحرين١٩٩١م.
- نال شهادة الدبلوم العالي في الدراسات العليا من جامعة القديس يوسف بالجمهورية اللبنانية ١٩٩٦.
- نال شهادة الماجستير في اللغة والآداب العربية من جامعة القديس يوسف بالجمهورية اللبنانية ١٩٩٩.
- نال شهادة الدكتوراه في اللغة والآداب العربية من جامعة منوبة بالجمهورية التونسية ٢٠٠٦.
- استاذ بكلية الآداب والعلوم والتربية بالجامعة الأهلية بمملكة البحرين .
- مهتم بالأدب القديم والحديث والأسلوبية والمناهج الحديثة عامة .
- شارك في ندوات علمية بالداخل والخارج.
- له مقالات علمية منشورة بمجلات بحرينية وأجنبية .

مؤلفاته الأخرى:

- بطاقة عشق « ديوان شعر » ٢٠٠٦.
- ندى الأشواك « ديوان شعر » ٢٠٠١.
- كتاب بعنوان مدخل الى علم البيان ومصطلحاته ٢٠٠٩.
- رواية اجتماعية بعنوان « بين الغروبين » عام ٢٠٠٠م .
- رواية بعنوان « هو والرذاذ الجميل » مجلة البحرين الثقافية عام ٢٠٠٧م.
- رواية بعنوان « أقدام الصمت » مجلة البحرين الثقافية عام ٢٠٠٨م.
- قراءة في نص « كآبتي » لجبران خليل جبران مجلة البحرين الثقافية عام ٢٠٠٨م.
- البحرين حبيبتي قصيدة شعر ٢٠٠٩.
- صناعة الكتابة (تحت الطبع).
- الحسين بن ضحاك (تحت الطبع).

٥٦٠..... أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربيه
(الخطبة ٢١٢) ٥١٩
(الخطبة ٢١٣) ٥١٩
(الخطبة ٢١٩) ٥٢٠
(الخطبة ٢٣٨) ٥٢٠
(الخطبة ٢٤٠) ٥٢١
ثانياً : ملحق رقم (٢) نماذج من مخطوطة ابن المؤدب ونماذج أخرى لنهج البلاغة
..... ٥٢٢
مخطوطة ابن المؤدّب ٥٢٣
مخطوطة المكتبة الرضوية في مشهد المقدسة بالجمهورية الإسلامية الإيرانية. ٥٢٧
مخطوطة مكتبة نواب مشهد بالجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة ٥٣٠
مخطوطة نصيرية طهران ٥٣٣
مخطوطات متنوعة من كتاب النسخ الخطيّة القديمة والنفيسة لنهج البلاغة
(نسخه هاي كهن و نفيس نهج البلاغة)..... ٥٣٥
مخطوطة المكتبة المتخصّصة بأمير المؤمنين علي عليه السلام ٥٣٨